سحر زكي

1432هـ - 2011م

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(103) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(104): آل عمران

المحتويـــات

المحتويـــات.....3

تقديـــــم.....5

سحر زكي - يونية 2011.....8

الفصل الأول: مصر ما قبل ثورة 25 يناير 2011.....9

عبدالناصر والمخابرات الأمريكية.....12

السادات ومعاهدة السلام الصهيوأمريكية.....26

مبارك والتحالف الصهيوني الأمريكي.....55

الفصل الثاني: مصر الثـورة.....117

أيام فارقة في تاريخ مصر.....118

من ثمرات الثـورة.....136

الفصل الثالث: تحديات الثورة.....143

كامب ديفيد من جديد.....144

مصر والمنظمات الدولية.....163

الإسلام دين ودولة.....177

الفتنة الطائفية.....197

الفصل الرابع: ماذا أفعل لو كنت رئيسا لمصر؟.....203

على المستوى الداخلي.....204

على المستوى الإقليمي.....234

على المستوى الدولي.....255

الفصل الخامس: مصر التي أتمناها.....263

رجال أحـرار.....263

الصليبيون الجدد.....274

مصر البـطل – من رحم ثورة 25 يناير 2011.....277

رسائل.....279

المراجـــع.....282

تقديـــــــم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومـن سـيئات أعمالنـا، مـن يهده الله فلا مضل له، ومن يضـلل فلا هـادي لـه. وأشـهد أن لا إله إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أن محمـداً عبده ورسوله

الثورة المصرية 25 يناير 2011: من هذا اليوم يبـدأ تاريخ جديد للأمة، وكما قال رئيس وزراء إيطاليا: لا جديـد في مصر فقد صنع المصريون التاريخ كالعادة، وكمـا قـال ستولتنبرج رئيس وزراء النرويج: اليوم كلنا مصريون، حقا اليوم كلنا مصـريون بعـد أن نسـي حكامنـا هـذه الحقيقـة على مدار عقود كثيرة مضت، من محمد علي وأبنائه إلـى حسني مبارك وأبنائه، نسوا تاريخ مصر وحاولوا أن يُنسـوا شعب مصر تـاريخه بـتزويره حينـا وتـأليفه أحيانـا أخـرى، وأبى شعب مصر الأصيل أن ينسى تاريخه وقرر أن يصـنع تاريخه من جديد بعون الله وتوفيقه.

ما بيـن ثـورة يوليـو 1952 وثـورة 25 ينـاير 2011 أحــداث جســام حــدثت فــي مصــر والعــالم العربــي والإسـلامي، فشـل عبدالناصـر فـي كـل معـاركه الحربيـة ونجح في معاركه الإعلاميـة والأغـاني الوطنيـة، نجـح فـي علاقـاته مـع الغـرب وفشـل فـي علاقتـه بالأمـة العربيـة وشعب مصر، مات عبدالناصر وحدود مصر الشرقية قنـاة السـويس واليهـود قـد احتلـوا سـيناء والضـفة والجـولان وفلسـطين، ويظـل هنـاك مـن يـردد نحـن ناصـريون، أي شرف حققه عبدالناصر لمصر ليفتخر به الناصريون؟

وبـدأ السـادات تـاريخه السياسـي بمسـاندة شـعبية تحقق لشعب مصر الأمل الذي يحيا مـن أجلـه وهـو محـو

عار الهزيمة في 1967، فكان الاستعداد وإعداد العدة لحرب رمضان المجيدة 1393هـ- أكتوبر 1973، وبفضل الله تم النصر ثم الدعم الشعبي والعربي لمصر وعادت الكرامة للأمة العربية، فأبى السادات إلا أن ينسب النصر له، ويرتمي في أحضان من كان يعلن تأييده للكيان الصهيوني في حرب 1973، فوقع معاهدة السلام بين مصر والصهاينة مع رفض عربي لتلك المعاهدة وبقرار فردي أدى إلى عزل مصر مرة أخرى عن محيطها العربي.

وجاء حسني مبارك ليعلن أننا كرهنا الحرب ويجب أن نكون تابعين للكيان الصهيوني والأمريكان وإلا سندخل في حرب جديدة، فجعل الشعب المصري والعربي كله خادما مطيعا وشرطيا أمينا لحماية الأمن الإسرائيلي، وأصبحت مصر معتقلا لكل معارض للسياسة الصهيوأمريكية في المنطقة العربية، وأصبح أمن دولة مصر مسئولا عن أمن دولة إسرائيل.

أصبحت مصر تتهاوى على أيدي حكامها، قلب الأمة على وشك الإنهيار، يوشك الصهاينة والأمريكان أن يستبدلوا قلب الأمة النابض بالعروبة والإسلام بقلب صناعي يضخ دما فاسدا في أوصال الجسد الضعيف حتى يتم القضاء عليه وتفتيته دويلات صغيرة ضعيفة متناحرة لتبقى دولة الكيان الصهيوني هي الأقوى في المنطقة العربية وتبدأ في تحقيق حلم صهيون من النيل إلى الفرات.

ماذا قدم مبارك لمصر سوى الخزي والعار ليسعى جاهدا ليتولى رئاسة مصر ابنه من بعده، تلك مصيبة كبرى لا يتحملها الشعب المصري الصبور الأصيل، الشعب الذي ينطبق عليه المثل القائل: اتق شر الحليم إذا غضب، وغضب الشعب المصري غضبة عقل وحكمة،

غضبة بثورة سلمية سلمية، غضبة خرجت من مساجد مصر بعد صلاة الجمعة لتعلن للعالم أن الأرض بتتكلم عربي، غضب الشعب المصري بصلاة جامعة في ميادين التحرير في محافظات مصر المختلفة لتقول للعالم: هؤلاء هم الإرهابيون حقا، يرهبون أعداء الله بصلاة في أرض الله دون سلاح أبيض أو أسود، سلاحهم الحق وصيحة الله أكبر تهز عروش الطغيان.

جاءت الثورة المصرية 25 يناير 2011 لتفتح الباب على مصراعيه لمن يريد الترشح لرئاسة الجمهورية بعد أن فقد كل المصريين الأمل في أن يتولى هذا المنصب شخصية مختلفة عن الشخصية التي فصلها الرئيس السابق في الدستور، إما مبارك وإما جمال مبارك، حيث كان شرط الترشح للرئاسة هو الحصول على توقيع 65 نائبًا برلمانيًّا و 45 عضوًا في مجلس الشورى، و 140 عضوًا في المجالس المحليَّة في عشر محافظات، وكل هؤلاء طبعًا من الحزب الحاكم، الحزب الوطني الديمقراطي.

ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، فبعد ثلاثين عاما من حكم الرئيس مبارك الذي تميز بالبطش والاستبداد، وبعد كثير من الاحتجاجات هنا وهناك جاءت الثورة التونسية التي أطاحت برئيس تونس علي زين العابدين، فوجئ العالم كله بالحدث، فتطلع كل العرب إلى الحرية والتخلص من الحكام الذين استبدوا بشعوبهم.

وكانت مصر أول من سار على درب تونس للتخلص من نظام استمر ثلاثين عاما لم يتحقق فيها إلا الظلم والقهر وسطوة أمن الدولة، وسيطرة رجال الأعمال على الدولة ومقدراتها، وتقزم دور مصر حتى أصبحت تقوم بدور الحارس للكيان الصهيوني المحتل والتابع المطيع

للولايات المتحدة الأمريكية بعد أن كانت الحصن الحصين للعالم الإسلامي.

جاءت الثـورة المصـرية ليتـم تعـديل الدسـتور ويتـاح لكثير من أبناء الشعب المصـري فرصـة الترشـح لرئاسـة الجمهوريـة، فمـاذا تفعـل أخـي القـارئ لـو كنـت رئيسـا لمصر؟

إذا كنت أخي القارئ تبحث لمصر عـن مكانهـا اللائق بها فاقرأ هذا الكتاب، وإذا كانت هموم الأمة تشغلك فاقرأ هذا الكتاب فمن أجلك كُتب.

والحمد لله رب العالمين

سحر زكي - يونية 2011

الفصل الأول: مصر ما قبل ثورة 25 يناير 2011

مصر وطن حضارته تسبق التاريخ ولم يذل ولم يهزم إلا على يد هـؤلاء الـذين بـاعوا الـوطن بقصـر فـي شـرم الشيخ وآخر في هايد بارك.

خلال 150 عامـا مـن تاريـخ مصـر (1805-1952) حكم الباشوات بلادنا وملكـوا كـل شـيء فيهـا: السياسـة والجـاه وصـدارة المجتمـع والقصـور والأمـوال والضـياع، وفي يوليو 1952 انتزعت منهم الثورة السياسة وصدارة المجتمع ولكن: من الذي استولى على القصـور والأمـوال والضياع؟ السوبر باشوات: باشـوات بلا ألقـاب وأشـراف بلا شرف وناس بلا إنسانية ومواطنون بلا وطنية[1].

كانت السنة التي بدأت بانتهاء الحرب العالمية الثانية من أخطر السنوات فـي التاريـخ المصـري الحـديث، لقـد كانت مفترق طرق بين عصرين: عصر الحـروب العالميـة التي انتهت، وعصر الحـروب الصـغيرة الـتي بـدأت، ظـل المصريون يـدورون خلالهـا فـي إطـار السياسـة الحزبيـة القديمة يتصارعون علـى الحكـم ولا يعرفـون كيـف وأيـن يتجهون، هل إلـى القصـر أم إلـى الإنجليـز؟ وكـانت سـنة ضائعة من عمر مصر[2].

تاريخ مصر قبـل ثـورة 1952 كـان لعبـة سـيئة بيـن الباشوات والإنجليز والملك من ناحية والشـعب المصـري من ناحية أخرى، أما بعد الثورة فالعصر الناصري كله كان بلا وثائق ولا كتابة ولا قـراءة ولا حسـاب، إنمـا هـو صـراع

[1] د. حسين مؤنس: باشوات وسوبر باشوات ص:10(1405هـ - 1985)
[2] محسن محمد: سنة من عمر مصر-تاريخ مصر بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية ص: 299 (1982)

بيـن عبدالناصـر ومحمـد نجيـب، وصـراع بيـن عبدالناصـر وزملائه الذين تم تصفيتهم وبقـي فـي النهايـة عبـدالحكيم عامر والصراع بينهمـا مريـر، ونتيجـة الصـراع هـو انتقـال السـلطان إلـى فئران السياسـة، نهبـوا الأمـوال وأوهمـوا رئيسهم أن شعب مصـر كلـه يتـآمر عليـه، فكـان القبـض ونهـب الأمـوال ولـم يقتصـر ذلـك علـى رجـال الأحـزاب والإخوان المسلمين بل وضعوا في السجون المئات ممن لا تخطر السياسة لهم على بال.

والآن وبعـد ثـورة 25 ينـاير 2011 إلـى أيـن تتجـه سياسـة مصـر، هـل تتجـه مـرة أخـرى إلـى الأمريكـان والغـرب، أم تتجـه إلـى عمقهـا الإسـتراتيجي، العـالمين العربي والإسلامي، وتتذكر تاريخها المجيـد أيـام حطيـن و عين جالوت ووحدة مصر والسودان.

أي زعيم مهمـا بلغـت عبقريتـه لا يسـتطيع أن يحقـق شيئا للأمـة بغيـر رجالهـا وبغيـر الإنتمـاء إليهـا، لا شـك أن محمد علي كان ذكيا إلا أنه كـان يـأنف أن يكـون مصـريا، ولو أنه فعل وانتسب للمصريين لأصـبح زعيمـا قوميـا، إلا أنه اختار أن يكون طاغية يستخدم مصـر وشـعبها لخدمـة نفسه و أسرته، وكان الأجانب يتعـاملون مـع محمـد علـي على أنه أجنبيا مثلهم ويجب أن يشـاركوه فـي نهـب البلـد الذي تولى حكمه[1].

يقول عبدالرحمن الجبرتي: لو أن محمـد علـي أوتـي شيئا من العدل لكان من ملوك التاريـخ بـل مـن أكـبرهم، ذلـك أن كـل منجـزات محمـد علـي قـد انهـارت بسـبب ديكتاتوريته لأنها قتلت قيادة الأمة وأخرجتهـا مـن الصـراع فلما انهزم الحاكم المستبد أصبح الـوطن منـزوع السـلاح

[1] د. حسين مؤنس: الربا وخراب الدنيا ص:27 (1406هـ - 1986م)

وفُتحت البلاد للإنتاج الأجنبي الذي لم يجد مدافعا وتحولت مصر إلى سوق للإنتاج الأوروبي[1].

لقد كان الجبرتي معاصرًا لسياسة الظلم التي مارسها محمد علي على الشعب المسلم في مصر؛ إذ امتصّ حقوقه وخيراته وفتح للتجار الأوربيين الباب على مصراعيه لدخول مصر والهيمنة على اقتصادها، وأصبحت مصر هي المزرعة التي تعتمد عليها أسواق أوربا من المنتجات الزراعية، وارتبطت مصر بأوربا ارتباطًا حضاريًّا وتجاريًّا، وأصبح اعتماد طبقة التجار الناشئة في مصر على الأسواق الأوربية من الناحية الاقتصادية وبالتالي السياسية، إلى جانب تمكين دعاة الثقافة الأوربية من السيطرة على الحياة الفكرية بعد أن شلَّ دعاة الاتجاه الإسلامي، وأوقف مناهج التعليم القائمة على الدين؛ تنفيذًا لسياسية نابليون الماسونية، وهو أمر أكَّده المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي في قوله: كان محمد علي دكتاتورًا، أمكنه تحويل الآراء النابليونية إلى حقائق فعَّالة في مصر[2].

مات محمد علي ومصر قوية البناء العسكري والسياسي لكن بناءها الفكري والثقافي بدأ في الانهيار، لأنه طاغية اختار أن يكون الغرب قائدا له وانضوى تحت لوائه وقرب إليه كل البعثات التي نقلت الثقافة الغربية إلى مصر، ومن هؤلاء رفاعة الطهطاوي الذي أنشأ مدرسة الألسن التي كانت مركزًا لبث الحضارة الغربية باسم العلم والثقافة، عندما استقدمت مصر أساتذة من فرنسا؛ لتدريس المواد في تلك المدرسة التي شوهت حضارة الإسلام، وبذلك حقق الفصل بين الأزهر من جهة، وعلوم العصر من جهة ثانية، اهتم بإرسال الشبان الصغار

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:80 (1408هـ- 1988م)

[2] د. علي الصلابي: محمد علي باشا والماسونية www.islamstory.com

بأعداد متزايدة إلى أوربا وهم في سن المراهقة، غير محصَّنين بشيء لينغمسوا في الشهوات، ويتأثروا بالشبهات، لقد قام محمد علي بدور مشبوه في نقل مصر من انتمائها الإسلامي الشامل إلى شيء آخر يؤدي بها في النهاية إلى الخروج عن شريعة الله. (http://www.islamstory.com).

عبدالناصر والمخابرات الأمريكية

مع كون محمد علي طاغية إلا أنه تسلم مصر وهي ولاية عثمانية خارج التاريخ فمد حدودها إلى السودان ومنابع النيل ومات وهو يحكم السودان ومصر وأجزاء من جزيرة العرب، وعبدالناصر كان طاغية لم يكن له إلا حب واحد هو السلطان، ومات عبدالناصر وقد تم فصل السودان عن مصر وسيناء محتلة وقناة السويس هي حدود مصر.

مات محمد على ومصر أقوى دولة في الشرق، لديها أقوى أسطول أسيوي أفريقي، ومات عبدالناصر ومصر صفر من الناحية العسكرية وكرامة كل مصري جريحة بعد نكسة 1967، كان قائد جيش محمد علي هو إبراهيم باشا الذي لم يهزم في حرب، وعندما زار أوروبا كانت أقواس النصر تستقبله تحمل أسماء معاركه التي انتصر فيها، وقائد جيش عبدالناصر لم ينتصر في معركة، محمد علي هزمه بالمسترون في جبال طوروس، وعبدالناصر هزمه موشي ديان في شرم الشيخ والعريش والقنطرة.

محمد على حاولت بريطانيا العظمى غزو مصر فهزمهم الشعب المصري هزيمة ساحقة وانسحب الأسد البريطاني صاغرا وأصبحت مصر أمنع من تركيا لا تفكر قوة عظمى في غزوها، وعبدالناصر جعل مصر كالمدينة

المفتوحة يدخلها اليهود ويخرجون منها كأنها أرض لا مالك لها.

محمد علي تسلم مصر وليس بها مصنع ولا مدرسة ابتدائية، فأنشأ الكليات وأقام المصانع وبعث البعوث، وعبدالناصر تسلم مصر وبها أربع جامعات بل أرقى جامعات في الوطن العربي وأفريقيا وكل آسيا باستثناء اليابان ومات وقد رفضت جامعات العالم شهاداتنا[1].

كل ديكتاتور يذهب وتذهب معه منجزاته ولا يتبق إلا سيئات ما ارتكب، هكذا صار عبدالناصر على نهج سلفه، لا يمكن أن تنجز ثورة أهدافها لصالح الوطن بمؤامرة، ولا يمكن أن تتحقق مصالح الشعوب من خلال التعاون مع أعرق الإستعماريات المتعارضة المصالح مع الأمة العربية وخاصة منذ سيطر الكيان الصهيوني على القرار السياسي في أمريكا، كانت الصلة بين الضباط الأحرار والمخابرات الأمريكية في البداية صحية حين حققت بعض النتائج المبهرة ومنها: النجاح السهل للإنقلاب، منع تدخل القوات البريطانية في تحركات الضباط الأحرار، إجبار بريطانيا على الإنسحاب من السودان، خلع محمد نجيب وتثبيت عبدالناصر، إحباط الغزو البريطاني الفرنسي[2].

ولكنها في حقيقة الأمر رغم هذه النجاحات الظاهرة إلا أنها كانت تدمر في الخفاء أسس الوحدة العربية ومكانة مصر في المنطقة العربية بالإضافة إلى خروج الكيان الصهيوني بأعظم نصر، مع تصفية الإمبراطورية البريطانية والفرنسية في العالم العربي وإحلال النفوذ الأمريكي محلهما، وهذه هي الأهداف التي كانت تحرك

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:10 (1408هـ- 1988م)
[2] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:20 (1408هـ- 1988م)

رجال المخابرات الأمريكية لمساندة ثورة – أقصد انقلاب - 23 يوليو 1952.

فلينتبه المصريون في الفترة القادمة ولا يغتروا بنصر قريب وهو إسقاط النظام، بل يجب أن يسعوا لنصر الأمة بكاملها ولا يسمحوا لأعدائهم بتحريكهم والضغط عليهم حتى يثنوهم عن تحقيق الهدف ويظلوا تابعين لهم.

مصر هي قلب الأمة العربية فإذا استطاعت أمريكا زعزعة الوجود البريطاني في مصر أصبحت هي صاحبة النفوذ الأكبر في المنطقة ولذلك ساندت ثورة يوليو التي كانت تمثل صراع الإمبراطوريات، الصراع الأنجلو-أمريكي الذي دفع أمريكا للإطاحة بالنظم العربية المرتبطة ببريطانيا بواسطة الإنقلابات العسكرية كما حدث في مصر وسوريا ثم العراق وليبيا والسودان.

شهدت مصر في الفترة من 1924إلى 1951 أروع فترات تاريخها الفكري، ظهر شوقي، حافظ، الرافعي، العقاد، المازني، مشرفة، كما ظهر عمالقة الإقتصاد وعلى رأسهم طلعت حرب ومجموعة من الشركات المصرية العملاقة التي دمرتها ثورة يوليو[1].

لقد احترم الإسلام الملكية الفردية واحتفظ للإنسان الفرد بمستوى من الكرامة والحرية في أحلك الظروف، إلا أن عبدالناصر أبى إلا أن يبدأ بتأميم الشركات لا طمعا في أي منها ولكن ليجرد الإنسان المصري من أي سلطان ولو على شركة، لقد ضرب الإقتصاد المصري كله بالتأميم حتى لا يظهر في مصر رافع رأسه إلا هو، ومن مدرسة الإرهاب الروسي والألماني تخرج زبانية الإرهاب في العصر الناصري[2].

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:82 (1408هـ- 1988م)
[2] د. حسين مؤنس: باشوات وسوبر باشوات ص: 179 (1405هـ - 1985)

نادى عبدالناصر بالحرية ثم جعلها حكرا عليه، وطالب بحقوق الشعوب ثم انفرد وحده بكل الحقوق، وقال: ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عصر الإستعباد ثم عمد إلى قطع رأس كل مواطن حاول رفع رأسه، كان عصر عبدالناصر خارج الشرعية والقانون والدستور بل الإنسانية لأنه جعل نفسه الشرع والقانون والدستور.

جاءت الحرب العالمية الثانية بدفعة قوية للرأسمالية المصرية لتنهي السيطرة الإستعمارية على النظام المصري وبدأت كل القوى تستعد للمعركة الفاصلة، فكان بنك مصر أول بنك للعرب وبنى طلعت حرب أول فندق في السعودية وشق له الطريق من مكة إلى جدة، ولكن جاء انقلاب يوليو تعبيرا عن القهر الاستعماري لسحق الثورة الرأسمالية الوطنية الوليدة لتسليم مصر والوطن العربي كله للإنتاج الأجنبي.

كانت خطة العدو دائما سواء كان عدوا من الداخل أو الخارج هي:

- ضرب القوى الوطنية بعضها ببعض وزرع الفتنة فيما بينها مثلما نرى الآن الصراع بين التيارات الإسلامية والعلمانية، وبين التيارات الإسلامية نفسها.
- تعطيل الحياة السياسية بتزوير الإنتخابات وأعمال البلطجة التي تجعل الشعب ينأى بنفسه عن تلك الممارسات تجنبا للإعتقال أو غيره من ممارسات القمع والإستبداد.
- حل الأحزاب والنقابات حتى تفقد تأثيرها في توجيه الرأي العام.
- وضع السلطة في يد ديكتاتور لا يؤمن بفصل السلطات ويقوم بالسيطرة على الشعب.

فـي كتـاب جـون رافيلانـج، ارتفـاع وسـقوط وكالـة المخـابرات الأمريكيـة، يقـول: إن الوكالـة سـاعدت عبدالناصر في الوصول إلى السـلطة، هـذا الرجـل ينشـر ادعاءه هذا في كبرى الصحف المصرية أنه هو الذي علـم ثوارنا أن يكونوا مصريين وعلمهم العروبة وحرضهم علـى استرداد قناة السويس[1].

العقاد قاطع ثورة يوليـو لأن عبدالناصـر أهـان شـعب مصر عندما وقف يقول أنا علمتكم الكرامة، مـع أن الـذي علم عبدالناصر الكرامة هو ضابط مخابرات أمريكي، جيل عبدالناصر لا يرى غضاضة في تعلم الدين من أحبار اليهود والوطنيـة فـي كـامب ديفيـد أمـا العمالـة لأمريكـا فحلـم يشـتاقون إليـه، علمـوا الثـوريين أن العـدو هـو الأحـزاب والإخوان والعرب.

الاحتلال دائما يعادي أية ثورة تحـرر الشـعب وتحقـق تغييرا جذريا في النظام الإجتماعي والسياسي بمـا يكفـل إطلاق طاقة الأمـة فـي بنـاء المجتمـع والدولـة، لأن ذلـك يؤدي إلى مقاومة الاحتلال وتصفية مصالحه بالإضافة إلـى إقتطاع جزء من هيمنته على السوق العالمية مثلما فعلت أمريكا في القطـن المصـري وغيـره مـن الصـناعات، كنـا ملوك القطن، كنا أكبر مركز لصناعة الكتاب العربي، وكنا نحتكر صـناعة الكتـب الإندونيسـية والملاويـة والأوروبيـة، كانت دمياط تصنع الأثاث لنصف العالم العربي[2].

استخدمت أمريكا أسلوب الكاراتيه وهو فن استخدام قوة الخصم في قهره:

- لا حاجة لإرسال الجيش الأمريكي لضرب الحكومة.

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:120 (1408هـ- 1988م)
[2] د. حسين مؤنس: باشوات وسوبر باشوات ص:200 (1405هـ - 1985)

- الجيش بقليل من التآمر والرشوة والدعم يقوم بمهمة الفتك بالمعارضين (وقد رأينا ما فعله الجيش في ليبيا وسوريا من مجازر في ربيع الثورات العربية، وقبله الجيش الجزائري حين فاز الإسلاميين في الإنتخابات في التسعينيات).
- لا بأس من إظهار الغضب على الحاكم الديكتاتور من خلال الإعلام الذي يوظف ببراعة لإقناع الشعوب بأن الأمريكان حماة الحرية والديمقراطية، وأن كل القوى الوطنية رجعية ومتخلفة لتبرر غزوها والقضاء عليها.

هذا ما اتبعته أمريكا في الانقلابات التي تمت في المنطقة العربية، وقد ارتبطت السياسة الأمريكية بوجود الكيان الصهيوني وحماية هذا الوجود، فلا حل إلا بضرب العرب وقياداتهم.

خلال المدة من عام 1952 إلى 1967 لم تقم مصر بأي هجوم على الكيان الصهيوني وإنما كانت الحروب كلها من ناحيته وهذا لاخطر فيه على الأمريكان، لو كان من يحكم مصر يهوديا لما خدم الكيان الصهيوني بأكثر مما فعل عبدالناصر، ففي خلال فترة حكمه عقد صفقات مع شتى أمم الأرض إلا شعب مصر وأمة العرب فقد كان يصرح أن الحرية تصفي الثورة.

حقق العدوان الثلاثي في عام 1956 الأهداف التالية[1]:

- احتلال شبه جزيرة سيناء لمدة خمسة أشهر.
- تم تدمير الجيش المصري بما فيها صفقة السلاح الروسي.
- ضمان حرية الملاحة للكيان الصهيوني من وإلى ميناء إيلات.

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:356 (1408هـ- 1988م)

- وقف العمليات الفدائية في قطاع غزة.
- نزع سلاح سيناء فعليا بوضع البوليس الدولي الذي جمد الحدود من الجانب المصري لمدة عشر سنوات.

ولم يسقط الطاغية، كل المحتلين لبلادنا جاءوا لتخليصنا من حكم الطغاة وما مكنهم من بلادنا إلا هؤلاء الطغاة، ولا مكن الطغاة في بلادنا إلا هؤلاء الغزاة.

ماذا كانت اهتمامات الكيان الصهيوني بعد حرب 1967؟:

- أراد أن يعزل سيناء فأقام خط بارليف لكي لا يعبر المصريون من أفريقيا إلى آسيا، فهل أقمنا على حدودنا مثل هذا الخط أو جئنا بالبوليس الدولي.
- فتحت الحدود بين فلسطين المحتلة وسيناء فأصبح اليهودي يتنقل من تل أبيب إلى شرم الشيخ والعريش دون إذن مرور، بينما كان المصري يدخل سيناء بترخيص خاص، وكان الجمرك عند حدود مصر قناة السويس.
- أقام الكيان الصهيوني المستوطنات وأسكن فيها اليهود، وقد صرخ العرب قبل ثورة يوليو عمرو سيناء والجولان وجنوب لبنان حتى لا يأخذها الكيان فهي أرض بلا سكان، لكن الحكومات كانت مشغولة بثمانين ألف جندي أجنبي، وقد أثبت اليهود أن أرض سيناء قابلة للإعمار، فلماذا تركت سيناء خالية بعد ثورة يوليو.
- أقام الكيان الصهيوني الفنادق والشركات السياحية والمصايف والمشاتي في سيناء وربطها بشبكة مواصلات برية وجوية وبحرية، لو كانت ثورة يوليو أسكنت ثلاثة ملايين مصري في سيناء، وهو هدف

يمكـن تحقيقـه، لاسـتحال غزوهـا أو البقـاء فيهـا آمنـة خمسة عشر عاما متصلة.

هذه كـانت اهتمامـات العـدو الصـهيوني الـذي احتـل أرض سيناء وتعجل في إعمارهـا، فمـاذا كـانت اهتمامـات القيادة المصرية منذ عام 1954؟:

- كان الخلاف على أشده بين عبدالناصر ومحمـد نجيـب بعد حل الأحزاب، وانشغلت القيادة المصرية بالصـراع على السلطة.
- تم القبض على القيادات السياسية وألغي الدستور.
- اجتمــع مجلــس قيــادة الثــورة لمقاومــة الإخــوان المسـلمين والقضـاء عليهـم، وتقـرر حـل الإخـوان واعتقال مرشدهم وفصل المنتمين إلى الجماعـة مـن أعمالهم واعتقال الكثير منهم.

يصف بغدادي حالة وزراء مصـر هكـذا: كـان الوجـوم مخيما على وجوههم بـل كـان الرعـب ظـاهرا فـي أعيـن البعض منهم، وإذا كان الرعـب يطـل مـن عيـون الـوزراء فماذا يطل من عيون الشعب، وأين لدولـة تـزرع الرعـب في عيون وزرائها أن تنشغل بعدو أو تخيفه[1].

كان الجيش أمـل وقـرة عيـن المصـريين قبـل ثـورة يوليو، وقد احتضن الشعب ضباطه وجنوده، وبعد الأسبوع الأول من الثـورة أصـبح الشـعب ينظـر إليهـم علـى أنهـم خونة بعد استقالة محمد نجيب، وقد قـام سـلاح الطيـران المؤيد لجمال عبدالناصر بـالتحليق فـوق سـلاح الفرسـان المؤيد لمحمد نجيـب، وأعلـن عبـدالحكيم عـامر أنـه غيـر ملتزم بقرار مجلس الثورة وأنه سيدك سلاح الفرسان إن لم يخضع لأوامره.

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:374 (1408هـ- 1988م)

كـانت المعركـة إذن ضـد سـلاح الفرسـان المصـري وليست ضـد العـدو الصـهيوني، ولـو أن عـامرا اتخـذ هـذا القرار الشجاع مرة واحـدة ودك الصـهاينة فـي فلسـطين في عام 1956 أو عام 1967 لتغير التاريخ، فعلـى أرض سـيناء يتقـرر مصـير مصـر وفلسـطين المحتلـة والـوطن العربي كلـه، وفـي يـد مـن تكـون سـيناء سـتكون الدولـة الكبرى في المنطقة[1].

هكــذا كــانت كــل معــارك عبدالناصــر وانتصــاراته، اكتشف الأمريكان والإعلام المصري ميدان آخر للمعركــة بعيدا عن الصراع العربي الإسرائيلي، كـانت المهرجانـات تقام احتفالا باشتراك عبدالناصر في مؤتمر باندونـج بينمـا الصهاينة يحتلون المنطقـة منزوعـة السـلاح فـي العوجـة والكونتيللا وتذبـح الجنـود المصـريين والفلسـطينيين فـي غزة وتستعد لعدوان 1956، فلم يكن باندونـج لـه علاقـة بالصراع والمواجهة المصرية-الإسرائيلية[2].

أحد انتصارات عبدالناصر أنـه رفـض أن تكـون بغـداد مركزا لتنظيم إقليمي في المنطقة العربية -منافسـة بيـن القاهرة وبغداد زرعها الاحتلال ليفرق بين الأشـقاء- وكـان اللوبي الصهيوني في السياسة الأمريكيـة لا يرحـب بقيـام حلف عربي - تركي لأنه قد يوجه ضـد الكيـان الصـهيوني، وكذلك يجـذب تركيـا لاهتمامـات العـرب وقـد يـؤدي إلـى إرتفـاع النبـض الإسـلامي الخـافت بعـد سـقوط الخلافـة، فكان حلف بغداد على غير هوى الأمريكان وضـد سياسـة الكيان وبالتالي رفضه عبدالناصر.

معركة أخرى لعبدالناصر هي صفقة السلاح الروسي، حيث فتحـت السـوق المصـرية للسـلاح الروسـي القـديم الذي كانت تتخلص منه إما عن طريق قتـال حقيقـي بيـن

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص: 383 (1408هـ- 1988م)
[2] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص: 402 (1408هـ- 1988م)

الروس والأمريكـان، أو تصـديره لطـرف ثـالث، وقـد أدى ذلك إلى غلق باب الإعتماد على النفس في تصنيع وإنتـاج السـلاح، ولـم تحـرر صـفقة السـلاح الروسـية الأرض المصـرية والاسـتقلال الـوطني، بـل لـم تخـترق طـائرة مصرية واحدة المجال الجوي الإسرائيلي ولو عـن طريـق الخطأ[1].

قـال لـورانس فـي الحـرب العالميـة الأولـى: أعطـوا العرب البنادق فقط ولا تمكنوهم من المدافع وبذلك يبقى القرار لنا.

تصنيع السلاح يعني تحرير القرار السياسي والإكتفـاء الذاتي من الأسـلحة والـذخائر، كمـا أن التصـنيع المحلـي أقـل تكلفـة ويـوفر فـرص أكـبر للعمالـة، كمـا أن الـدول النامية تحتاج السلاح لأمنها الـداخلى وتحسـبا للمنازعـات مع جيرانها ولصد محاولات الـدول العظمـى للتـدخل فـي سيادتها من خلال تحريض وتسـليح قـوة إقليميـة، والـذين يريدون الإنتظار حتى نمتلك قاعـدة صـناعية ضـخمة فلـن يروا في بلادنا إلا قاعدة أمريكية.

ماذا يعني أن يبقى القـائد رغـم فشـله فـي مهـامه؟، ماذا يعني أن تتكرر أخطاء القـائد دون أن يحاسـب؟ قـال عبداللطيف بغدادي: حضر محمـد صـدقي محمـود رئيـس هيئة أركان حـرب القـوات الجويـة وصـدرت إليـه الأوامـر بقيام قواتنا الجوية بضـرب القـوات المتواجـدة فـي ممـر متلا وكذلك مطارات العدو، فظهر عليه الاضطراب حيـث بين أن هنـاك صـعوبات تعـترض قيـام الطـائرات القاذفـة بعملياتها فورا بحجة عدم توافر الوقـود اللازم لهـا بمطـار غرب القاهرة.

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:449 (1408هـ- 1988م)

كـان الموقـف يتطلـب إقالـة محمـد صـدقي محمـود وتسليم السلاح لضباط محـترفين لا لعبـداللطيف بغـدادي الذي لم يتعرف على طائرة منـذ 1952، لمـاذا لـم يتخـذ عبدالناصر قرارا بإعدامه؟، لمـاذا لـم يسـأله كيـف تـترك قاعدة تموين القاذفات بدون بنزين وهم يتوقعون هجومـا بريطانيا فرنسيا؟ لماذا أبقاه حتى فعلهـا ثانيـة فـي حـرب 1967 مع توفر البنزين هذه المرة؟

كان الطيران المصري أقوى من الطيران الإسرائيلي والطيـارون المصـريون أفضـل فـي 1967، لـم تكـن إسرائيل تخشـى إلا مـن هجمـة الطيـران المصـري، ولـو حطـم بعـض المـدن الإسـرائيلية لحطـم جـدار الأمـن الإسرائيلي ولتغير مصير المنطقة العربية.

لقد مرت علاقة الثورة بالكيـان الصـهيوني فـي عهـد عبدالناصر بثلاث مراحل[1]:

- مرحلـة التـآمر المشـترك: الواسـطة فيـه الولايـات المتحدة حيث تم تجميد قضية فلسطين والوضع علـى الحدود واستمرت حـتى عـام 1956، ومـا حـدث فـي مصر كان على هوى الكيان الصهيوني: ضرب الأحزاب والقـوى الوطنيـة، إفسـاد الجيـش وتجريـده مـن الكفاءات.
- مرحلـة التحـرش وفصـم التحـالف: بـدأت بعـد خـروج بريطانيا من مصـر، تحـرش الكيـان الصـهيوني بمصـر وسـوريا لتـأزيم العلاقـات مـع أمريكـا لـدفع البلـدين لمحالفة الـروس، ثـم تحـرش بـالجيش المصـري فـي غارة فبراير 1955 ثم غارة في 31 أغسطس 1955 حيث قام الجيش الإسرائيلي بمهاجمة مركز البـوليس في خان يونس بقطاع غزة كما هـاجم مواقـع مصـرية أخرى أدت إلى سـقوط 37 قـتيلا و15 جريحـا، ضـم

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:611 (1408هـ- 1988م)

منطقة العوجة المنزوعة السلاح إلى الكيان الصهيوني في 20 سبتمبر 1955، ومنطقة العوجة تتحكم في عدة طرق تؤدي إلى داخل الأراضي المصرية، ولم يتخذ أى إجراء عسكري مضاد لأن القيادة السياسية مرتبطة بالأمريكان، تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي حيث تم فتح خليج العقبة وتحطيم الجيش المصري وتحييد مصر، يقول موشي ديان: في منتصف عام 1955 أرسلنا وحدة متطوعين لإكتشاف طريق بري إلى شرم الشيخ وهذا سهل مهمة اللواء الإسرائيلي المدرع الذي احتلها بعد عام ونصف.

- مرحلة نسف العلاقات المصرية الأمريكية: وهو ما تحقق في 1967، وتم تحييد مصر وتمزق الجبهة العربية، من 1956 إلى 1967 أتيحت لعبدالناصر الفرصة لضرب الكيان الصهيوني ولم يفعل، كانت دعوات القمة والدعوات ضد القمة تكتيكات لتفادي المواجهة، وكانت حرب الإستنزاف على أرض مصر معركة بين مدن مصر ومصانعها، ووقع عبدالناصر مبادرة روجرز من موقع المهزوم ومات ووقف إطلاق النار ساري المفعول.

ثبت عبدالناصر وجود الكيان الصهيوني في أرض فلسطين والسماح له بحرية الملاحة في البحر الأحمر وقناة السويس ثم انتهاءا باحتلال سيناء لتصبح حدودنا الشرقية تقف عند قناة السويس وتم فصل مصر عن قارة آسيا.

لوتز، الجاسوس الإسرائيلي ومدمر سلاح الصواريخ المصري وأحد صناع هزيمة يونيه 1967، قضى عامين في السجن، والشيخ فلان قضى خمسة عشر عاما في السجن لأنه في صباه حفظ سورة الأنفال، يقول لوتز إنه جاء من الخارج مرة بسبعة عشر صندوقا أخرجت فورا

من جمرك الإسكندرية، كان منها ستة عشر صندوقا هدايا لكبار الضباط والمسئولين أما الصندوق السابع عشر فكان مليئا بأجهزة تجسس إسرائيلية.

مصر كانت وما زالت القوة الوحيدة القادرة على مواجهة المخطط الصهيوني، وبالتالي فإن تدمير مصر هو الهدف الأول لجميع المسئولين الصهاينة بصرف النظر عن أفعال السلطة المصرية، كانت السلطة المصرية من عام 1952إلى عام 1956 لم يكن في بالها ولا تصورها وقوع مواجهة ساخنة مع الكيان الصهيوني، ومن عام 1956 إلى عام 1967 كان سياستها تدور حول تجنب هذه المواجهة بأي ثمن وبالتالي هزمنا[1].

لم تكن حركة 23 يوليو مهتمة بأمن مصر القومي، كان اهتمامها الأول هو تأمين سيطرتها على الجيش ولو على حساب قدرته القتالية، تم تسريح كل من هو فوق رتبة بكباشي وبالتالي خسر الجيش كل قياداته بقرار فريد، كان تنظيم الضباط الأحرار تسعين وخارج هؤلاء التسعين تعرض الضباط للتعذيب، وقد اعترف شمس بدران لجلال كشك أنه كلف من عبدالناصر وعامر بتصفية تنظيم الضباط الأحرار، وفي النظم الديكتاتورية لا تتوقف التصفية حتى لا يبقى على القمة إلا الزعيم وحده.

ماذا يفعل حاكم يهودي للإضرار بأمن مصر أكبر من إفساد الجيش؟، لقد كان النظام القديم قبل ثورة يوليو الذي اعتبروه رجعيا شديد العداء للكيان الصهيوني: خاض ضربات شاملة ضده في 1948، أغلق قناة السويس وخليج العقبة ليقضي على كل مشاريعه عبر البحر الأحمر وإيلات، بالإضافة إلى المقاطعة الإقتصادية ورفض فصل مصر عن السودان.

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:565 (1408هـ- 1988م)

بعد هزيمة الجيوش العربيَّة التي شاركت في حرب 1948م في فلسطين، وافقت الحكومات العربيَّة على البَدء في مفاوضاتٍ للتَّوصُّل إلى إتفاق هدنةٍ مع الكيان الصُّهيونيِّ الوليد في جزيرة رودس في 13 يناير 1949م، تحت إشراف رالف بانش مُمثِّل الأمم المتحدة، واستمرَّتْ حتى يوليو من العام نفسه، وبنتيجتها وقعت كل من مصر والأردن ولبنان وسوريا على إتفاقياتٍ مع الكيان الصُّهيونيِّ نصَّت على عدم استخدام القُوَّة العسكريَّة في تسوية مشكلة فلسطين وعدم قيام القوات المسلحة لأي من الفريقَيْن بأيِّ عملٍ عدائيٍّ أو التَّخطيط لمثل هذا العمل أو التَّهديد به، ونتج عن هذه المفاوضات نوعًا من الإعتراف القانونيِّ والواقعيِّ من جانب حكومات هذه البلدان بإسرائيل، وعندما شكَّلتْ الأمم المتحدة لجنة التَّوفيق الخاصة بفلسطين في ديسمبر 1948م، وكانت مُشكَّلةٌ من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا، كان من ضمن مهامها العمل على تنفيذ القرار "194" الخاص بحقِّ العودة وتعويض من لا يرغب في العودة من اللَّاجئين الفلسطينيِّين، دعت لجنة التَّوفيق إلى اجتماعٍ في لوزان في عام 1949م، حضرته الدِّول التي وقَّعت إتفاقيات الهدنة، واستمر من أبريل إلى سبتمبر 1949م، وفي نهايته وقَّعت الوفود العربية مع الكيان الصهيوني على بروتوكول "لوزان" الخاص باللَّاجئين، وأُرْفِقَ به القرار رقم 181 الصَّادر في نوفمبر من عام 1947م، عن الجمعيَّة العامَّة للأمم المتحدة، والمعروف باسم قرار تقسيم فلسطين.

وكان توقيع الحكومات العربيَّة الأربع على إتفاقيَّات الهدنة وعلى بروتوكول لوزان بمثابة إقرار بوجود إسرائيل، وبموافقتها على مشروع التقسيم، وعلى هذا الأساس أصدرت الجمعيَّة العامَّة للأمم المتحدة سنة

1949م قـرارًا بقبـول انضـمام إسـرائيل إلـى الأمـم المتحدة.

وبعـد العـدوان الثُّلاثـيِّ فـي عـام 1956م، وافقـتْ حكومة الرَّئيس المصريِّ الرَّاحل جمال عبد النَّاصـر علـى وقف إطلاق النَّار، كان من بين شروطه السَّـماح للسُّـفن الإسرائيليَّة بالمرور في خليج العقبة المصريِّ، وكان ذلك، من وجهة نظر الكثير من المؤرِّخين أوَّل نمط مـن أنمـاط التَّطبيع بين العرب وإسرائيل.

وبعـد حـرب يونيـو 1967م، والـتي اسـتولى فيهـا الجيـش الصُّـهيونيُّ علـى شـبه جزيـرة سـيناء المصـريَّة وقطاع غزَّة والضِّفَّة الغربيَّة الفلسطينيَّيْن، بالإضـافة إلـى هضبة الجولان السُّوريَّة، وافق العرب على القرار "242" الصَّـادر فـي 22 نوفمـبر 1967م، عـن مجلـس الأمـن الدَّوليِّ، وكان من بين ما ينـصُّ عليـه هـو بـدء مفاوضـات لإحلال السَّلام في الشَّرق الأوسط بين العرب وإسرائيل، وفي التَّاسع من ديسـمبر مـن عـام 1969م، طـرح وزيـر الخارجيَّة الأمريكيُّ وليليام روجرز مبادرته الشَّـهيرة الـتي أوقفتْ حرب الاستنزاف على الجبهة المصريَّة، والتي تـمَّ تعديلها بالصِّيغة التي قبلتها مصر في 23 يوليـو مـن عـام 1969م، وأعطـتْ هدنـةٌ لمـدة ثلاثـة أشـهرٍ بيـن مصـر وإسرائيل، وتُعْتَبر المبادرة، من وجهة نظـر الكـثيرين هـي أوَّل الطَّريق الذي قاد بعد ذلك إلى كـامب ديفيـد ومدريـد وأوسلو بين العرب وإسرائيل.

السادات ومعاهدة السلام الصهيوأمريكية

الفرق بين عبدالناصر والسادات، أن عبدالناصر كانت علاقته بالمخابرات الأمريكية سرية غير معلنة، بينما كانت علاقة السادات بالأمريكان علنية، السـادات طـرح تعـاونه

مع الولايات المتحدة كإستراتيجية سياسية معلنة ورسمية للبلاد لتحقيــق مكاســب لمصــر فــي مواجهــة الكيــان الصهيوني وتحققت له أكبر خسارة، هو الوحيد الذي قاتل الصهاينة وبادرهم بهجوم واسترد منهم سيناء، ومع التأييـد العلني من أمريكا في حـرب 1973 والـذي كـان العامـل الحاسـم فـي إحبـاط نصـر عربـي محتمـل فقـد كافأناهـا بالإرتماء في أحضانها وقطع العلاقة مع روسيا[1].

جـاء السـادات ليفتـح البـاب علـى مصـراعيه للإنتـاج ورأس المـال الأجنـبي وخسـرنا جولـة أخـرى فـي حـرب الاستقلال، وقـع السـادات علـى معاهـدة السـلام ليحـول النصر العسكري في حـرب 1973 إلـى هزيمـة سياسـية بتوقيع المعاهـدة الـتي اتخـذت بقـرار فـردي مـن طاغيـة ديكتـاتور أدت إلـى قطـع مصـر علاقاتهـا بالأمـة العربيـة لتدعم علاقتها بالكيان الصـهيوني مهـددا الوحـدة العربيـة في مقتل ومهـددا الأمـن القـومي المصـري بوجـود كيـان عدائي يسعى إلى تحقيق أحلامه بدولـة كـبرى مـن النيـل إلى الفرات.

جاء السادات وحقق في بداية عهده ما كانت تحلم به مصر من تحرير سيناء بانتصار عزيـز فـي حـرب رمضـان 1393هـ، أكتوبر 1973م، وهزيمة مدوية للجيش الـذي لا يقهر، ليبدأ بعد النصر في السير على نهج سلفه بالإرتمـاء في أحضان أمريكا الـتي وقفـت دون مواربـة مـع الكيـان الصهيوني ضد مصر في الحرب، ومع ذلك نسي نصر الله له وخاف بطش أمريكا به، فكانت معاهـدة السـلام الـتي أدت إلى تحرير سيناء لكنهـا بقيـت منزوعـة السـلاح فـي جزءها الشرقي، وبقيت حدودها الشرقية غير آمنة بقوات عسكرية وتعمير حقيقي لها كمـا فعـل الكيـان الصـهيوني حين احتلهـا فـي عـام 1967 ببنـاء مسـتوطنات وفنـادق

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:420 (1408هـ- 1988م)

وشـركات سـياحية وطـرق بريـة وبحريـة، لـم يلتفـت السادات إلـى أن التحريـر الفعلـي لسـيناء بتنميتهـا وزرع المصريين بأرضها ليكونـوا سـدا منيعـا يـواجه أي عـدوان، كما أدت الإتفاقية إلى التنازل عـن أرض فلسـطين وهـذه جريمة حيث تنازل من لا يملك إلـى مـن لا يسـتحق، كمـا أدت إل قطع علاقاتنـا بالـدول العربيـة الـتي هـي أسـاس الأمن القومي المصري.

معاهدة كامب ديفيد

http://www.wata.cc/forums/showthread.php?t=83217

في 11 نوفمبر 1977 أعلن مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل ترحيبه بمبادرة السادات ووجه إليـه عـن طريـق السـفارة الأمريكيـة دعـوة رسـمية لزيـارة فلسـطين المحتلة، وفي الفترة بين 19-21 نوفمبر من العام نفسـه، قام السادات بزيـارة القـدس المحتلـة حيـث ألقـى أمـام الكنيسـت خطابـا عـرض فيـه وجهـة نظـره فـي الصـراع العربي الإسرائيلي وضمنه بعـض اقتراحـات لتسـوية هـذا النزاع، كما أجرى مباحثات مع رئيس الحكومة الإسرائيلية وعدد من رؤساء الكتل البرلمانية في الكنيست.

حدد الوفد المصري رؤية حكومته لموضوعات البحث في النقاط الخمس الآتية:

- إنسحاب إسرائيل الكامل مـن الأراضـي العربيـة الـتي احتلت بعد حزيران 1967.
- إعتبار القضية الفلسطينية جـوهر النـزاع فـي الشـرق الأوسط وترتيب السلام الدائم على حل هـذه القضـية بإعادة الحقوق المشـروعة للشـعب الفلسـطيني بمـا فيه حقه في إقامة دولته.
- أن يكون الحل الشامل هو الإطار العام للمباحثات.

- ايجاد تصور مشترك يكفل الأمان لكل الأطراف.
- العمل على سير خطوات المؤتمر بالمرونة التي تتيح انضـمام أي أطـراف فـي أيــة مرحلــة مــن مراحــل المؤتمر، وبالقدر الذي يسـمح برفـع مسـتوى التمثيـل فيه إذا ما اقتضت الظروف ذلك.

في 25 ديسمبر 1977 التقى السـادات بيجـن فـي مدينـة الإسـماعيلية. وفـي هـذا اللقـاء تـم رسـميا طـرح مشروع بيجن للتسوية، وهو المشروع الـذي أعلنـه بيجـن فيما بعد رسميا أمام الكنيست يـوم 28 ديسـمبر 1977، ويشكل هذا المشروع في الواقع أهم ما جاء في إتفاقيتي كامب ديفيد وينقسم إلى جزئيـن: الأول يتعلـق بمسـتقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، والثـاني قواعـد التسـوية مـع مصر.

استمرت القمة الثلاثية في منتجع كـامب ديفيـد ثلاثـة عشر يوما وشهدت مفاوضات وصفت بأنها شاقة ومتعبــة وكـادت تفشـل أكـثر مـن مـرة، وقـد شـارك فـي هـذه المفاوضات بالإضافة إلى الرؤساء الثلاثة كارتر والسادات وبيجـن وزراء خـارجيتهم وكبـار مستشـاريهم السياسـيين والعسكريين والقانونيين.

ولكن القرارات الحاسمة اتخـذت مـن قبـل الرؤسـاء وحدهم. وهذا يصدق بالدرجة الأولى على القرار المصري الذي حسـمه الرئيـس السـادات بنفسـه، بـدليل إسـتقالة وزير خارجيته عقب إعلانه عـن مقـررات القمـة احتجاجـا عليها، وكان ثالث وزير خارجية مصري يستقيل منذ إعلان السادات عزمه على زيارة القدس.

- ديكتاتورية السادات في توقيع معاهدة السـلام كـانت وبالا على الشعب المصري، بـل علـى العـالم العربـي والإسلامي بأكمله، لأن قضية فلسـطين ليسـت قضـية

مصـر وحـدها أو فلسـطين وحـدها بـل قضـية العـالم الإسلامي أجمع.

- هذه الدكتاتورية لابد مـن تقييـدها فـي الدسـاتير الـتي تحكم هذه البلاد، بوضع بند يلزم الرئيـس عـدم توقيـع إتفاقيات دولية إلا بعد اسـتفتاء شـعبي عليهـا، حـتى لا تتكرر تلك المأساة مرة أخرى

في يوم 18 سـبتمبر 1978 أعلـن الرؤسـاء الثلاثـة إتفاقهم على وثيقـتين أساسـيتين: سـميت الأولـى "اطـار عمل للسلام في الشرق الأوسـط" وجـاءت الثانيـة تحـت عنــوان "اطــار عمــل لعقــد معاهــدة ســلام بيــن مصــر واسرائيل".

وقد وقع الوثيقتين كل من السادات وبيجن كطرفيــن وكارتر كشاهد، وهذا تخريج غاية في الغرابـة مـن الناحيـة القانونيــة لاشــتراك واشــنطن سياســيا فــي وثيقــتين قــانونيتين، وقــد أعلــن مــع الوثيقــتين الأساسـيتين عــن مجموعة من الرسائل المتبادلة بين كارتر والسـادات مـن جهة، وكارتر وبيجن من جهة أخرى.

في 26 مارس 1979 وعقب محادثات كامب ديفيد وقع الجانبـان علـى مـا سـمي معاهـدة السـلام المصـرية الإسرائيلية وكانت المحاور الرئيسية للمعاهـدة هـي إنهـاء حالة الحرب وإقامة علاقات ودية بين مصـر و إسـرائيل و إنسحاب إسرائيل من سيناء التي احتلتها عام 1967 بعد حرب الأيام الستة وتضمنت المعاهدة ايضـا ضـمان عبـور السفن الإسرائيلية قناة السويس و إعتبار مضيق تيـران و خليج العقبة ممرات مائية دولية.

تضـمنت المعاهـدة أيضـا البـدء بمفاوضـات لإنشـاء منطقة حكم ذاتي للفلسطينيين في الضفة و قطـاع غـزة والتطبيق الكامل لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 242.

حـتى اليـوم لـم ينجـح السـفراء الإسـرائيليين فـي القاهرة ومنذ عام 1979 في إختراق الحـاجز النفسـي و الإجتمـاعي و السياسـي و الثقـافي الهـائل بيـن مصـر و إسرائيل ولاتزال العديد من القضايا عالقة بين الـدولتين و منها:

- مسـألة محاكمـة مجرمـي الحـرب مـن الجيـش الإسرائيلي المتهمين بقضية قتـل أسـرى مـن الجيـش المصري في حرب أكتوبر والتي جددت مصر مطالبتها بالنظر في القضية عام 2003.
- إمتنـاع إسـرائيل التوقيـع علـى معاهـدة منـع الانتشـار النووي.
- مسألة مدينة "أم الرشراش" المصرية والتي لاتـزال تحـت سـيطرة إسـرائيل ويطلـق علـى المدينـة إسـم "إيلات" من قبل الإسرائيليين. حيث إن البعـض مقتنـع إن قريـة أم الرشـراش أو إيلات قـد تـم إحتلالهـا مـن قبل إسـرائيل فـي 10 مـارس 1949 وتشـير بعـض الدراسـات المصـرية أن قريـة أم الرشـراش أو إيلات كـانت تـدعى فـي الماضـي قريـة الحجـاج حيـث كـان الحجـاج المصـريون المتجهـون إلـى الجزيـرة العربيـة يستريحون فيها.
- قضـية الأمـوال الـتي تعتبرهـا مصـر "أمـوال منهوبـة" نتيجة إسـتخراج إسـرائيل للنفـط فـي سـيناء لمـدة 6 سنوات.

مقدمة المعاهدة الأولى "اطار عمل للسلام في الشرق الأوسط"

تبـدأ المعاهـدة بمقدمـة مطولـة أكـد فيهـا الفريقـان بصـورة خاصـة: "أن البحـث عـن السـلام فـي الشـرق الأوسط يجب أن يسترشد بالآتي:

- إن القاعدة المتفق عليها للتسوية السلمية لنـزاع بيـن اسرائيل وجيرانها هو قـرار مجلـس الأمـن رقـم 242 بكل أجزائه.
- إن شعوب الشرق الأوسط تتشوق إلـى السـلام حـتى يصبح ممكنا تحويل موارد الإقليـم البشـرية والطبيعيـة الشاسعة لمتابعة أهداف السلام وتصبح هذه المنطقـة نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم.
- إن مــواد ميثــاق الأمــم المتحــدة والقواعــد الأخــرى المقبولــة للقــانون الــدولي والشــرعية الآن تــوفر مستويات مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول.
- إن تحقيق علاقة سلام وفقا لروح المادة 2 من ميثـاق الأمم المتحدة وإجراء مفاوضـات فـي المسـتقبل بيـن إسرائيل وأي دولة مجاورة مسـتعدة للتفـاوض بشـأن السـلام والأمـن معهـا أمـران ضـروريان لتنفيـذ جميـع القيود والمبادئ في قراري مجلس الأمن رقم 242 و 338.
- إن السلام يتطلب احترام السـيادة والوحـدة الإقليميـة والاستقلال السياسي لكل دولة فـي المنطقـة وحقهـا في العيش في سلام داخل حـدود آمنـة ومعـترف بهـا غير متعرضة لتهديدات أو أعمال عنف.
- إن السلام يتعزز بعلاقـة السـلام والتعـاون بيـن الـدول التي تتمتع بعلاقات طبيعية. وبالاضافة إلـى ذلـك فـانه في ظل معاهدات السلام يمكن للأطراف على أساس التبـادل الموافقـة علـى ترتيبـات أمـن خاصـة، مثـل مناطق منزوعة السلاح ومنـاطق ذات تسـليح محـدود ومحطـات إنـذار مبكـر ووجـود قـوات دوليـة وقـوات إتصال وإجراءات يتفق عليها للمراقبة.
- إن الاطراف تضع هذه العوامـل فـي الاعتبـار مصـممة على التوصل إلـى تسـوية عادلـة وشـاملة ومسـتديمة

لصراع الشـرق الأوسـط عـن طريـق عقـد معاهـدات سلام تقوم علـى قـراري مجلـس الأمـن رقـم 242 و 338 بكـل فقراتهمـا. وهـدفهم مـن ذلـك هـو تحقيـق السـلام وعلاقـات حسـن الجـوار، وهـم يـدركون أن السلام لكي يعمر يجب أن يشمل جميـع هـؤلاء الـذين تأثروا بالصراع. لذا فإنهم يتفقون على أن هـذا الإطـار في رأيهم مناسب ليشكل أساسا للسلام، لا بين مصر وإسرائيل فحسب بل بين إسرائيل وكـل مـن جيرانهـا الآخرين ممن يبدون استعدادا للتفـاوض علـى السـلام معها على هذا الأساس.

معاهـة " اطار عمـ للسلاـم في الشرـق الأوسط"

ينبغي أن تشـترك مصـر وإسـرائيل والأردن وممثلـوا الشـعب الفلسـطيني فـي المفاوضـات الخاصـة بحـل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها، ولتحقيق هـذا الغـرض فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ولتحقيـق هـذا الغـرض فـان المفاوضـات ينبغـي أن تتـم علـى ثلاث مراحل:

- في المرحلة الأولى: تتفق مصر وإسرائيل على أنه من أجـل ضـمان نقـل منظـم وسـلمي للسـلطة يجـب أن تكـون هنـاك ترتيبـات انتقاليـة بالنسـبة إلـى الضـفة الغربية وغزة لفترة لا تتجاوز الخمس سنوات. ولتوفير حكـم ذاتـي كامـل لسـكان الضـفة الغربيـة وغـزة ستنسـحب الحكومـة الإسـرائيلية العسـكرية وإدارتهـا المدنية منهما فـورا بعـد أن يتـم انتخـاب سـكان هـذه المنطقـة سـلطة حكـم ذاتـي تحـل محـل الحكومـة العسـكرية الحاليـة. ولمناقشـة تفاصـيل الترتيبـات الإنتقاليـة ستسـتدعي حكومـة الأردن للإنضـمام إلـى المباحثات على أساس هذا الإطـار. ويجـب أن تعطـي

هذه الترتيبات الجيدة الاعتبار اللازم لكل من مبدأ الحكم الذاتي لسكان هذه الأراضي واهتمامات الأمن الشرعية لكل من الأطراف التي يشملها النزاع.

- وفي المرحلة الثانية: تتفق مصر وإسرائيل والأردن على وسائل إقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد يضم وفدا مصر والأردن ممثلي الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين طبقا لما يتفق عليه. وستتفاوض الأطراف بشأن معاهدة تحديد مسؤوليات سلطة الحكم الذاتي التي ستمارس في الضفة الغربية وغزة. وسيتم إنسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية ويكون هناك إعادة توزيع للقوات الإسرائيلية التي ستبقي في مواقع أمن معينة. وستتضمن المعاهدة أيضا تأكيد الأمن الداخلي والخارجي والنظام العام. كذلك سيتم تشكيل قوة شرطة محلية قوية قد تضم مواطنين أردنيين بالإضافة إلى ذلك ستشترك القوات الإسرائيلية والأردنية في دوريات وفي تقديم الأفراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود.
- أما الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس وهي المرحلة الثالثة فتبدأ عندما تقوم سلطة الحكم الذاتي (مجلس اداري) في الضفة الغربية وغزة في أسرع وقت ممكن، على ألا يتأخر قيامها عن العام الثالث لبداية الفترة الإنتقالية. وستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما مع جيرانهما وإبرام معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الإنتقالية. وستدور هذه المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن والممثلين المنتمين إلى سكان الضفة الغربية وغزة

وبموجب الوثيقة الخاصة بالضفة والقطاع اتفق أيضا على انعقاد لجنتين منفصلتين إحداهما تتكون من ممثلي

الأطـراف الأربعـة الـتي سـتتفاوض علـى الوضـع النهـائي للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما مع جيرانهما والثانيـة مـن ممثلي إسرائيل والأردن ويشترك فيها ممثلو السكان في الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة السـلام بيـن إسرائيل والأردن. وستضع هذه اللجنة في تقديرها الإتفاق الـذي تـم التوصـل إليـه بشـأن الضـفة الغربيـة وغـزة. وستتركز المفاوضات على أساس جميع نصـوص ومبـادئ قرار مجلس الأمن رقم 242. وستقرر هذه المفاوضـات فيما تقرر موضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن. ويجب أن يعترف الحل الناتـج عـن المفاوضـات بـالحقوق الشـرعية للشعب الفلسطيني ومطالبه العادلة.

وبهذا الأسلوب سيشـترك الفلسـطينيون فـي تقريـر مستقبلهم من خلال:

- أن يتم الإتفاق فـي المفاوضـات بيـن مصـر وإسـرائيل والأردن وممثلـي السـكان فـي الضـفة الغربيـة وغـزة على الوضع النهائي للضـفة الغربيـة وغـزة والمسـائل البارزة الأخرى بحلول نهاية الفترة الإنتقالية.
- أن يعرضوا إتفاقهم على ممثلي سكان الضفة الغربية وغزة للتصويت عليه.
- إتاحة الفرصة للممثليـن المنتخـبين عـن السـكان فـي الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفيـة الـتي سـيحكمون بها أنفسهم تمشيا مع نصوص الإتفاق.
- المشـاركة كمـا ذكـر أعلاه فـي عمـل اللجنـة الـتي تتفاوض بشأن معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن.

ورعم كل ما في هذه النصوص من ضـمان لإسـرائيل وأمنها تمضي الوثيقة الخاصـة بالضـفة والقطـاع لتضـيف المزيـد. فهـي تنـص علـى أنـه يتـم اتخـاذ كـل الإجـراءات والتدابير الضرورية لضمان أمـن إسـرائيل وجيرانهـا خلال

الفترة الإنتقالية وما بعدها. وللمساعدة على توفير مثل هذا الأمن ستقوم سلطة الحكم الذاتي بتشكيل قوة قادرة من الشرطة المحلية تجند من سكان الضفة والقطاع. وستكون قوة الشرطة على اتصال مستمر بالضباط الإسرائيليين والأردنيين والمصريين المعينين لبحث الأمور المتعلقة بالأمن الداخلي.

أما عن السكان العرب الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة في عام 1967 فقد قرر أرباب كامب ديفيد أن يشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتي خلال الفترة الانتقالية لجنة تعقد جلساتها باستمرار وتقرر بالإتفاق مدى السماح بعودة هؤلاء العرب مع اتخاذ الإجراءات الضرورية لمنع الاضطراب. ويجوز أيضا لهذه اللجنة أن تعالج الأمور الأخرى ذات الاهتمام المشترك وستعمل مصر وإسرائيل معا ومع الأطراف الأخرى المهتمة لوضع إجراءات متفق عليها للتنفيذ العاجل والعادل والدائم لحل مشكلة اللاجئين.

معاهدة " إطار لإبرام معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل"

أما الوثيقة الخاصة بالسلام بين مصر وإسرائيل فقد نصت على التفاوض بين الطرفين لتحقيق إنسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء على مرحلتين:

- المرحلة الأولى إنسحاب يتم في فترة تتراوح بين ثلاثة وتسعة شهور بعد توقيع معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية التي يجب أن توقع في غضون ثلاثة أشهر.
- وأما المرحلة الثانية فيتم فيها الإنسحاب الإسرائيلي النهائي من سيناء خلال فترة تتراوح بين عامين أو ثلاثة أعوام من تاريخ توقيع معاهدة السلام.

وتقضي الوثيقة فيما تقضي بإقامة علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل عند إتمام الإنسحاب في المرحلة الأولى. وتحدد الوثيقة مرابطة قوات الجانبين بعد توقيع معاهدة السلام المرتقبة. وقد كانت مبادئ هذه الوثيقة الأساس التي انبنت عليها معاهدة الصلح التي وقعها الجانبان في واشنطن بتاريخ 26 مارس 1979.

ولم ينس المفاوضون في كامب ديفيد أن يلبوا المطالب الإسرائيلية بأن تكون المبادئ التي أرسوها في إتفاقهم أساسا للتفاوض المرتجى بين إسرائيل والأطراف العربية الأخرى فألحقوا بوثائق المؤتمر عددا من البنود الخطيرة منها أن على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول التي تعيش في سلام، وعند هذا الحد ينبغي أن يتعهدوا بالإلتزام بنصوص ميثاق الأمم المتحدة، ويجب أن تشتمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على:

- إعتراف كامل.
- إلغاء المقاطعة الاقتصادية.
- ضمان تمتع المواطنين في ظل السلطة القضائية بحماية الإجراءات القانونية في اللجوء إلى القضاء. كذلك يجب على الموقعين استكشاف إمكانيات التطور الإقتصادية في إطار إتفاقيات السلام النهائي بهدف المساهمة في صنع جو السلام والتعاون والصداقة التي تعتبر هدفا مشتركا لهم. كما يجب إقامة لجان للدعاوى القضائية للحسم المتبادل لجميع المطالب القضائية المالية.

أما تنفيذ إتفاق كامب ديفيد فقد جعل برعاية الولايات المتحدة الأمريكية أولا فاتفق الطرفان المتعاقدان على أن تدعى الولايات المتحدة للإشتراك في

المحادثـات بشـأن موضـوعات متعلقـة بشـكليات تنفيـذ الإتفاقيات واعداد جدول زمني لتنفيذ تعهـدات الأطـراف. وأما مجلس الأمن الدولي فسيطلب إليه المصـادقة علـى معاهـدات السـلام وضـمان عـدم انتهـاك نصوصـها. كمـا سيطلب إلى الأعضاء الدائمين في مجلس الأمـن التوقيـع علــى معاهــدات الســلام وضــمان احــترام نصوصــها. وسيطلب إليهم كـذلك مطابقـة سياسـتهم مـع التعهـدات التي يحتويها هذا الاطار.

الرسائل الملحقة بالمعاهدة

أما الرسائل المتبادلة بيـن أربـاب كـامب ديفيـد فقـد كانت حول عدد من الموضوعات:

الرسـالة الأولـى: حررهـا الرئيـس السـادات إلـى الرئيس كـارتر وحـاول فيهـا تسـجيل مـوقفه مـن الوضـع القانوني لمدينة القدس العربية من حيث ضرورة اعتبارها جزءا لا يتجزأ من الضفة الغربية ووجـوب احـترام وإعـادة الحقــوق العربيــة الشــرعية والتاريخيــة إلــى المدينــة واعتبارها تحت السـيادة العربيـة، علـى أن تتـوافر لجميـع الشعوب حرية الوصول إلى الأماكن المقدسـة لكـل ديـن من الأديان الثلاثة تحت إدارة وإشراف ممثلي هذا الـدين. كما دعا إلى عدم تقسيم المدينة مع موافقته علـى إقامـة مجلس بلدي مشترك يتكون من عدد متساو من كـل مـن العرب والإسرائيليين.

الرسالة الثانية: موجهة من بيجـن إلـى كـارتر، وقـد رفـض فيهـا بيجـن موقـف السـادات السـابق مؤكـدا أن القـدس تعـد وفـق القـوانين الإسـرائيلية الصـادرة فـي 28يونيو 1967 مدينة واحدة غير قابلـة للتقسـيم، وأنهـا عاصمة دولة إسرائيل.

سجل الرئيس كارتر موقف بلاده من هذا الموضوع في الرسالة الثالثة التي وجهها إلى السادات وأرسل نسخة منها إلى بيجن . وفيها أعلن أن موقف الولايات المتحدة بشأن القدس يظل الموقف الذي أعلنه السفير جولدبيرج أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 14 يوليو 1967 وأكده من بعده السفير بوست أمام مجلس الأمن في أول تموز 1969، وهذا الموقف الذي عبر عنه كارتر بهذه الطريقة الملتوية يقوم على اعتبار القدس العربية جزءا من الأراضي التي احتلتها إسرائيل بالقوة عام 1967 لا أكثر.

كذلك تم تبادل رسالتين حول الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد وجه السادات الرسالة الأولى إلى كارتر وأكد فيها أنه من أجل ضمان تنفيذ البنود المتعلقة بالضفة الغربية وغزة، ومن أجل حماية الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ستكون مصر على استعداد للاضطلاع بالدور العربي الذي تحدده هذه البنود، وذلك بعد المشاورات مع الأردن وممثلي الشعب الفلسطيني.

وأما الرسالة الثانية فكانت من بيجن إلى كارتر وفيها سجل الأول أن كارتر أبلغه أنه سيفسر ويفهم عبارات الفلسطينيين، أو الشعب الفلسطيني، الواردة في كل فقرة من وثيقة اطار التسوية المتفق عليها بأنها تعني عربا فلسطينيين ولكن بيجن لا يشير إلى أنه يوافق على هذا التفسير الأمريكي. غير أنه لا ينسى أن يؤكد أن الحكومة الإسرائيلية تفهم وستفهم تعبير الضفة الغربية في أي فقرة يرد فيها من وثيقة إطار التسوية على أنه يعني يهودا والسامرة.

وتبادل كارتر والسادات وكارتر وبيجن رسائل أخرى حول موضوع المستعمرات الإسرائيلية في سيناء. فقد طالب السادات بإزالة هذه المستعمرات كشرط مسبق

لبـدء مفاوضـات السـلام الـتي تسـتهدف الوصـول إلـى معاهدة نهائية مع إسرائيل في حين أجاب بيجـن أنـه غيـر مخـول بـالبت فـي هـذا الموضـوع مـالم يعرضـه علـى الكنيست الإسرائيلية. وقد أخذ كارتر علمـا بهـذا الموقـف الإسرائيلي ونقله بدوره إلى السادات. وجـدير بالـذكر أن الكنيست وافقت على إخلاء القرى الإسرائيلية في سـيناء وإعادة توطين ساكنيها فاتحة الطريـق بـذلك للحكومـتين المصـرية والإسـرائيلية للمضـي فـي خطـوات التسـوية الثنائية التي تبلورت في معاهدة 29 مارس 1979.

لم تحتو المعاهدة إعتراف الكيان الصـهيوني المحتـل بحق الشـعب الفلسـطيني فـي تقريـر مصـيره، لـم تحتـو المعاهــدة الموقــف مــن القــدس وتركــوه للخطابــات المتبادلة بيـن المصـريين والأمريكـان واليهـود، ولـم تكـن لتلك الخطابات أية قيمة قانونية أو عملية لأنهـا ليـس لهـا طبيعـة تنفيذيـة ولا تلـزم إسـرائيل بالإنسـحاب مـن تلـك الأراضي، وكانت هذه الخطابات تدور وراء بعضـها البعـض مثل الخيول الخشبية المثبتة على مراجيـح الملاهـي، كـل حصان يسير وراء الحصان الذي أمـامه دون أن يلحـق بـه أبدا [1]

الآثار المترتبة على المعاهدة على القضية الفلسطينية

لقـد حـاولت الوثيقـة الخاصـة "بإطـار السـلام فـي الشـرق الأوسـط" الـتي وقعهـا السـادات وبيجـن وشـهد عليها، وقد يقال ضمنها كارتر أن تنسف قضـية فلسـطين كقضية قومية لكل العرب عبر الأجيال وتحولها من قضـية شعب يناضل من أجل حقوقه الوطنية إلـى قضـية سـكان أراضي محتلة فحسب، ويتضح ذلك مما يلي:

---

[1] محمد إبراهيم كامل: السلام الضائع في كامب ديفيد ص:607 (1987م)

- لم تأت الوثيقة على ذكر الشعب الفلسطيني إلا في جملتين فقط، وحتى هاتان الجملتان فرغتا من أي معنى حيث مضت الوثيقة في كل موضع آخر تركز على سكان الضفة والقطاع، أو فلسطيني المنطقتين، وتمنحهم حق الحكم الذاتي لا أكثر، ويلاحظ أن الحكم الذاتي جعل للسكان، فحسب، مما يفسح المجال أمام إسرائيل للنقاش حول شمول حق السكان في الأرض التي يقيمون عليها.
- استبعدت الوثيقة منظمة التحرير الفلسطينية من أي دور في التسوية، وهي المنظمة التي اعترف لها وحدها بتمثيل الشعب الفلسطيني من قبل الدول العربية بلا استثناء، ومن معظم دول العالم ومنظمة الأمم المتحدة، وأهم من ذلك كله من الشعب الفلسطيني.
- تنكرت الوثيقة لحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني الذي اعترفت بها الجماعة الدولية ممثلة بصورة خاصة في الأمم المتحدة ومعظم دول العالم. وبذا تكون الوثيقة قد سعت لإلغاء جميع المكاسب والمنجزات على كافة الصعد. فهي إذ حصرت حق الفلسطينيين في الضفة والقطاع في الحكم الذاتي خرجت تماما عما تواضعت عليه الجماعة الدولية حول مضمون تقرير المصيرعموما، وتقرير المصير للشعب الفلسطيني بصورة خاصة.
- لم تتطرق الوثيقة إلى حق الفلسطينيين المطرودين من ديارهم في العودة دون قيود، وهو حق اعترفت لهم به الأمم المتحدة منذ قرارها 194 لعام 1948، وحتى الآن.
- إن ما ورد في الوثيقة حول حقوق الفلسطينيين ليس إلا تكرارا لمشروع بيجن للحكم الذاتي الذي تظاهر السادات برفضه في الإسماعيلية. ثم إن الوثيقة لم

تعط ممثلي السكان في الضفة والقطاع أي حـق فـي اتخـاذ قـرارا يتعلـق بمصـيرهم غيـر الموافقـة علـى اقتراحات تقدم لهم من قبل إسـرائيل ومصـر والأردن مجتمعين وهذا يعني فعليا أن مصـيرهم رهـن بـالقرار الإسرائيلي وحده.

- تناست الوثيقة عمدا مدينة القدس، وهذا يشكل تنازلا من جانب السـادات عـن الحقـوق العربيـة والتاريخيـة والدينيــة والقانونيــة فــي المدينــة وتســليما بمزاعــم إسرائيل بجعلها عاصـمة لهـا. ولا يخفـف مـن هـذا مـا تبادله السادات وكارتر مـن رسـائل. فقـد اكتفـى كـل منهمـا – وأحـدهما كـارتر ليـس طرفـا فـي النـزاع – بمجرد تسـجيل موقـف. وأمـا الطـرف المعنـي الآخـر إسرائيل فقد أكد موقفه العدواني من القدس.

إن موقف السادات الفعلي مـن القـدس يشـكل مـن خلال هذه الوثيقة خروجا علـى قـرارات مـؤتمرات القمـة العربية ومجلس الأمـن والجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة وتحــديا للمواقــف الصــريحة والمعلنــة لمجموعــة عــدم الإنحياز والمؤتمر الإسـلامي. وأهـم مـن هـذا كلـه يشـكل تحديا سافرا لحقوق الشـعب العربـي الفلسـطيني وعلـى الأراضي العربية المحتلة.

- لم تتطرق الوثيقة إلى مصير المستعمرات الإسرائيلية الحاليـة فـي الضـفة والقطـاع ولا تعرضـت لموضـوع الهجــرة الصــهيونية إليهمــا. وهــذا يعنــي أن ســيل الإستيطان سيسـتمر أو أنـه لـن يحـد منـه شـئ علـى الأقل، كما أن المستعمرات الحالية ستبقى. وفي هـذا تثبيت للمفهـوم الصـهيوني حـول مـا يسـميه الحقـوق التاريخية في أراضي فلسطين العربية ويمثلـه إصـرار بيجن على وصف الضفة الغربية بيهودا والسامرة.

- ربطت الوثيقة مستقبل الضفة الغربية والقطاع بموافقة الأردن على الإشتراك في المفاوضات المقترحة، وهذا يعني استمرار الوضع القائم إذا لم يوافق الأردن على هذا الإشتراك، وهذا ما حدث فعلا وحمل مصر على التفاوض باسم الجانب العربي دون أن تملك سلطة تخولها ذلك قانونيا.
- إن دور الأردن – اذا وافق على المشاركة في التسوية المفروضة – سيكون محدودا كدور ممثلي السكان في الضفة والقطاع، لأن القوات العسكرية الوحيدة التي ستوجد في الضفة والقطاع، حاضرا ومستقبلا، هي القوات الإسرائيلية، ولأن اليد الطولى في حسم جميع مشاريع الحكم الذاتي ومستقبل السكان ستكون لإسرائيل.
- واضح من نص الوثيقة أن إسرائيل لن تعود في جميع الأحوال إلى حدود ما قبل الخامس من حزيران 1967 ولن تسمح بإقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع، وهذا لا يتعارض فقط مع مبدأ عدم جواز اكتساب أراضي الغير بالقوة كما يعرفه ميثاق الأمم المتحدة بل ومع حقوق الشعب الفلسطيني كما قررتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بوضوح متزايد منذ مطلع السبعينات. يزاد على ذلك أن الوثيقة كرست المفهوم الإسرائيلي لما يسمى بالحدود الآمنة، وهو المفهوم الغريب على القانون الدولي.

القانون الدولي

إن وثيقة "إطار السلام في الشرق الأوسط" تخطت الشرعية الدولية وصادرت حق الدول العربية والمجتمع الدولي وخرقت مبادئ السلام العادل كما يعرفه القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة:

- فهي رغم العبارات المدنية الواردة فيها تتخطى بمضمونها الشرعية الدولية بصورة فاضحة. فالإطار الذي وقعت فيه وثيقتا كامب ديفيد يتعارض نصا وروحا مع قراري مجلس الأمن 338 و 242 اللذين أعطيا للأمم المتحدة والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الدور الأهم في التوصل إلى تسوية عن طريق ما عرف بصيغة جنيف. ثم إن الوثيقة تفرض على مجلس الأمن صيغة جديدة وطالبه والدول الدائمة فيه بحمايتها وكأنها محاولة لفرض وصاية على الأمم المتحدة ذاتها.
- إن ما تم التوصل إليه في كامب ديفيد يلغي عمليا قرارات الأمم المتحدة ، ولاسيما تلك التي تتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني وأراضيه المحتلة.
- تناولت هذه الوثيقة أطرافا وقضايا لا تتعلق بالموقعين عليها. وفي هذا خرق لأبسط قواعد المعاهدات الدولية التي تقضي بأن المعاهدة لا تلزم أصلا إلا عاقديها، فالوثيقة مست بصورة مباشرة مصالح سوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية والأردن فيما يتعلق بحرية الملاحة في مضيق تيران، كما أنها أهدرت حقوق الشعب الفلسطيني. وتلك كلها مسائل تخص هذه الأطراف قانونيا وتخص الأمة العربية كلها قوميا.

- إن في تصرف السادات بوثيقة إطار السلام خرقا بينا لميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك لعام 1950 وخروجا فاضحا على مقررات مؤتمرات القمة العربية المتتالية، ولا سيما قمتي الجزائر والرباط. وإضافة إلى ذلك فإن السادات نصب نفسه قيما على الأطراف العربية المعنية ووصيا على الحقوق القومية للأمة العربية. فقد تعهد إلى جانب ما تعهد به بإلغاء المقاطعة الإقتصادية العربية لإسرائيل من جانب واحد وحماية رعايا العدو الإسرائيلي في الدول العربية وإقامة علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية معه بكل ما في هذا وذاك من أضرار جسيمة على الجبهة العربية المواجهة للغزوة الصهيونية.
- استجابت الوثيقة للمطلب الإسرائيلي المستمر بإبرام معاهدة صلح منفردة حتى قبل أن يتحقق أهم شروط الصلح (الإنسحاب من كل الأراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني)، وهو أمر خلق سابقة فريدة من نوعها في العلاقات الدولية تقوم على أساس فرض إرادة الغالب على المغلوب مع إدعاء سيادة الأخير.
- كرست الوثيقة المزاعم الصهيونية بوجود حقوق مادية لليهود العرب الذين تركوا أقطارهم الأصلية بملء إرادتهم وسوتها بحقوق الفلسطينيين الذين هجروا من بلادهم بالقسر والإرهاب.

نتائج معاهدة السلام

بعد حرب رمضان/ أكتوبر 1973م، بَعَثَ وزير الخارجيَّة الأمريكيُّ هنري كيسنجر إلى الرئيس المصريِّ أنور السَّادات عن طريق مسشاره للأمن القوميِّ حافظ إسماعيل، رسالةً من رئيسة الوزراء الإسرائيليَّة جولدا

مـائير تُبـدي فيهـا اسـتعداد الكيـان الصُّـهيونيِّ للـدُّخول الفوريِّ في مباحثاتٍ مع المصـريين حـول كيفيَّـة معالجـة حصار الجيش الثَّاني المصريِّ للقوات الإسـرائيليَّة غربـي القنــاة، وحصــار الجيــش الإســرائيليِّ للجيــش الثَّــالث المصريِّ شرق القناة، وفكِّ حصار السويس. وفي الإطـار عُقِدَتْ بين مصر وإسرائيل سلسـلةً مـن المحادثـات ذات الطَّابع العسكريِّ، كانت أوَّلها محادثات الكيلـو 101 فـي أكتوبر 1973م، ثم محادثات فكِّ الاشتباك الأوَّل في يناير 1974م، وفكِّ الاشتباك الثَّاني في سبتمبر 1975م.

وفي العـام 1978م، نجحـت الولايـات المتحـدة فـي حَمْلِ مصر وإسرائيل على التَّوقيع علـى إتفـاقيَّتَيْ كـامب ديفيد، واللَّتَيْن كانتا أول الطريق على توقيع إتفاق السَّـلام بيـن مصـر وإسـرائيل فـي مـارس 1979م، والـتي تنـصُّ المادة الأولى منها، وفي فقرتها الثَّالثة على أنَّه عند إتمام الإنسـحاب الإسـرائيليِّ المرحلـيِّ المنصـوص عليـه فـي المُلحق الأوَّل من المعاهـدة مـن سـيناء "يُقيـم الطَّرفـان علاقاتٍ طبيعيَّةً ووُدِّيَّةً".

أولاً: حدث تطور خطير جدًّا في ملف الصراع العربي الصهيوني، وهو الإعتراف الرسمي بدولة إسرائيل، وهـذه كارثـة أضـخم مـن تخيُّلاتنـا، فهـي إقـرار بملكيـة الأرض الفلسطينية لليهود، وفيهـا أعلنـت مصـر أنهـا ترغـب فـي اسـترداد أراضـيها فـي مقابـل التنـازل عـن 78 % مـن مساحة أرض فلسطين، واعتبرت ذلك شيئًا من الواقعيـة، ولم يتوقف الأمر عند مصـر، بـل كـانت هـذه البدايـة، ثـم أعقب ذلـك بسـنوات إعـتراف الأردن والمغـرب وتـونس وجيبوتي وقطر وموريتانيا، بـل اعـترفت منظمـة التحريـر الفلسـطينية بالكيـان الصـهيوني، مضـيِّعةً بـذلك آمـال الملايين من المهجَّرين خارج أرض فلسطين. لقد كنا قبل كامب ديفيـد نتحـدث عـن قضـية الوجـود الصـهيوني فـي

فلسطين، ثم صرنا بعدها نتكلم عن الحدود والمستوطنات، وشتَّان.

ثانيًا: نصَّت معاهدة كامب ديفيد على تحديد عدد أفراد الجيش المصري في سيناء، وقسَّمت سيناء إلى ثلاث مناطق طولية؛ منطقة (أ) في غرب سيناء، وهذه يُسمح فيها للمصريين بقوات لا تزيد على 22 ألف مقاتل. ومنطقة (ب) في الوسط ليس فيها إلا أربعة آلاف جندي من حرس الحدود بأسلحة خفيفة. ثم منطقة (ج) في شرق سيناء، وهي ملاصقة لدولة فلسطين المحتلة بإسرائيل، وهذه ليس فيها إلا قوات شرطة فقط، وبينما يُسمح للقوات العسكرية المصرية أن تبقى فقط في غرب سيناء، فإن القوات المسلحة اليهودية توجد على بُعد خمسة كيلو مترات فقط من الحدود المصرية الشرقية؛ مما يعني أن أي هجوم على سيناء سيعرِّضها لاحتلال سريع مباغت. ولعلنا نأخذ في الاعتبار أن اليهود احتلوا سيناء في 1956م في ثلاثة أيام، واحتلوها في 1967م في ست ساعات، ففي كم من الوقت سيحدث الاحتلال الآن، والفارق بين القوَّتين العسكريتين يتسع جدًّا لصالح اليهود.

ثالثًا: تم فصل مصر عن العرب والمسلمين يوم وُقِّعت هذه المعاهدة، بل قبل التوقيع بأشهر خمسة عقدت القمة العربية في بغداد في 2 من نوفمبر 1978م وأعلنت رفضها لكامب ديفيد، وتعليق عضوية مصر، ومقاطعتها تمامًا، وتم نقل مقر جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس، واستمرت هذه المقاطعة 9 سنوات كاملة حتى عادت العلاقات في 8 من نوفمبر 1987م بالقمة التي عُقدت في عمان، وحتى هذه العودة للعَلاقات لم تكن كاملة، إنما كانت مع ثمانية دول فقط، ولم تكن هذه العلاقات قوية نشطة، بل كانت فاترة. وفقدت مصر بذلك رصيدًا كبيرًا في قيادة العالم العربي،

وضيَّعت إيجابيات الوَحدة المهمَّة الـتي حـدثت بعـد حـرب 1973م، وبدأت تبحث عن بدائل لا معنى لها، لدرجـة أنـه ظهرت حركة ثقافية أيام المقاطعة العربية تدعو إلـى نبـذ العروبة والإسلام، والاتجاه إلـى الفرعونيـة والوطنيـة، ولا شك أن هذا تفتيت هائل للأمة يصبُّ في مصلحة اليهود.

رابعا: نصّت المادة الثالثة من إتفاقيات كـامب ديفيـد تحت عنوان العلاقات الثقافية على ما يلي:

- يتفق الطرفان على إقامة علاقات دبلوماسـية وتبـادل السفراء عقب الإنسحاب المرحلي.
- يتّفـق الطرفـان علـى أنّ التبـادل الثقـافي فـي كافّـة الميـادين أمـر مرغـوب فيـه، وعلـى أن يـدخلا فـي مفاوضـات فـي أقـرب وقـت ممكـن، وفـي موعـد لا يتجاوز ستّة أشهر بعد الإنسحاب المرحلي.
- كما نصّت المادة الخامسة الفقرة الثانيـة علـى تعـاون الطرفين على إنماء السلام والاسـتقرار والتنميـة فـي المنطقـة ويوافـق كـل منهمـا علـى النظـر فـي المقترحات التي قـد يـرى الطـرف الآخـر التقـدم بهـا تحقيقـا لهـذا الغـرض. (مـن كتـاب مشـاريع التسـوية للقضية الفلسطينية) ومع ذلـك كلـه فـإنه أثنـاء زيـارة بيجن لمصر فـي 25/8/1981م، أعـرب عـن اسـتيائه البالغ مـن اسـتمرار الطلبـة فـي مصـر بدراسـة كتـب التاريـخ الـتي تتحـدث عـن "اغتصـاب إسـرائيل لفلسطين" وكتب التربية الإسلامية التي تحتـوي علـى آيات من القرآن الكريـم تنـدّد بـاليهود وتلعنهـم ولعلـه يقصد مثل قوله _تعالى_: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَـدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُـودَ وَالَّـذِينَ أَشْـرَكُواْ وَلَتَجِـدَنَّ أَقْرَبَهُـمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُـواْ الَّـذِينَ قَـالُوَاْ إِنَّـا نَصَـارَى ذَلِـكَ بِـأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُـمْ لاَ يَسْـتَكْبِرُونَ" (سـورة المائدة: 82)، وقد أشارت الصحف إلى أنّ السـادات

استجاب على الفور لطلب صديقه بيجن، فأصدر أوامره للمختصين في وزارة التربية بإعادة النظر في المناهج الدراسية بما يتلاءم مع طلبات بيجن.

لماذا كل هذا الخوف من أمريكا و"إسرائيل"؟

إن مصر مكرهة على كل ما تفعله منذ حرب 1973م، فلقد قبلت وقف إطلاق النار تحت الإكراه، ووقَّعت إتفاقيات السلام تحت الإكراه،والتزمت بها وما زالت تحت الإكراه، وإن حياتنا جميعًا منذ ذلك الحين تجري وتدور تحت الإكراه الأمريكي والصهيوني. والإكراه يفسد الإرادة ويبطل التصرف، وعليه فإن إتفاقيات السلام المصرية "الإسرائيلية"، وكل ما ترتب عليها باطلةٌ بطلانًا مطلقًا طبقًا للمبادئ القانونية العامة وطبقًا لأحكام القانون الدولي، وفيما يلي التفاصيل:

أهم مساوئ كامب ديفيد

- سحبت مصر من الصراع ضد العدوين الصهيوني والأمريكي.
- إطلاق يد "إسرائيل" لتعربد كما تشاء في المنطقة.
- اعترفت بـ"إسرائيل" وتنازلت لها عن فلسطين 1948م.
- أضعفت المقاومة الفلسطينية، وجعلتها تقف منفردةً وحيدةً في مواجهة الآلة العسكرية الصهيونية.
- وضعت سيناء رهينةً دائمةً في يد "إسرائيل"، تستطيع أن تعيد احتلالها في أي وقت تشاء.
- أعادت صياغة مصر عسكريًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا وثقافيًّا على مقاس أمن "إسرائيل".

- وضعت مصر ومن فيها تحت قيادة ورحمة الولايات المتحدة الأمريكية.
- أعطت الضوء الأخضر لكل القوى الطائفية في المنطقة للانفصال عن الأمة، وتأسيس دويلات كردية وشيعية وسنية ومارونية وقبطية وزنجية على نموذج الدولة اليهودية "إسرائيل".
- ضربت وحدة الصف العربي التي تجلَّت في أعلى صورها في حرب 1973م.

أسباب البطلان

تنص معاهدة فيينا لقانون المعاهدات الصادرة في سنة 1969م في المادة رقم 51 على: "ليس لتعبير الدولة عن رضاها الالتزام بمعاهدة والذي تم التوصل إليه بإكراه ممثلها عن طريق أعمال أو تهديدات موجهة ضده أي أثر قانوني".

كما تنص المادة رقم 52 من نفس المعاهدة على: "تعتبر المعاهدة باطلةً بطلانًا مطلقًا إذا تم إبرامها نتيجة تهديد باستعمال القوة أو استخدامها بالمخالفة لمبادئ القانون الدولي الواردة في ميثاق الأمم المتحدة".

خلاصة المادتين السابقتين أن الإكراه الواقع على الدولة أوعلى ممثلها لتوقيع أى معاهدة يبطلها بطلانًا مطلقًا، وتنطبق نصوص المادتين على حالة مصر في الفترة من 1973 حتى 1979، وبالتحديد في الوقائع التالية:

وقائع الإكراه

أولاً: احتلال سيناء

الاحتلال الصهيوني للأراضي المصرية عام 1967م وما بعدها واستعمال للقوة بالمخالفة لمبادئ القانون الدولي الواردة في ميثاق الأمم المتحدة وبالتحديد في الفقرة الرابعة من مادتها الثانية التي تنص على: "يمتنع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة".

ثانيًا: سيناء رهينة

حالت الولايات المتحدة دون أن يُصدر مجلس الأمن قرارًا ينص على الإنسحاب الفوري من الأراضي المحتلة عام 1967 بدون أي قيد أو شرط، في سابقة هي الأولى من نوعها في تاريخ الأمم المتحدة.

وبدلاً من ذلك أصدروا القرار رقم 242 الذي تعامل مع سيناء وغيرها من الأراضي المحتلة كرهينة لدى "إسرائيل"، تعيدها إلى مصر بشرط الإعتراف بها والسلام معها.

ثالثًا: دعم أمريكا العدو الصهيوني في حرب 1973م

قال الرئيس أنور السادات في 16 أكتوبر 1973: "إن الولايات المتحدة أقامت جسرًا بحريًّا وجويًّا لتتدفق منه على "إسرائيل" دبابات جديدة وطائرات جديدة ومدافع جديدة وصواريخ جديدة وإلكترونات جديدة"، وقال في 16 سبتمبر 1975م "إنه في ليلة 19 من أكتوبر 1973م كان بقي لي عشرة أيام أواجه أمريكا بذاتها".

رابعًا: تهديد كيسنجر للسادات عن الثغرة

اعـترف السـادات فـي حـديثه لمجلـة (الحـوادث) اللبنانية عام 1975م بـأنه عنـدما أخـبر كيسـنجر يـوم 11 ديسمبر 1973 بأنه قـادرٌ علـى القضـاء علـى الثغـرة رد الأخير: "ولكن لا بـد أن تعـرف مـا هـو موقـف أمريكـا إذا أقدمت على هذه العملية فستضرب".

وهـو مـا دفـع السـادات- كمـا يـدعى- إلـى التفـاوض وقبوله إعادة 90% من قواتنا التي عـبرت إلـى مواقعهـا قبل العبور، وهو ما كان له بالغ الأثر على النتيجة النهائيــة لوضع القوات المصرية طبقًا للملحق الأمني في معاهــدة السلام عام 1979م.

خامسًا: التهديـات الإسـرائيلية قبلـ زيـارة القدس 1977م

ففي خطابه أمام مجلس الشـعب المصـري فـي 26 نوفمبر 1977م بعد عودته من القـدس جـاء الآتـي: "فـي جلسة مع وزير الدفاع "الإسرائيلي" عزرا وايزمـان تـوجه إلي بسؤال: لماذا كنت تريد أن تهجم علينـا فـي العشـرة الأيام الماضية"؟! قلت له: أبدًا.. بدأتم أنتم مناورة، وعلى طريقتنـا بعـد حـرب أكتـوبر وبأسـلوبنا أسـلوب الـدول المتحضرة التي تعرف مسئولياتها حينمـا بـدأتم منـاورات كما بدأ الجمسـي منـاورته أيضًـا بنفـس الحجـم، قـال إن تقــارير المخــابرات كلهــا أمــامي تقــول بــأنكم كنتــم ستضربوننا ضربةً مفاجئةً وكان في شـدة العصـبية.. هـذا هوا لحاجز النفسي الذي أتحـدث عنـه.. منـذ عشـرة أيـام وهم في شدة العصبية".

سادسًا: تهديد كارتر للسادات

ذكر الرئيس الأمريكي جيمي كارتر أنه عندما علم أن السادات قرر الإنسحاب من المفاوضات في كامب ديفيد والعودة إلى القاهرة فإنه تصـرف كمـا يلـي: "لسـبب مـا

استبدلت بملابسي ملابس أكثر رسمية.."، "شرحت له النتائج بالغة الخطورة التي تترتب على إنهائه المفاوضات من جانب واحد، وأن عمله سيضر بالعلاقة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، وأن مسئولية الفشل سيتحملها هو" "وكنت جادًّا إلى أقصى حد وكان هو يعرف ذلك، الواقع أنني لم أكن جادًّا في أي يوم من حياتي أكثر من ذلك..." انتهى كلام كارتر

بعد هذا اللقاء صرَّح السادات لأعوانه أنه "سيوقع على أي شيء سيقترحه الرئيس الأمريكي كارتر دون أن يقرأه".

سابعًا: التهديد الأمريكي الصريح لمصر في 25 مارس 1979

قبل يوم واحد من توقيع المعاهدة تسلمت مصر رسالةً من الولايات المتحدة الأمريكية تتضمن مذكرة تحمل عنوان "مذكرة التفاهم الأمريكية الإسرائيلية " جاء فيها:

- من حق الولايات المتحدة في اتخاذ ما تعتبره ملائمًا من إجراءات، في حال حدوث انتهاك لمعاهدة السلام أو تهديد بالإنتهاك؛ بما في ذلك الإجراءات الدبلوماسية والإقتصادية والعسكرية.
- تقدم الولايات المتحدة ما تراه لازمًا من مساندة لما تقوم به إسرائيل من أعمال لمواجهة مثل هذه الانتهاكات، خاصةً إذا ما رُئي أن الانتهاك يهدد أمن إسرائيل؛ بما في ذلك- على سبيل المثال- تعرض إسرائيل لحصار يمنعها من استخدام الممرات المائية الدولية وانتهاك بنود معاهدة السلام بشأن الحد من القوات، وشنِّ هجوم مسلَّح على إسرائيل، وفي هذه الحالة فإن الولايات المتحدة الأمريكية على استعداد

للنظـر بعيـن الإعتبـار وبصـورة عاجلـة فـي اتخـاذ اجـراءات، مثـل تعزيـز وجـود الولايـات المتحـدة فـي المنطقة وتزويد إسرائيل بالشحنات العاجلة وممارسة حقوقه البحرية لوضع حد للإنتهاك.

- سـوف تعمـل الولايـات المتحـدة بتصـريح ومصـادقة الكـونجرس علـى النظـر بعيـن الرعايـة لطلبـات المساعدة العسـكرية والاقتصـادية لإسـرائيل وتسـعى لتلبيتها.

ثامنًـا: التهديـدات الصهـيوأمريكية بشأن الأنفاق والحدود مع غزة

وهو ما نراه ونعيشه يوميًّا مـن تهديـدات مـن أعضـاء فـي الكـونجرس والإدارة الأمريكييـن بقطـع المسـاعدات عن مصر، بالإضـافة إلـى حملات التفـتيش الدوريـة علـى الحـدود المصـرية، مـن قبـل لجـان مـن المهندسـين الأمريكييـن ومـوظفين بالسـفارة الأمريكيـة ورجـال الكونجرس.

تاسعًا: التصريحات الرسمية المصرية

منذ اليوم التالي لتوقف إطلاق النار فـي 22 أكتـوبر 1973 وحـتى يومنـا هـذا فـي مـارس 2009م، والإدارة المصـرية ورجالهـا وإعلامهـا يؤكـدون بمناسـبة وبـدون مناسبة أن إلغاء كامب ديفيد يعني الحـرب، وكـان آخرهـا تصريحاتهم تلك التي صدرت أثناء العـدوان الأخيـر، ومنـذ سـتون عامـا والأمريكـان والصـهاينة يتشـدقون بـأنهم حريصـون علـى مفاوضـات السـلام كخيـار اسـتراتيجي، ستون عاما في مفاوضات وعلى استعداد لاسـتمرار تلـك المفاوضات ستون عاما قادمة لأنهـم ببسـاطة لا يريـدون سلاما مع العرب بل يريدون استسلاما للعرب.

مبارك والتحالف الصهيوني الأمريكي

الكيان الصهيوني لا ييأس في تحقيق أهدافه، لم تكن مصر تابعا فقط للولايات المتحدة والكيان الصـهيوني بـل كانوا يتعاملون وكأنهم ملك مصر وشعبها يسـيرونهم كمـا يحلـــوا لهـــم، القـــرارات السياســـية تنتظـــر الرضـــا الصــهيوأمريكي، القــرارات الإقتصــادية تنتظــر الرضــا الأمريكي وإلا سنقطع المعونات والقروض عنكـم وليتهـم فعلوا، المعونات العسـكرية تـوجه تبعـا لمـا تـراه أمريكـا والكيان فقد أصبحا يبحثان عن مصـالح مصـر العليـا أكـثر من رئيس الدولة، أصبح العملاق المصري قزما.

مبارك والسلام

في ظل السلام المزعوم بدأ الكيـان الصـهيوني فـي تنميـة قـدراته العسـكرية، واعتـبر هـذه المرحلـة مرحلـة إعداد وتطوير، ووصـلت التقنيـة العسـكرية اليهوديـة إلـى درجة عالية جدًّا لا تخفى علـى أحـد. ولعـلّ الكـثير يعجـب عندما يعلم أن الكيـان الصـهيوني فـي عـام 2007م كـان رابـع دولـة علـى العـالم فـي تصـدير السـلاح، وأنـه فـي السنوات الثمانية الأخيرة كانت دومًا في المراكز السـبعة الأولى علـى العـالم، وأنـه كـذلك يسـبق دولاً عتيقـة فـي صناعة السلاح مثل بريطانيا وكندا والصين. وعلـى الرغـم من هذا التطور العسكري الفائق فالكل يلاحظ في نفـس الوقت أن التطور العسـكري فـي البلاد العربيـة ومصـر لا يجري على نفس النسـق، بـل إن الـدول العربيـة بكاملهـا من الدول المستوردة للسلاح، ولا جدال في ذلـك، وفـوق ذلك فإن بيانات البنك الدولي تشـير إلـى انخفـاض نسـبة الإنفاق على الجيش المصري من 16,3 % عام 1995م إلى 9,9 % عام 2006م، وهو تراجُع كبير في الميزانيـة له دلالات خطيرة.

نتيجة التفوق العسكري اليهودي، ونتيجة التدهور العربي الملموس، ونتيجة انفراط العِقْد، وتفكُّك الوَحدة، ونتيجة معاهدة السلام التي كبَّلت مصر، ومنعتها من الاعتراض على التعدّيات الصهيونية، وجدنا عربدة صهيونية فاضحة في سماء العالم العربي!! فاليهود لم يصبروا كثيرًا بعد توقيع المعاهدة، وإخراج مصر من المعادلة العربية، إنما توجَّهُوا بعدها بسنتين تقريبًا، وضربوا المفاعل النووي العراقي في يونيو 1981م، وقاموا بما هو أكبر وأعتى في عام 1982م حيث احتلوا نصف لبنان تقريبًا، وحاصروا بيروت، وتدخَّلت مصر كوسيط للسلام! فتوسطت للسماح لياسر عرفات ومنظمة التحرير بالإنتقال إلى تونس، وواصل اليهود تعدّيهم، وضربوا تونس في عُقْر دارها في عام 1985م، وكذلك مجزرة قانا في جنوب لبنان 1996م، وضربوا سوريا في عام 2007م، بل وصلت طائراتهم إلى السودان في يناير 2009م، وقاموا بعِدَّة غارات عسكرية كما سمعنا مؤخرًا، فضلاً عن الضرب المستمر للشعب الفلسطيني، وخاصة ما حدث في مخيم جنين 2002م، واغتيال الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسي في 2004م، وحصار بيت حانون ثم غزة في عام 2006م، ثم أخيرًا حصار غزة وقصفها في أواخر 2008م، وقد تخلَّل ذلك الحرب المدمرة التي قام بها الصهاينة ضد لبنان في سنة 2006م. إنها النتائج المباشرة لتحييد الجانب المصري - القوة الكبرى في المنطقة - والإنطلاق يمينًا وشمالاً دون رادع أو رقيب.

نسفت هذه المعاهدة ما بناه الفلسطينيون على مدار عِدَّة سنوات، وشُلَّ مشروع المقاومة، وتاهت منظمة التحرير الفلسطينية بين العرب بعد خروج مصر منفردة، ثم ركعت منظمة التحرير، ووقَّعت معاهدة أوسلو في سنة 1993م، وبعدها بثلاث سنوات، وتحديدًا

في 24 من إبريل سنة 1996م حذفت منظمة التحرير الفلسطينية من دستورها كل البنود التي تصف اليهود بالأعداء، وحذفت كذلك كل ما يلغي الإعتراف بإسرائيل كدولة. وهكذا تهاوت مقاومتها تمامًا، بل ودخلت في صراع داخلي مع الذين تمسكوا بحق التحرير للبلاد، وبحق عودة اللاجئين، وظهر الانقسام الفلسطيني بشكل سافر، وأدى هذا إلى عرقلة كل مشاريع الوَحدة بين الفصائل المختلفة، وصار البعض ينادي بالسلام كخيار استراتيجي مع العدو الاستراتيجي، والآخر يطالب بالجهاد حتى تحرير الأرض.

كنتيجة مباشرة لعملية السلام دخلت مصر، ومن بعدها دول العالم العربي كلها تقريبًا، في أحضان أمريكا! لقد كانت أمريكا ترعى مباحثات السلام بقوة، وليس هذا - بلا شك - من أجل عيون المصريين، إنما كانت تحرص في المقام الأول والأخير على مصلحة اليهود، ومن أجل اليهود عرضت أمريكا على مصر المساعدات الأمريكية (المعونة) لكي توقِّع المعاهدة، ووقَّع المصريون، وجاءت المعونة، والتي كانت في البداية 200 مليون دولار سنويًّا، أخذت في الازدياد حتى فاقت المليار دولار سنويًّا، ثم تناقصت الآن من جديد، والثمنُ أن يكون توجُّهنا أمريكيًّا خالصًا، لا روسيًّا ولا صينيًّا ولا حتى أوروبيًّا؛ فالمساعدة أمريكية، والسلاح أمريكي، والمستشارون أمريكان، والوسطاء أمريكان، بل وقوات حفظ السلام الموجودة في سيناء تحت قيادة أمريكية، ويمثِّل الأمريكان فيها 40% من الجنود! كل هذا التوجُّه لأمريكا والجميع يعلم أن أمريكا لن تخذل اليهود، ولن تقوم بما يضرُّ مصالح الصهاينة، ولن تصدِّر سلاحًا إلى العرب إلا إذا صدَّرت أفضل منه لليهود، ولن تتوسط إلا لصالح اليهود، وتحولت أمريكا إلى قطب واحد يتسابق الجميع إلى مصادقته أو

اتّباعه، وهو وضع لم يكن على الساحة أبـدًا قبـل معاهـدة السلام.

حـدثت بعـد معاهـدة السـلام كارثـة التطـبيع، وكارثـة التعامل الاقتصادي مع الكيان الصهيوني، وفُتحـت مكـاتبُ التمثيل التجاري مع اليهود في أكثر من دولة عربية، وكان أخطر التعاملات الاقتصادية مع مصر والأردن؛ فأمـا مصـر فقد صدَّرت - للأسف الشديد - الغاز المصري إلى الكيـان الصهيوني، وكان ذلك فـي عـام 2005م، وبشـكل سـرِّي مفاجئ، وقضت المعاهدة بتصدير 1,7 مليار مـتر مكعـب سنويًّا من الغاز الطبيعي لمـدة 20 عامًـا كاملـة، وبسـعر يتراوح بين 70 سنتًا و 1,5 دولار لمليون وحـدة حراريـة، بينما السعر الطـبيعي للغـاز المصـري يصـل إلـى خمسـة دولارات، ويصل سعر التكلفة إلى 2,65 دولار! وهذا يعني أن اليهود يأخـذون الغـاز بخسـارة اقتصـادية علـى مصـر، وحـتى لـو كـان هنـاك ربـحٌ، فتمويـل الكيـان الصـهيوني بالطاقة أمر لا يُتخيَّل، وبرغم الاحتجاجات الكثيرة، وبرغـم حكم محكمة القضاء الإداري بوقف قرار الحكومة بتصدير الغاز إلى اليهود، إلا أن ضخ الغاز ما زال مستمرًّا.

أما الأردن فقد أقامت عدة مصانع يهودية في أرضها، وزادت من التبادل التجاري مـع الكيـان الصـهيوني، ولقـد وصل التعامل معها في عام 2007م إلى 306,9 مليـون دولار، واشترطت أمريكا في معاهدة الكويز الشهيرة فـي سنة 2004م، أن تكون الصـادرات المصـرية إلـى أمريكـا تحتوي على أحـد المكوِّنـات الإسـرائيلية حـتى تُعفـى مـن الجمـارك، وهـو إغـراء اقتصـادي يـدفع فـي اتجـاه زيـادة العلاقات الإقتصادية مـع اليهـود. ولا يخفـى علـى أحـدٍ أن المصانع اليهودية تنتج مـواد تحتـاج إلـى سـوق للتسـويق، وأن العالم العربي سوق كبير سـوف يخـدم المسـتثمرين اليهـود بشـكل ملمـوس، أمـا الفـائدة الـتي سـتعود علـى العالم العربـي فمحـدودة؛ فالكيـان الصـهيوني دولـة مـن

عشرات الدول البديلة في العالم، والتي مـن الممكـن أن نصدِّر لها موادَّنا الخام، والمشكلة الكبرى أن الأمر لم يعُدْ على نطاق الحكومة، بل سُمح لرجال الأعمـال الكبـار أن يتعـاملوا مـع الكيـان الصـهيوني، سـواء بالإسـتيراد أو بالتصدير، ولعل الجميـع يعـرف التعـاملات التجاريـة الـتي أدت إلى شراء الأسمنت المصري لبناء الجدار العازل في فلسطين المحتلة.

نتيجة معاهدة السـلام سُـمح للسـياح اليهـود بـدخول سيناء، وبدون تأشيرة، ومِن ثَمَّ توافدت أعداد ضخمة مـن السياح إلى شـرم الشـيخ ودهـب ونويبـع وطابـا والطـور، وبلغت هذه الأعداد في عام 2006م - على سبيل المثـال - حوالي 171ألف سـائح، وأقـل مـا توصـف بـه السـياحة اليهودية بأنها سياحية فـاجرة غيـر أخلاقيـة بـالمرة، وهـذا وغيره أدى إلى إباحية هذه المناطق بصورة كـبيرة، ولقـد دفع كثير من الشباب المصري دينه ثمنًـا لهـذه السـياحة! وفوق ذلك فهي سياحة فقيـرة لا تنفـق كـثيرًا مـن المـال لصالح التجارة المصرية، كمـا أنهـا تتطلـب حراسـة أمنيـة خاصـة تحمِّـل الدولـة أعبـاءً اقتصـادية وأمنيـة وسياسـية كبيرة.

إضـافةً إلـى كـل مـا سـبق تبقـى مشـكلة مـن أكـبر المشكلات في معاهدة السلام، وهـي نـزع كـل مـا يشـير إلى عداء الكيان الصهيوني من مناهج التعليم، وكذلك من وسائل الإعلام، وهذا من أخطر آثار معاهدة كامب ديفيـد؛ حيث سيؤدي هذا الأمر إلى نشوء أجيال لا تعـرف عـدوَّها من صديقها، ولا تمانع في أن ترى الفلسطينيين يُشـرَّدون فـي البلاد، بينمـا نبحـث عـن حـق الشـعب اليهـودي فـي الحياة، وهذه كارثة كبرى في الحقيقة، فإن كل ما ذكرناه قبل ذلـك قـد يكـون مشـكلة بالنسـبة لأحـد الأجيـال، أمـا تـدمير الأجيـال اللاحقـة فهـي جريمـة تعلـو غيرهـا مـن الجرائم.

وبعد كل هذا نجد من يقول: لقد نعمت مصر بالسلام فوجَّهت ثرواتها إلى التنمية والإصلاح بـدلاً مـن الحـروب؛ لكن للأسف الشديد، وفي ظـل الفسـاد الإداري والمـالي والسياسـي فـإنَّ حـدّة العجـز فـي الميـزان التجـاري قـد تزايـدت، وكـذلك زاد الـدَّين المحلـي، واسـتمرت الـديون الخارجيـة، وتـدنّت نسـبة الاسـتثمارات العامَّـة، وتفـاقم العجز في الموازنة العامة، وكل هـذا لـه انعكاسـاته علـى الشـعب المصـري، وطـالِعُوا نسـب البطالـة، والبطالـة المقنَّعة، وطوابير الخبز، وارتفاع الأسعار، وجنـون الحديـد والأسـمنت والعقـارات، وتـأخر سـن الـزواج، ومعـدّلات الهجرة المتزايدة، والمراكب التي تغـرق بشـباب يهربـون من ذُلِّ المعيشة في الداخل إلى ذلها في الخارج! وهنـاك مـن يقـول: لقـد حُفظـت أرواحنـا، وسـلمنا مـن القصـف والعدوان؛ وأقول لهم: إن هذا كله إلى أجلٍ، وسوف يغدر اليهود يومًا ما، وعندها ستكون الفاجعـةُ كـبرى، وسـتكون الأزمة عظمى، إن الحياة مرفوع الرأس سـاعةً خيـرٌ مـن الخلود أبد الدهر في هوانٍ، إن ثلاثين عامًا من الاستسلام كافيـة، وآنَ للأُمَّـة أن تعـود إلـى رُشـدها، لـو أنّ اليهـود قـادرون علـى غزونـا واحتلالنـا لمـا تـأخروا، فلِـمَ الرَّهْبـة والجزع؟! وكيف يفشلون في دخول غزة، وينجحـون فـي اجتياح عِدَّة دول مهما قلَّ عتادها، أو ضعفت إمكانياتها؟

مبارك والتطبيع

في يناير 2010م وضع مصرف "دانسك بنـك"، أكـبر بنـوك الـدنمارك، عـددًا مـن الشَّـركات الإسـرائيليَّة علـى قائمته السَّوداء التي يمنع التعامل معهـا لأسـبابٍ أخلاقيـةٍ "بسبب عدم التزامها بالمعـايير الدَّوليَّـة لحقـوق الإنسـان ومعـايير التَّوظيـف دون تمييـزٍ عنصـريٍّ أو أيِّ نـوعٍ مـن التَّفرقة"، وفي ديسمبر السَّابق عليـه، أصـدرت الحكومـة البريطانيَّة توصيةً لشركات التسَّويق بأهمِّيَّـة التَّمييـز بيـن

المُنتجات الفلسطينيَّة وتلك المُصنَّعة في المستوطنات الإسرائيليَّة غير المشروعة في الضِّفَّة الغربيَّة.

وفي نوفمبر 2009م، بدأ عددٌ من نشطاء حقوق الإنسان والإعلاميِّين البريطانيِّين في حملةٍ لإقناع المراكز التِّجاريَّة الكبرى في بريطانيا، مثل سينسيبري، لمقاطعة منتجات المُستوطنات الإسرائيليَّة، كما قرَّرت النَّقابات العُمَّالية البريطانيَّة في سبتمبر الماضي مقاطعة البضائع الإسرائيليَّة، ردًّا منها على العدوان الإسرائيليِّ المجنون على قطاع غزة في ديسمبر 2008م، ويناير 2009م، وعقابًا لإسرائيل على استمرارها في فرض الحصار على القطاع.

بل إنَّه قبل سنواتٍ، أعلن مجلس الكنائس العالمي، وهي هيئةٌ تُمثِّل أكثر من نصف مليار مسيحيٍّ في العالم، وتحديدا في شهر ديسمبر من العام 2001م، عن مقاطعة منتجات المستوطنات الإسرائيليَّة، بسبب الجرائم التي ارتكبتها إسرائيل بحق الفلسطينيِّين خلال انتفاضة الأقصى الثَّانية التي اندلعت في سبتمبر من العام 2000م.

كما أنَّ عددًا من الهيئات والجامعات البريطانيَّة والنُّرويجيَّة والأوروبيَّة الأخرى تبنَّت حملة لوقف العلاقات مع الجامعات الإسرائيلية، ومن بينها مؤتمر اتحاد الجامعات والمعاهد "يو. سي. يو"، الذي يعتبر أكبر نقابات التَّعليم العالي في بريطانيا، إحتجاجًا على السِّياسات الإسرائيليَّة في فلسطين المُحتلَّة.

في المقابل نجد أنَّ وتيرة التَّطبيع تتزايد بين بلدان عالمنا العربيِّ والإسلاميِّ تزداد يومًا بعد يوم، برغم إعلان جامعة الدِّول العربيَّة عن موت عمليَّة السَّلام في الشَّرق الأوسط، والتي كانت المبرِّر الأوَّل للتَّطبيع مع إسرائيل من جانب بعض حكومات الإقليم. وتزايد وتيرة التطبيع

بين العرب والمسلمين وبين إسرائيل، ليس كلامًا مُرسلاً، وإنَّما حقائق كشفها مـدير معهـد التَّصـدير فـي إسـرائيل، دافيـد أرتـزي، الـذي قـال مـؤخرًا إنَّ المبـادلات التِّجاريَّـة لإسرائيل مع دول العالم "تشمل عـددًا كـبيرًا مـن الـدِّول العربيَّة والإسلاميَّة، سواءً بطريقٍ مباشرٍ أو غيـر مباشـرٍ"، كمـا أكَّـد أيضًـا أنَّ رجـال الأعمـال الإسـرائيليين يملكـون العديد من المصانع في الدِّول العربيَّة.

والآن وبينمـا غـزَّة تمـوت بسـبب الحصـار، ولا تجـد الدولار العربيِّ أو الخليجـيِّ ولا زجاجـة الميـاه النَّقيَّـة مـن ذَوي القُربى الذين أعلنوها مقاطعةً تامَّةً ليـس مـع حركـة حماس فحسب، بل مع غزة بأكملها، ومع القضيَّة برُمَّتهـا؛ فإنَّ مليـارات الـدُّولارات مـن خـزائن الحكومـات العربيَّـة والإسلاميَّة، تصبُّ في موازنةِ إسـرائيل السَّـنويَّة. وإذا مـا علمنا أنَّ ميزانيَّة الدِّفاع تُشكِّل مـا بيـن 12% إلـى 15% من ميزانيَّة إسرائيل العامَّة، فإنَّ هـذا يعنـي أنَّـه مـن بيـن كلِّ مائة دولار يدفعها العرب والمسـلمون لإسـرائيل مـن خلال التَّطبيع التِّجاريِّ والاقتصاديِّ، هناك ما بين 12 إلـى 15 دولار تصبُّ في صالح التِّرسـانة الحربيَّـة الصُّـهيونيَّة، بمـا فيهـا مــن قنابــلَ فسـفورٍ ورصاصــاتٍ "ضمضــم" مسـمومةٍ، تفتـك بأجسـاد أطفالنـا وتقتـل أبطالنـا فـي فلسطين، وبمـا فيهـا مـن صـواريخَ بعيـدةِ المـدى مـزوَّدةٍ برؤوسٍ نوويَّةٍ وكيماويَّةٍ مُصـوَّبة إلـى عواصـمنا العربيَّـة!! وهو ما يجعلنا نفهم بطبيعة الحال أهمِّيَّة وخطورة القضـيَّة التي نحن بصددها في الوقت الرَّاهن، ويجعلنا أيضًا نُؤكِّـد، وبضميرٍ سليمٍ واثقَ، أنَّ التطبيع مع إسرائيل يندرج تحـت بنـد الخيانـة العظمـى، علـى الأقـلِّ لأنَّـه يـدعم ترسـانة الخراب والدَّمار الإسرائيليَّة.

التَّطـبيع يعنـي جَعْـل العلاقـات طبيعيَّـة بيـن طرفَيْـن وتُعتبر الأنشطة الاقتصاديَّة والتِّجاريَّة والعلميَّـة والثَّقافيَّـة، وكذلك العلاقات ما بين فئاتٍ بعينها مثل الشباب والمـرأة

ورجال الأعمال، هي أبرز أشكال التَّطبيع، الـذي يتـم فـي صــورة مشــروعات أو مهرجانــات أو فعاليَّــاتٍ أخــرى مُشتركة.

اسـتغل رئيـس الـوزراء الإسـرائيليِّ الأسـبق إرييـل شــارون للــدَّويِّ الإعلامــيِّ الــذي أحــدثه الإنســحاب الإسرائيليُّ أحاديُّ الجانب من غزة فـي سـبتمبر 2005م، وقام بحملة علاقات عامَّةٍ من خلال الدَّورة السَّنويَّة للأمم المتحــدة، والتقــى وزراء خارجيَّــة كــلٍّ مــن باكســتان وإندونيسيا.

كما توسَّعت علاقات إسرائيل في عهد شـارون ومـن تلاه مــن رؤســاء وزارة مــع جمهوريَّـات آسـيا الوسـطى الإسـلاميَّة الخمـس المسـتقلَّة عـن الاتحـاد السُّـوفيتيِّ السَّابق، وخصوصًا أذربيجـان وطاجيكسـتان؛ حيـث وصـل التَّعاون بين الجانبَيْن إلى المسـتوى العسـكريِّ، بالإضـافة إلى التَّعاون في المجالات الزِّراعيَّة والصِّناعيَّة.

نجحــت إســرائيل بعــد ضــغوطٍ كــبيرةٍ قــامت بهــا واشــنطن أيــام بــوش الأب، وبيــل كلينتــون، فــي إنهــاء المُقاطعــة الاقتصــاديَّة العربيَّــة لإســرائيل والشــركات والمُؤسَّسات والشَّركات التي تتعامل معهـا، فعليًّـا. ففـي عــام 2000، قــال التَّقريــر السَّــنويُّ لمكتــب التِّجــارة الأمريكيِّ الذي صدر في 31 مارس من ذلك العام: "إنَّــه بشأن الحواجز التِّجاريَّة، فإنَّ مصر لم تُطبِّق أيَّ وجهٍ مــن أوجــه المقاطعــة الرَّســميَّة منــذ عــام 1980م، تطبيقًــا لمعاهدة السَّلام مع إسـرائيل الـتي وُقِّعَـت عـام 1979م، وأنهـى الأردن رسـميًّا الـتزامه بجميـع أوجـه المقاطعـة، وأصبح ذلك ساري المفعول منذ 16 أغسـطس 1998م، وذلك لدى تطبيق التَّشريع الخاص بتنفيذ معاهدته للسَّـلام مع إسرائيل".

وأضاف التَّقرير أنَّ السُّلطة الفلسطينيَّة وافقت على عدم تطبيق المقاطعة في كتاب وُجِّه فـي العـام 1998م إلـى ميكـي كـانتور، المُمثِّـل التِّجـاريِّ للولايـات المتحـدة حينئذ، كما أعلنـت الـدول الأعضـاء فـي مجلـس التَّعـاون الخليجيِّ (وهي: السَّعوديَّة، والبحرين، والكويت، وسلطنة عُمـان، وقطـر، والإمـارات) فـي سـبتمبر 1994م، عـدم التزامها بالمقاطعة من الدَّرجة الثَّانيـة والدَّرجـة الثَّالثـة"، أي فيما يخصُّ الشركات التي تتعامل مـع إسـرائيل أو لهـا أفرعٌ فيها. وذكر التَّقرير أنَّه في العام 1996م، أنهت كـل مـن سـلطنة عُمـان وقطـر تطـبيق المقاطعـة، وأسسـت ترتيباتٍ تجاريَّةٍ مُتبادلةٍ مع إسرائيل، كما توقَّفت عددٌ مـن الـدِّول العربيـة الأخـرى عـن تنفيـذ المقاطعـة، وهـي: المغـرب، وموريتانيـا الـتي اعـترفت بإسـرائيل فـي عهـد الرئيـس الأسـبق معاويـة ولـد الطَّـايع وأقـامت علاقـاتٍ دبلوماسيَّةً كاملـةً معهـا فـي العـام 2005م، حـتى أنهاهـا الرَّئيس الموريتانيُّ الحاليُّ محمد ولد عبد العزيز، وتونس الـتي اعـترفت بإسـرائيل مـن خلال إقامـة علاقـاتٍ دبلوماسيَّةٍ محدودةٍ، وكذلك اليمن التي تخلَّت رسميًّا عـن تطبيق المقاطعة من الدَّرجتَيْن الثَّانية والثَّالثـة فـي العـام 1995م. أمَّـا الجـزائر فإنَّهـا مـا زالـت تلـتزم بالمقاطعـة رسميًّا، ولكن ليس من خلال الممارسة، مثلها مثل لبنـان؛ حيث أنهت كلا البلدَين كافَّـة أشـكال المقاطعـة، باسـتثناء إقامة علاقاتٍ اقتصاديَّةٍ مع إسرائيل.

وقد هدفت إسرائيل من وراء ذلك إلى تحقيق أمريـن أو هـدفَيْن أساسـيَّيْن، الأوَّل تحجيـم الآثـار الاقتصـاديَّة للمقاطعـة، والـتي قُـدِّرت بـأكثر مـن مليـار دولار سـنويًّا، وتحديدًا 53 مليار دولار على مدى 45 عامًا، والثَّاني إزالة أكـبر عقبـة مـن أمـام الشَّـركات الأجنبيَّـة الرَّاغبـة فـي الاستثمار فـي إسـرائيل، والـتي قُـدِّرت خسـائر إسـرائيل منها نحو 41 مليار دولار إضافيَّة في ذات الفـترة، والـتي

عوَّضت الإدارات الأمريكيَّة المتعاقبة إسرائيل عنها من خلال ما مجموعه 75 مليار دولار من المساعدات السَّنويَّة خلال الفترة ما بين العام 1951م إلى العام 1998م. كما ساعدت التَّسوية إسرائيل على تحسين مستوى علافاتها الدبلوماسيَّة مع بلدان العالم المختلفة؛ فمنذ مؤتمر مدريد في 1991م، وحتى مطلع الألفيَّة الجديدة، أقامت إسرائيل علاقاتٍ دبلوماسيَّةٍ مع 62 دولةٍ في عقدٍ واحدٍ فقط، كان من بين هذه الدِّول روسيا والصِّين والهند وإندونيسيا وطاجيكستان، والتي تضم ما يقرب من نصف عدد سكان الأرض تقريبًا. وقد ساعدت هذه الأوضاع على تحقيق الكثير للإقتصاد الإسرائيليِّ وللأمن القومي للكيان الصُّهيونيِّ ككلٍّ، ومن بينها:

- أولاً: زيادة تدفُّق المهاجرين إلى إسرائيل، وخصوصًا من روسيا بكلِّ ما فيهم من عمالةٍ ماهرةٍ وأكاديميِّين وعلماء؛ حيث وصل مليون مهاجر روسي فقط إلى إسرائيل بعد مدريد.
- ثانيًا: تدفُّق الاستثمارات الخارجيَّة على إسرائيل، والتي لم تكن تزيد على 400مليون دولار عام 1991م، زادت أكثر من خمسة أضعافٍ بعد ذلك، ففي العام 1996م بلغت حوالي 2,9 مليار دولار، وفي عام 1997م بلغت قيمتها نحو 3,6 مليار دولار، وأكثر من 15 مليار دولار حاليًا، وهي أرقام تُعادل أضعاف قيمة الاستثمارات الأجنبيَّة التي تتدفَّق على مصر.
- وبحسب الإحصائيات الصَّادرة عن "بنك إسرائيل"- البنك المركزيُّ هناك- فإنَّ قيمة الأموال المُتدفِّقة من الخارج والتي دخلت إسرائيل بشكلٍ رسميٍّ من عام 1990م، وحتى عام 1999م، بلغت حوالي 75 مليار دولار، وشهدت ارتفاعًا مطردًا من عامٍ لآخر، باستثناء

بعض سنوات حكم إسحاق شامير في عام 1991م، وبنيامين نتنياهو في العامين 1997م و1998.

- ثالثًا: ارتفاع حجم الناتج الإجماليِّ الإسرائيليِّ السنويِّ، لمستوياتٍ أكبر من الناتج المحليِّ لإندونيسيا التي يبلغ عدد سكانها حوالي 230 مليون نسمة، والنَّاتج الإجماليِّ لمصر، التي يصل عدد سُكَّانها إلى 82 مليون نسمةٍ، وذات النتائج سرت على الموازنة العامَّة الإسرائيليَّة، التي تطوَّرت من 49 مليار دولار عام 1995م، إلى نحو 53 مليارٍ عام 1999م، إلى حوالي 70 مليار دولار في العام 2009/2010م.
- رابعًا: تحسين مستوى العلاقات الاقتصاديَّة بين إسرائيل ودول العالم المختلفة؛ فبعد سنةٍ واحدةٍ على إتفاق أوسلو في العام 1993م، زادت الصادرات الإسرائيلية للبلدان الآسيوية بمقدار 33%، وأصبحت تعادل حوالي 13% من مُجمل الصَّادرات الإسرائيليَّة، مع تحسين مستوى البيئة الأمنيَّة داخل إسرائيل بشكلٍ جعل إسرائيل أحد أهم الوجهات السِّياحيَّة في المنطقة. كما شكَّل انضمام الدِّول العربيَّة والإسلاميَّة لمنظمة التِّجارة العالميَّة، عاملاً إضافيًّا لإضعاف أثر المقاطعة الاقتصاديَّة لإسرائيل وزيادة مساحة التَّطبيع؛ حيث تنص لوائح المُنظَّمة على عدم التَّمييز بين الدول في انسياب حركة التِّجارة العالميَّة، بما في ذلك إسرائيل، في مقابل عدم استغلال الدِّول العربيَّة والإسلاميَّة باب "الاستثناءات والمزايا" التي تسمح للدَّولة العضو بممارسة إجراءاتٍ خاصَّةٍ ضد أي طرفٍ عضوٍ في المُنظَّمة.

هناك بعض المعالم التي تبين سياسة الكيان الصهيوني للوصول إلى رحلة التطبيع:

- تكوين رابطة الشرق أوسطية التي تربط بين دول المنطقة أجمع باسم الشرق الأوسط وتنبذ الإنتماء للإسلام أو العروبة، وهذا مشروع اليهودي شيمون بيريز الذي طرحه في كتابه (الشرق الأوسط الجديد) عام 1993 م، ثم طور خطابه في عام 1995 م فذكر بأن الشرق الأوسط بحاجة إلى تبني مواقف ليندمج مع العالم الجديد، ونصح العرب بتطبيق سياسة إقتصاد السوق علماً بأن الكيان الصهيوني يقيد سياسة السوق، ومن المعلوم أن اقتصاد السوق الذي ينادي به بيريز هو الطريق اليسير لسيطرة الكيان الصهيوني والصهيونية العالمية ورؤوس الأموال الأمريكية على الإقتصاديات العربية، ثم اسُتنسخ هذا الطرح مع بعض الإضافات والتعديلات في المشروع الأمريكي المسمى (الشرق الأوسط الكبير) الذي من أبرز عناصره: إقامة أمن إقليمي جديد بدلا من الأمن القومي العربي ويتضمن ذلك إقامة مناورات مشتركة عربية – غربية – إسرائيلية لضمان تطبيع العلاقات وكسر التعبئة النفسية وإضعاف روح الاستعداد المعنوي للمواجهة. طبيعة هذا المشروع سياسية في الأصل لكنه يعرض بقالب اقتصادي حيث يوصف بأنه مشروع إقتصادي أو كما يجري اختزاله أحياناً بالسوق شرق أوسطية.
- من أبرز أهداف اليهود سعيهم إلى عزل الدول العربية بعضها عن بعض وخاصة في المفاوضات ليحققوا أطماعهم الخاصة، فيخسر العرب الكثير من قوتهم بسبب فرقتهم وتفرقهم.
- أن تصبح جامعات اليهود ومراكز أبحاثهم ودراساتهم مرجعية علمية للمنطقة بأسرها، بحيث تؤسّس للمشروع الصهيوني، الموجّه لتدمير الثقافة والهويّة

الحضارية الإسلامية للمنطقة العربية بأكملها، وإحداث التفكيك والفوضى في داخل كل بلد عربي.

التحالف الإستراتيجي مع العدو الإستراتيجي

تعرضت المنطقة العربية لعدة حروب في نصف القرن الأخير: حرب 1948 التي استمرت أشهرا حتى 1949 ثم أعقبتها هدنة، وحرب 1956 لثلاثة أشهر تقريبا وأعقبتها هدنة، وحرب 1967 لستة أيام احتلت إسرائيل بها كلا من فلسطين وسيناء من مصر والجولان من سوريا، وحرب استنزاف امتدت نحو 3 سنوات حتى 1970، وحرب 1973 في سيناء والجولان.

ثم عندما انسحبت "مصر السادات" من العمليات الحربية في 1979، انتقلت أرض المعارك، فكانت حرب 1982 باجتياح إسرائيل للبنان وبداية حرب المقاومة التي استمرت حتى عام 2000، وفي خلال ذلك قامت انتفاضة الشعب الفلسطيني في فلسطين عام 1987، ثم حدثت حرب العراق والكويت في 1991، ثم الإنتفاضة الفلسطينية في سبتمبر 2000، ثم حرب احتلال الأمريكيين لأفغانستان في 2001 وهي مستمرة، ثم الاحتلال الأمريكي للعراق في 2003 والمستمرة حربا طاحنة حتى اليوم، ثم حرب لبنان في 2006.

أي إنها إحدى عشرة حربا في ثمانية وخمسين عاما هي حرب أمريكية إسرائيلية ضد الشعب العربي في أقطاره كلها، وهي مستمرة بما يفيد أنها حرب واحدة ذات معارك متجددة تحدث كل سنوات محدودة وتنتقل أرضا ومحاربين؛ ومن هنا يظهر أن العداء عداء إستراتيجي ممتد وحاكم لأسس العلاقة بين الطرفين.

وعلينا بهذا المنطق أن نتفهم كيف أن حكومة "مصر-مبارك"، لا تكف عن الحديث بأن ما بينها وبين الحكومة الأمريكية هو تحالف إستراتيجي، وكيف لنا نفهم تحالفا إستراتيجيا مع العدو الإستراتيجي؟ وبماذا يسمى هذا في لغة السياسة الوطنية، لا سيما أهم بنوده التحالف مع إسرائيل؟[1].

ظهر هذا الحلف الإستراتيجي مع العدو الإستراتيجي كأوضح ما يكون في حرب لبنان 2006 ، وظهر في معركة عدوان إسرائيلي أمريكي سافر على بلد عربي مستقل وهو لبنان، عدوان يدمر البلد ويهجر شعبه، ويحتل أرضه ويقتل رجاله، وظهر هذا الحلف مع الجانب الإسرائيلي الأمريكي بدعم سياسي يغطي الفعل العدواني، وبهجوم سياسي على المقاومة الوطنية اللبنانية، فكان ذلك أوضح تحالف حكومي عربي صريح مع الجانب الأمريكي والإسرائيلي ضد بلد عربي وحركة مقاومة عربية وطنية، وكانت قواه تقودها الحكومة السعودية، وتقف معها حكومة مصر وحكومة الأردن. وحكومة الأردن معروفة، فهي لم تكد تنشأ في الإقليم العربي منذ أربعينيات القرن العشرين إلا بوصفها رديفا للمشروع الصهيوني، منذ الملك عبد الله الأول، وهذا ما ذكرته كتب التاريخ عن المسألة الفلسطينية. وحكومة مصر هي ما نتكلم عنه هنا.

الشيء الإيجابي الوحيد في السياسة المصرية قبل ثورة 25 يناير 2011، أنها لم تعد ذات وزن ولا ثقل في الشأن العربي، وصارت دولة لا تتكافأ حتى مع دول الخليج الصغيرة الحديثة؛ ولذلك صار الضرر العربي من السياسة المصرية محدودا وغير ذي بال، أي إن المزية

---

[1] المستشار طارق البشري: معركة غزة-الحرب الصهيونية الأمريكية العاشرة

الوحيدة للسياسة المصرية أنها صارت لغوا لا يضر ولا ينفع.

ثم إن الأهم من ذلك كله أن وسائل الإعلام نقلت خبرا خلال العمليات العسكرية للعدوان الإسرائيلي على لبنان، مفاده أن المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية عقدتا إتفاقيات شراء أسلحة من الولايات المتحدة مع تحديث أسلحة قيمتها 4,2 مليارات دولار، منها 2,9 مليار دولار تمثل نصيب السعودية في هذه الصفقات، وتركت وكالات الأخبار لنا أن نستنتج أن حكومة خادم الحرمين الشريفين تمد مصانع السلاح الأمريكي بمبلغ 2,9 مليار دولار في الوقت الذي تمد به هذه المصانع إسرائيل بالأسلحة والذخيرة لتدمير لبنان البلد المسلم ولتقتيل شعبه المسلم ولهزيمة حزب الله المقاوم للصهاينة وعدوانهم. وهكذا كان الدعم لإسرائيل بالموقف السياسي وبالفتاوى الشرعية وبالإذاعة الإعلامية، وفوق ذلك وقبل ذلك وبعده بتمويل السلاح. ونحن نعرف أن ما يسمى بالقنابل الذكية كانت تصدر من أمريكا لإسرائيل في هذه الفترة عن طريق إنجلترا والخليج، حسبما ذكرت الأخبار وقتها.

مع اختلافنا الشديد مع حزب الله الشيعي إلا أن الهجوم الإسرائيلي على لبنان كان لابد له من مقاومة من كل التيارات التي تعيش في لبنان، هذا اعتداء سافر على بلد عربي مستقل، وإن قسم سياسيا بين تياراته المختلفة إلا أن تلك التيارات كان لابد لها أن تتكاتف لإجلاء العدو الصهيوني من لبنان، وأن يجد مساندة من كل الشعوب العربية بل وكل الشعوب الحرة التي تسعى إلى الاستقلال.

إننا في معركة حادة وجادة جدا، وهي تقتضي من أي منا أقدارا متفاوتة من الاستغناء ومن التضحية، ولن يكون

هـذا كـثيرا ونحـن نشـاهد تصـاعد معـارك يتقـدم إليهـا استشهاديون ويذهب في معتركها قتلى ومصابون، ويفقـد أطفال آباءهم وأمهاتهم، وما مـن حـي فيهـم إلا وهـو ابـن شهيد أو أخو شهيد أو قريب له.

أمـران يسـتحيل أن يكـون ثمـة اختلاف حولهمـا، وإلا نكون من الخاسرين:

- الأول: أننا في حالة تلقّ للعدوان الأمريكـي الصـهيوني علينا منـذ نحـو سـتين سـنة، وأن الحـرب ناشـبة بيننـا وبينهم على هذا المدى الزمني الطويل الذي لم تظهر له نهاية بعد، وأنها حرب ممتدة ومستمرة.
- الثاني: أن موجبات الأمن القومي المصري تمتد خـارج الحدود المصرية إلى أرض الشام، من فلسـطين إلـى سوريا شمال شرق، وإلى السودان حتى باب المنـدب جنوبا، وهذه ضرورة دفاعية عسكرية وبشرية.

إن الإنجليز أنفسهم عنـدما عملـوا علـى الـدفاع عـن هذه المنطقة ضـد التهديـد النـازي خلال الحـرب العالميـة الثانية (1939- 1945) أنشأوا ما يسـمى مركـز تمـوين الشرق الأوسط للتنسيق بين الاحتياجات المعيشـية لهـذه المنطقة، وعينوا وزيرا ينسق بين السياسات فيها كان هو اللورد موين الذي اغتالته العصابات الصهيونية وقتهـا فـي حـي الزمالـك بالقـاهرة، وشـجعوا إنشـاء جامعـة الـدول العربية في سنتي 1943 و 1944.

ومن قبل الإنجليز كان نابليون عندما احتل مصر فــي 1798 قاد حملة إلـى عكـا بفلسـطين ليـؤمن مصـر مـن جانب أرض الشـام، وفشـل فـي ذلـك وانهـار حلمـه فـي البقاء بمصر.

وأنشأ الأمريكان هـذا التحـالف الإسـرائيلي المصـري السعودي الأردنـي للـدفاع عـن بقـائهم وهيمنتهـم، ونحـن

على العكس نسعى إلى حلف الاستقلال لا إلى حلف التبعية.

وبعد كل ذلك يتبجّح الحكام في هذه الدول بأننا في حلف إستراتيجي مع عدونا الأمريكي الصهيوني، وينعقد المؤتمر الأول "للحزب الوطني" الحاكم في مصر منذ ثلاثين سنة ليضع برنامجا كان في صدر أهدافه في سنة 2003 عبارة "مركزية الهوية الوطنية المصرية التي حفظت للدولة تماسكها"، وهو ما يعني عزل مصر عن المحيط العربي الحاضن لها والمؤمّن لها، ثم بعد ذلك تُتخذ السياسات التي لا تعني إلا العزلة عن حركات التحرر والمقاومة العربية، ثم تُوثق الأواصر مع قوى العدوان الأمريكي الصهيوني عندما تظهر في الحكومة السعودية وحكومة الأردن، وتنسق مع السياسة الصهيونية لزعماء إسرائيل.

ومن هنا لم يحتج رأي العالم العربي إلى أحد ليشرح له أن معركة لبنان في يوليو وأغسطس 2006 هي معركتنا نحن، ولا أقول إننا تخلينا عنها أو غبنا عن معتركها، ولكن أقول إننا اكتفينا بالصياح والصراخ فقط في وجه حكومتنا عندما قدمت الدعم السياسي لإسرائيل في هجومها على لبنان وعلى حزب الله المقاوم للغزو الإسرائيلي الأمريكي، بما يعني أن حكومتنا في هذا الشأن إنما تعمل لصالح ما يهدد الأمن القومي المصري، كما قدمت من قبل البترول والغاز الطبيعي والأسمنت للكيان الصهيوني.

والمشكلة التي تواجهنا أن تنظيم "الدولة" في التاريخ وفي أصول الفكر السياسي، لم تنشأ حاجة الجماعة السياسية له، ولم يقم إلا لتأمين هذه الجماعة ضد ما يواجهها أو ما يحتمل أن تواجهه من مخاطر الخارج عليها، ثم أضيف إلى هذا الاحتياج وإلى وظائفها الأساسية

أنها التنظيم ذو القدرة أيضا على حفظ التوازنات بين الجماعات الفرعية التي تتكون منها الجماعة السياسية الأشمل. هذا "تنظيم الدولة" الذي لم ينشأ إلا لهذا الهدف، قد صار اليوم في بعض دولنا في المرحلة الحاضرة هو الثغرة الخطيرة التي يجيء عن طريقها العدوان الخارجي، والتي تكبل الجماعة السياسية وتصرفها عن مقاومة العدوان الخارجي عليها، وصار من يقوم من شعوبنا ومنظماتها الأهلية لتكافح مخاطر الخارج، تواجه أول ما تواجه بأن دولها هي من يحول دون ذلك، فهل ستظل تلك السياسة قائمة في عهد الرئيس القادم لمصر بعد ثورة 25 يناير 2011؟.

إن الأحداث الجارية منذ سنة 2000 قد أكدت ما سبقت ملاحظته من أن قوى العدوان العالمية ليس لها على مثل بلادنا وجماعاتنا السياسية سبيل، إلا بطريقين:

الأولى: الوقيعة بين الجماعات المختلفة في بلادنا، سواء أكانت جماعات دينية أو مذهبية أو قبلية أو إقليمية أو لغوية، مثل ما حدث ويحدث في العراق ولبنان والسودان وغير ذلك، قديما وحديثا.

الثانية: اتخاذ العملاء من بيننا ذوي النفوذ الفعال في أجهزة الدولة أو في غيرها من المؤسسات ذات النفوذ.

وإذا استطعنا أن نقوى على أنفسنا في هذين الأمرين نكون قد ملكنا القدرة على الاستقلال، ولن يكون لمخاطر الخارج علينا من سبيل، لسبب واحد أساسي وهو أننا مع أي مواجهة مع عدوان الخارج يكون المعتدون يدافعون عن مصالحهم، وهي تأتي وتذهب وتتهاوى متى انقلبت المصلحة إلى مفسدة، بينما نحن ندافع عن وجودنا، فإما بقاء وإما فناء، وسنظل نذود عن هذا

الوجود؛ لأننا لا نملك إلا الدفاع عنه ما دمنا أحياء عبر المعارك المتعددة والمراحل المتطاولة[1].

وفي مصر، لا يوجد تهديد بالطريقة الأولى، وهو إثارة الوقيعة بين الجماعات المختلفة، ومحاولات هذه الإثارة لا ترد إلا بين المسلمين والنصارى، وهي بحمد الله نقدر على تفاديها وعلى حفظ وحدة الجماعة السياسية، فنحن بخلاف لبنان في هذا الشأن بالنسبة للتعدد الطائفي المذهبي، ونحن بخلاف العراق أيضا بالنسبة للتعدد المذهبي والقومي، ونحن بخلاف السعودية بالنسبة للتعدد القبلي، وبخلاف السودان بالنسبة للخلافات الإقليمية القبلية والدينية، ولكن مشكلتنا الحقيقية هي فيما يتعلق بالفريق الثاني بعدما اتجهت الدولة وأجهزتها إلى سيطرة فردية تجهر بالتحالف الإستراتيجي مع العدو الإستراتيجي.

لم يكن في الحسابات السياسية لنظام مبارك إلا الرضا الأمريكي وقوة الشرطة فقط. والرضا الأمريكي ذو إرادة آمرة، والشرطة جهاز لحفظ أمن الحاكم المنفذ لهذه الإرادة.

السياسة الرسمية الأمريكية هي العدو الإستراتيجي لمصر المستقلة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أي منذ أن قررت أن ترث الاستعمار الإنجليزي لمصر والاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان، ومنذ أن قررت أن ترث المشروع الصهيوني الإسرائيلي الداعم لوجودها، ونحن نعرف أن السياسة الأمريكية -على مدى نصف القرن الأخير- تغيرت وتعدلت في كل مسألة من مسائلها في علاقاتها بدول العالم، سواء الدول الأوروبية أو الاتحاد السوفيتي أو الصين أو الهند وباكستان أو دول شرق أوروبا، وذلك إلا فيما يتعلق بتوثيق علاقتها بإسرائيل، وإلا

---

[1] المستشار طارق البشري: معركة غزة الحرب الصهيونية الأمريكية العاشرة

فيما يتعلق بعدوانها علينا، وسواء حاربنا إسرائيل - مثل "مصر عبد الناصر"- أو سالمنا إسرائيل -مثل "مصر السادات"- أو بدأنا نتحالف مع إسرائيل - مثل "مصر مبارك"- فالموقف الأمريكي هو هو، وإسرائيل عنصر مؤسس في الموقف الأمريكي.

فالمنطقة العربية إذن ومحيطها هي المجال الأساسي للحروب على مدى الستين عاماً الماضية، وهذا يدل على أنها منطقة مستهدفة، والوطن العربي يشعر بالخطر الذي يأتي من الوجود العسكري المسلح نووياً من الصهاينة على الحدود الشمالية الشرقية لمصر، وخطر آخر يأتي من هذا الاندماج الذي تحدثه السياسة الأمريكية بينها وبين إسرائيل في المنطقة العربية، حتى صار الهدف الصهيوني هدفاً موحداً يتجه ضد الشعوب العربية عامة من العراق إلى مصر، ويبغي السيطرة الكاملة على هذه المنطقة.

الوطن العربي لا يمكن عزل بعضه عن بعض؛ فمصر مثلاً لا يمكن عزلها عن محيطها، فلسطين أو السودان، أو ما يحدث في المنطقة، وأنا لا أتكلم بقصد تأييد العروبة أو الوحدة العربية، ولا لتأييد الوحدة الإسلامية، ولكن بمنطق المحافظة على استقلال مصر وماهيّتها وقدراتها وعلى أن تكون متحكمة في إرادتها السياسية، ولا يمكن أن يحدث هذا كله إلا بتأمين مصر سياسياً وعسكرياً من خلال تأمين المنطقة المحيطة بها، وأمن مصر يبدأ من أرض الشام وينتهي في البحيرات الاستوائية.

وعلاقة ذلك بالعلاقات الدولية والغطرسة الأمريكية أن الظروف الدولية تكون حاكمة في أشياء، ولكن تظل هناك إمكانية أن تحقق ما تريد وتصون بها ما تريد صيانته، واذا كانت هناك هيمنة أمريكية على مقدرات عالم اليوم، تظل هناك إرادات وطنية قائمة، وستجد أوروبا ليست

منصاعة تماماً لأمريكا، ولها حدود معينة فـي هـذا الشـأن مثل فرنسا وألمانيا.

نجد روسيا أيضاً ليست منصاعة رغـم أنهـا فـي حالـة من الضعف الشديد، ستجد الصين تعمـل بشـكل مختلـف وإيران وكوريا الشمالية، أي هناك مجالات معينة نسـتطيع بهـا أن نصـون الجوهريـات والأساسـيات لـذاتنا، وإذا زاد الضغط علينا عن حد معين لابد أن نقاوم وأكبر مثـل لهـذا الفلسـطينيون، فـإذا حسـبنا بالسياسـة والاقتصـاد وكـل شيء، فإن قـدرتهم علـى مواجهـة الصـهيونية وإسـرائيل المؤيدة من الولايات المتحدة ضـعيفة، ولكنهـم يقـاومون وقادرون على التعبير عن أنفسـهم والتـأثير فـي السـاحة وإيلام خصمهم.

والبعض يقول: إنه إذا فعلت مصر ذلك فـإن مصـيرها سيكون مثل العراق، وبعض الدول المهدّدة مـن الولايـات المتحـدة مثـل إيـران وسـوريا وغيرهـا، وأنـا أتصـور أن الخطورة أكبر في الانصياع، وهناك مثل تاريخي فـذّ يؤكـد ذلك، وهو التنـازلات الـتي قـدمتها بريطانيـا وفرنسـا فـي مواجهـة هتلـر عنـدما غـزا تشيكوسـلوفاكيا عـام 1936، والمؤرخون يؤكـدون أنهـا السـبب المباشـر تقريبـاً لقيـام الحرب العالميـة الثانيـة؛ لأنهـا زادت طمـع وجشـع هتلـر، وزادت من إحساسه بقوته وعدم شعوره بقـوة الآخريـن، ويُقال: إنهم لو تصدوا له ما قـامت الحـرب الـتي قتلـت (62) مليون إنسـان ودمـرت أوروبـا كلهـا، أي أن التنـازل أكثر مما يجوز يؤدي إلى طمـع المعتـدين فيـك أكـثر ممـا يجوز، ويؤدي إلى استهانتهم بك، لابد أن يكـون هنـاك حـد للمقاومة[1].

---

[1] المستشار طارق البشري: معركة غزة: الحرب الأمريكية الصهيونية العاشرة

دولة بلا هدف

سلم نظام الحكم في مصر قيادة الدولة للعدو الحليف، ويعد ذلك تنازلا عن سيادة الدولة وعن وظيفتها التاريخية، ويكون قد أفقد بلاده استقلالها، وأن فقدان الاستقلال إما أن يأتي من احتلال عسكري مباشر كما كان يحدث في القرون السابقة، أو بحصار وضغوط سياسية واقتصادية تفقد بها الدولة القدرة على اتخاذ القرارات المعبرة عن الصالح الوطني، أو يكون بهذه الطريقة الحادثة، طريقة عقد الحلف الإستراتيجي مع العدو الإستراتيجي، مما يجعل آلة الدولة تتحرك إلى ما يحقق الإضرار الوطني بدلا من الصالح الوطني، وبما يجعلها تحقق الصالح الأجنبي وتنصاع له وتعبر عنه وتحميه ضد معارضة شعبها ومقاومته.

على أنه يتعين هنا أن نفرق بين نظام الحكم الذي يتخذ هذه السياسات وبين أجهزة إدارة الدولة التي تتشكل من الفنيين وأصحاب التخصصات المهنية في كل من ميادين العمل والنشاط الحكومي والمؤسسي، سواء في المجال العسكري أو مجالات الإنتاج والخدمات وغيرها، وأقصد بنظام الحكم هذه القلة القليلة الممسكة بزمام الدولة في مراكزها العليا والتي ترسم السياسات وتتخذها وتجبر أجهزة التنفيذ عن تحقيقها. وأن التنظيم الاستبدادي قد أعطى هذه القلة صلاحيات مطلقة في التصرف وفي الإمساك بزمام أجهزة الدولة كلها وفي إخضاعها للنفوذ الشخصي لهذه القلة التي يعبر عنها شخص واحد هو رئيس الدولة.

إن السعي للسيطرة الفردية على دولة مترامية الأطراف كأجهزة الدولة المصرية، قد اتبع أساليب سيطرة عديدة، ومنها تفكيك أجهزة الدولة والإدارة وصرفها عن وجوه الأنشطة الموضوعية التي تكونت من

أجـل تحقيقهـا، ذلـك لأن أي رئاسـة لأي جهـاز إدارة أو مؤسسـة يمكـن أن يسـيطر عليهـا ويضـغط عليهـا هـذا الجهاز، ويمكنه أن يحاصرها ويجعلها أسيرة له، وقد عرف ذلك في أمثلة تاريخية وواقعية كثيرة، وذلـك إذا كـان هـذا الجهاز ذا نشاط تخصصي فعال وذا علاقـات نوعيـة قويـة بغيره من الأجهزة وذا إرادة ذاتية تتراكم خبراتها وتجاربهـا عبر وجوه النشـاط الفنـي المبـذول، وذا اسـتقلال نسـبي للعـاملين بـه مـن حيـث أوضـاعهم الوظيفيـة ومـن حيـث ضـمانات بقـائهم فـي عملهـم والأسـس الموضـوعية المستقرة والتي يتعاملون بهـا، ويكـون ضـغط مثـل هـذه الأجهزة والمؤسسـات علـى رئاسـاتها الفرديـة مـن خلال المـؤدي العـام للعمـل؛ لأنهـا هـي مـن يجمـع المعلومـات ويحللها ويصنِّفها ويقدمها لرئاسـته؛ ولأنهـا هـي مـن ينفـذ القـرارات الصـادرة مـن الرئاسـة ويضـعها فـي التطـبيق، ولأن الفشل والنجاح للعمـل المـؤدي معلـق علـى كيفيـة اتخاذ القرار وتنفيذه بواسطتها، ويساعد علـى ذلـك أيضـا أن الرئاسات الفردية تكون متغيرة تتداول الرئاسة لفترة محدودة، فيكون التكوين القاعدي فـي الهـرم الإداري هـو الأكثر ثباتا واستقرارا.

لـم تعـد الرئاسـة مؤقتـة خلال العقـدين الماضـيين لا بالتداول التنظيمي الدوري، ولا بالحـدود القصـوى للعمـل سـنوات معـدودة أو لسـن محـدودة، ولا بـأي قاعـدة موضـوعية تصـدق علـى النـاس بأوصـافهم لا بـذواتهم فصارت الرئاسـة مؤبـدة، والتأبيـد لا يعنـي الـدوام ولكنـه يعني عدم تحدد المدة والبقاء لمدة لا يعـرف المتعـاملون لهـا نهايـة. وهـذا الأمـر يعـادله ويقـوم إزاءه أن صـاحب السلطة الرئاسية قد قرر أن يخرج التالين له فـي العمـل بإرادته الفردية وبمحض مشيئته الخاصة، ومـن ثـم اختـل التوازن كليا وتغير مـن النقيـض إلـى النقيـض فـي علاقـة الرئاسة الفردية للمؤسسـة بالجهـاز القـائم فيهـا، واختـل

التوازن بما لا يقاس بالنسبة لرئاسة الدولة التي صار رئيسها الأوحد يملك من السلطة على كل العاملين بهذا الجهاز الطويل العريض القديم الحديث، تملك من ذلك ما لم يملكه رئيس ولا ملك ولا أمير ولا والٍ فيما نعرف من تاريخ هذا البلد.

ومكن من ذلك طبعا أن الدولة خلال ربع القرن الأخير، لم يكن لها أي مشروع تقوم به، المصانع تتركها لتصدأ وتتعطل، العمال تتركهم ليكبروا في السن فيتقاعدوا دون بديل أو يخرجوا "بالمعاش المبكر"، الأرض الزراعية تتركها لتقام عليها الأبنية وتفقد صلاحيتها، والتعليم ترك ليفسد وليسوء مستوى المناهج ومستوى المدرسين ولتنمو بتلقائية الدروس الخصوصية، والجامعات تركت ليهرب أساتذتها من مصر للخليج فتفقد مصر جهودهم دون بديل ذي بال في الخليج، والصحافة تركت تتهاوى إلا من ذكر تأثير الرئيس وإثارة القضايا غير ذات الأهمية، وبث الفرقة بين المصريين في مسائل فكرية مجردة، ومدخرات المصريين من العمل بالخارج فتحت لها أبواب الإنفاق غير الاستثماري، وذلك في مشروعات المدن الجديدة، والساحل الشمالي وشواطئ الإسماعيلية.

والأخطر من ذلك والأهم أن أي جهاز مؤسسي إنما يتكون من تخصص معين ولمهام نوعية معينة توكل إليه، ويجمع رجاله من خلال تخصصهم المناسب وتتراكم خبراتهم بما يوكل إليهم تباعا من مهام نوعية، ونحن عندما لا نطلب منه عملا فهو يركد ويعلوه الصدأ وتفسد علاقات تكويناته بعضها مع بعض، وعندما نصرفه عن عمله إلى عمل آخر تتضارب وظائفه ويفقد رجاله قراراتهم، وتتفكك أوصاله وروابطه التنظيمية، كجيش مثلا نطلب منه مهام استثمارية، أو قضاء نحيل إليه مهام إدارة أموال محروسة، وهكذا..

ويزيد الأمر تفكيكا وعطبا، أن تجعل راتب العامل أو أجره لا يكفي ضرورات معيشته، فيبحث عن مورد آخر، وعادة ما يجده ولكنه يكون خارج إطار عمله الأصلي، فتضعف علاقته بعمله الأصلي، وهو يجده بغير ضمانات الوظيفة والأجر الذي يوفره له عمله الأصلي، فيكون ما هو مضمون وقانوني غير كافٍ ولا عاد ذا أهمية، ويكون ما ليس قانونيا ولا مضمونا هو ما يسد الرمق ويشبع الاحتياجات ولكنه مؤقت، فلا يصير الإنسان منتجا في عمله الأول لعدم كفاية الدخل المتحقق منه، ولا يكون منتجا في عمله الآخر لتأقيته وعدم استغراقه لحياة الشخص، ثم يتوج ذلك كله أن يكون لرئيس العمل إمكانية إنهاء عمل العامل، وأن يكون له أن يجدد عمل الموظف الكبير كل سنة أو كل سنتين، أو ثلاث، كما حدث فعلا في القوانين التي صدرت من 1991 إلى 1994 و1998 بالنسبة للعاملين بالدولة وقطاع الأعمال والجيش والشرطة، هنا تكمل السيطرة الفردية للرئيس ويتم التفكك في ذات الوقت ولم يبق إلا الشرطة جهازا ذا فاعلية في حمايته للحاكم، ولكنها تحت السيطرة الفردية القابضة.

تفكيك الدولة المصرية

مصر قبل الثورة كانت مفككة على المستويين الرسمي والشعبي، ولكنه شتان بين المستويين؛ لأن المستوى الرسمي صار نظام الحكم أو القائمون عليه، على تحالف إستراتيجي يفصحون عنه، مع من نعتبرهم أعداء الوطن والأمة، وصار جهاز إدارة الدولة على تفكك تنظيمي، وهو في تفككه غير قادر على القيام بوظائف الدولة التقليدية من ذود عن الوطن والاستجابة للاحتياجات الأساسية للجماعة السياسية. ولم يعد ذا فاعلية فيه إلا الشرطة الموكل إليها حماية أمن القائمين

على الحكم. ولكن حتى هؤلاء في النهاية وفي غير ما يتعلق بأمن القائمين على النظام يلحقهم ما يلحق غيرهم في المدى الأطول نسبيا.

أما بالنسبة للمستوى الشعبي، فإن عوامل السخط والثورة تتجمع لدى النخب من المهنيين والمثقفين بقدر غير مسبوق في العقود الأخيرة، وهؤلاء هم من تتشكل منهم المؤسسات المختلفة، سواء في داخل هيئات الدولة أو في هيئات المجتمع المدني، وحركاتهم يمكن أن تظهر من خلال النقابات المهنية وغيرها من تشكيلات المجتمع المدني التي تضم جمعيات وأحزابا وصحافة وغير ذلك. والحركة بينهم تتسع نسبيا وتتصاعد ببطء، ولهذا التحرك أثر هام ولكنه لم يبلغ حد الحسم، وليس من شأنه أن يبلغ حد الحسم إلا باتصال بالجموع الأوسع.. والجموع الأوسع والأكثف تتراءى في الأساس حيث يتجمع الناس.. والناس تتجمع على سبيل المداومة والاعتياد الضروري في المدن وهم في المدن يتجمعون عمالا في المصانع وطلبة في الجامعات والمدارس ومصلين مترددين على المساجد، وعلى هذه العتبات ينبغي أن يسعى رجال العمل.

وإذا كان التفكك حادثا في مجال الأنشطة الشعبية، فإن العزم على التجمع والتشكل المؤسسي من شأنه أن يوجد حركة توحيد وتقارب معاكسة لحركة التفكيك، لدينا نقابات مهنية على قدر من التماسك والتنظيم الحميد وقدرة على اتخاذ القرار الذاتي وحشد أعضائها في ضوئه، ولدينا النوادي المهنية ذات قدرات مشابهة، وأعضاء كل أولئك منتشرون في أجهزة الدولة وفي هيئات المجتمع الأهلي، ولدينا التنظيمات الحزبية، سواء ذات الوجود الشرعي وهي ضعيفة في صلتها بجماعات الرأي العام ولكنها موجودة، أو التنظيمات السياسية المحجوبة عن الشرعية.

ولدينا اتحادات للطلبة ابتكرت وجه نشاط جديد لما وجدت الحكومة تسد عليها وجه الانتخابات والاختيارات الحرة والنزيهة في الاتحادات الطلابية المعترف بها رسميا، قامت بإجرائها أهلية أو عرفية وأنشأت اتحادات موازية للاتحادات الحكومية، وكان هذا نوعا من العصيان المؤسسي الحميد والمبتكر في الساحة المصرية، وهو شبيه بفكرة "الأحزاب تحت التأسيس" وانتشار هذا الأسلوب في التكوين المؤسسي العرفي سيطلق إمكانات تنظيمية جديدة تماما وتكون مؤثرة بقدر انتشارها.

ولدينا نقابات عمالية ولكنها صارت واهية جدا ومسيطرا عليها من جانب الدولة، وذلك يرجع طبعا في واحد من أهم أسبابه إلى المتابعة الأمنية لهذه المؤسسات والتداخل فيها، وهي ظاهرة قديمة، وإن كانت استفحلت مع استفحال النفوذ الأمني في كل مقدرات الدولة وتنظيماتها وتشكيلاتها، حتى في الإعلام وفي القضاء ناهيك عن رجال الأزهر والجامعات وناهيك عن تكوين الجمعيات الأقل خطرا من النقابات العمالية.

عندما قرر النظام الناصري في الستينيات تمثيل العمال في مجالس إدارة شركات القطاع العام، إنما كان يقصد من ذلك أن يكون العمال مشاركين في اتخاذ القرارات الخاصة بالشركات، وأن يكون صوتهم مسموعا لدى الفنيين من مديري هذه الشركات عندما يتخذون سياساتهم ويصدرون قراراتهم، فلما تحول النظام الاجتماعي الاقتصادي لمصر في عهدي السادات ومبارك إلى نقيض ما كان عليه في العهد السابق عليهما، انعكست الوظيفة المؤداة، وبدلا أن يكون العمال في مجالس الإدارة وسيلة وقناة لهم لدى أصحاب القرار، صار هؤلاء العمال وسيلة وقناة لأصحاب القرار لدى العمال ينفذون ما تراه الإدارة ويطوعون المجال العمالي

للسياسات العليا المتخذة، وقد قاموا بدور مؤثر جدا وهام جدا لا في قمع الحركات العمالية، فهذه وظيفة الشرطة، ولكن في تدجين الحركة العمالية وإفسادها من الداخل ونقل عوراتها إلى الإدارة العليا وسلطات الدولة وهو ما أدى إلى هذا الهدوء الملحوظ في تطبيق سياسات تصفية شركات القطاع العام، وتوقف المصانع عن العمل وانتشار فكرة المعاش المبكر للتخلص من العمالة في هذه الشركات.

أصبحت سياسة مصر الثابتة على مدى ربع القرن الأخير هي التخلص من مصانع القطاع العام، وتصفيتها وقد هدّت من القاعدة الشعبية الأساسية للطبقة العاملة وهزتها هزا عنيفا جدا بحيث لم يعد تكوينها الإنساني العضوي على ذلك القدر من الثبات الإجتماعي والذي يولد التجمع والتحرك المنظم والفعال لصالح هذه الطبقة الإجتماعية.

كما أن العمالة الجديدة التي نشأت في شركات القطاع الخاص المنشأة حديثا في هذا العهد الأخير، سواء كانت عمالة جديدة تماما أو عمالة منقولة من شركات القطاع العام التي جذبها القطاع الخاص الجديد، هذه العمالة لم تكن طبعا محمية بالضمانات القانونية التي كفلتها تشريعات القطاع العام للعمال، ويزيد على ذلك أن أصحاب الأعمال لجئوا - بالتآمر مع قيادات في الحركة النقابية العمالية وبالتآمر كذلك مع أجهزة الدولة الرقابية في هذا المجال- إلى حيل قانونية أفقدت العمال والعاملين في القطاع الخاص كل الضمانات التي كفلتها القوانين وسوابق القضاء لهم للعاملين في القطاع الخاص بموجب عقود العمل الفردية، وذلك بعد ما صار عقد العمل الموقع من العامل عند تعينيه لا تكون لدى العامل منه نسخة موقعة من صاحب العمل، وأن يوقع العامل على إقرار له غير مؤرخ بالإستقالة من العمل،

يوقعه مع عقد العمل ذاته لدى صاحب العمل يفصل به صاحبُ العملِ العاملَ عندما يشاء بغير أي ضمانات، وهذه أسباب أراها ذات أثر فيما نلاحظه من خفوت الصوت ووهن المردود الإجتماعي والسياسي للعمال في هذه الأيام، والأمر هنا يحتاج للإنعاش بعمل صبور ودءوب لإعادة بناء حركة هي عزيزة جدا على المجتمع المصري وذات أثر يكون فعالا إن شاء الله.

شخصنة الدولة

شخصنة الدولة[1] تعني أن كل مؤسسات الدولة خاضعة لإرادة الحاكم الذي يهيمن على مقدرات الأمة، ولم يكن مسموحاً بوجود مشروع خارج إرادة الدولة المشخصنة، وهذا يعني أن أي تحرك شعبي سيقف بأصحابه في دائرة العمل غير المشروع من وجهة نظر الدولةِ المشخصنة، وأن أي سعي في هذا الشأن يعد عصياناً.

ويجب أن نعرف أولاً من هو في الحقيقة من يقف في مجال العصيان: هل هم من تحولت الدولة على أيديهم إلى أن تكون شأنا خاصا لهم ولذويهم؟ أم من يريدون ويسعون إلى أن يردوا الدولة إلى وظائفها الحقيقية بأن تعود ممثلة للجماعة الوطنية، ترعى الشأن العام للمواطن والشعب.

وتحرير مفهوم العصيان وتدقيقه بالقياس لمفهوم الشرعية يعني أن لفظ العصيان يدل على أنه لم تعد ثمة شرعية واحدة تجمع بين الوجود الأهلي بتكويناته وبإرادته الذاتية وبفاعليته الحركية، وبين الإطار الذي تتواجد فيه وتعمل الدولة المتشخصنة في أفراد معدودين يقفون على قمة الدولة، فلم يعد ثمة نطاق شرعي واحد يجمع

---

[1] المستشار طارق البشري

بين تلك القمة العليا الممسكة بزمام الدولة وبين الدولة ذاتها بهيئاتها وتشكيلاتها وعمالها واسعي الانتشار في أجهزتها العسكرية والمدنية وغيرها.

والمتابع لتحولات الشخصنة وتداعياتها يدرك أن ثمة انفصاما يتم بين قمم بالدولة وبين حجمها الكلي. هنا لا يغدو تعديل الدستور ولا أي من أحكامه هو ما عليه المعول في خروج أمة أو دولة من هذه المحنة التي تسد عليها آفاق الوجود الصحي الحميد، وإنما ما عليه المعول -مع تعديل الدستور وقبله وبعده- هو السعي الحثيث لإيجاد القوى السياسية الإجتماعية التي تستطيع أن توجد وتتحرك وجودا وحركة ذاتيتين، وألا ضمانة تتأتى من تعديل الدستور غير هذا الأمر.

بيد أن هذا الإيجاد والتحرك المستقلين لن يتأتيا إلا بالمجهودات العملية التي ستعتبرها الدولة المشخصنة لا محالة من أعمال العصيان، وحين يغدو المطلوب هو إخراج الدولة عن تشخصنها، فكيف نتوقع ألا تعتبر هي ذلك من أعمال العصيان عليها؟

القائم على الدولة المتشخصنة لا تربطه عائلة قبلية ولا نقابة أو جماعة دينية ولا حزب سياسي أو طبقة اجتماعية، وهو يسيطر بذاته على مفاتيح السلطة، وتصير آلة الحكم وأجهزته كلها تحت إمرته، ولا يقيده إلا الإمكانات المادية للدولة وأجهزتها في الحركة والنفوذ، وهو يتغلب على ضغط عمال الدولة عليه بأن يشخصن الفئة المحيطة به من العاملين معه بإبقائهم في وظائفهم أطول مدة ممكنة، بحيث تحل العلاقات الشخصية محل علاقات العمل الموضوعية، والمهم أنه لا يقوم من خارج إطار أجهزة الحكم ما يكون ذا تأثير عليه، ولا تقوم آلية ما للتبادل والتأثير معه إذا بقيت خارج إطار السلطة والوظائف الرسمية.

النظام المتشخصن نظام منغلق، لا ينفتح على خارج ذاته، ولا تقوم آلية ما لإجراء أي تعديل فيه أو تجديد أو تغيير، وأي تعديل أو تنويع فيه إنما يرد بطريقة "الاستنساخ السياسي"، ونحن نعلم أن الاستنساخ البشري إما يكون بتخليق خلايا من جسم حي لتكوين جسم حي آخر يخلف المستنسخ السابق ولا يحمل فقط خصائصه وإنما هو أيضا يحمل عمره ومدى القدم الذي كان عليه الأصل حالة الاستنساخ، أي إن هذا المُنشأ الجديد لا يكون صبيا ولا شابا، وإنما يولد في عمر من أخذت منه الخلية. ومن ثم فلا تقوم في النظام المتشخصن أية قدرة ولا إمكانية على التجديد الذاتي، إنما يشكل فقط حالة من حالات الاستبقاء، بأي ثمن وبأي مقابل، وأحد أسباب الشخصنة هو طول مكث الشخص في قمة العمل العام بذات سلطاته وصلاحياته وبغير تحد يلقاه.

ومن الملاحظ أنه كلما ضاقت دائرة الأفراد الممسكين بزمام الدولة زاد التضييق على خصومهم السياسيين، وزاد ميلهم لاستخدام العنف مع الخصوم، وأن شخصنة الدولة هي آخر درجات ضيق نطاق المسيطرين على الدولة، ذلك أن الشخصنة تكون القيادة فيها قد آلت إلى أفراد معدودين: هنا تضيق المصلحة المحمية من الدولة؛ لأنها تكون اقتصرت على مصالح أفراد، كما يضيق التأييد الاجتماعي المستمد من الجماعات، سواء خارج الدولة أو من بين العاملين بالدولة ومن داخلها.

كما تضيق الحجج والمحاذير التي تساق لتبرير السياسات والأوضاع، فيزيد عدم الاحتمال، ويزيد الميل إلى إسباغ نوع من القداسة على الفرد الذي يعتبر رأس الدولة المشخصنة، ويزيد احتمال استخدام آلة الدولة الأمنية لقمع أي حركة مخالفة في مهدها. واستخدام

عنف الدولة هنا هو الحل الجاهز دائما والسريع لمواجهة أي تحرك أو أي تجمع ولو في مهده، لإجهاض ما يتكون ولردع ما هو في طريق التكوين.

وهذا ما يواجه به أي فعل حركي فورا، وهو ما ينتظره أي فعل حركي، وهو ما يتعين أن يكون في الحساب دائما، ويعني هذا أنه يتعين أن يكون في الحساب أيضا لا توقع عنف الدولة فقط ولكن الإعداد للقدرة على مواجهة هذا العنف بإستراتيجية تتبنى عدم العنف، أي بالتلقي والتقبل لعنف الدولة دون أي رد عنيف، ذلك أن العنف الذي يمارس هنا إنما تمارسه الدولة وأجهزتها قياما بواجبها ووظيفتها الأساسية وهي حفظ الأمن ومنع الاضطرابات، وهي أجهزة ليست سياسية ولا تصدر عن تقويم سياسي تقوم به أو يقوم به قادتها، وإنما تصدر عن إرادة سياسية وقرار سياسي تملكه أجهزة التقرير في قمة الدولة المشخصنة، وليس ثمة خصومة تقوم مع أجهزة الدولة، ولا مع العاملين فيها، والأمر يقتضي من أصحاب الحركة الشعبية قدرا كبيرا من ضبط النفس ومن الاحتمال، ومن الاستعداد لتقبل العنف دون رد عليه إلا بالتصميم على الحركة وعلى استبقائها مستمرة، وعلى استبقائها غير عنيفة، وأن يكون تحمل عنف الدولة دون رد عليه مع الاستمرار في الحركة السلمية غير العنيفة، أن يكون ذلك هو التكلفة والنفقة التي تؤدى لله وللوطن من أجل الخروج من الطريق المسدود الذي يظهر أنه لا خروج منه إلا بتلك الحركة.

ولـ"غاندي" تعبير دقيق وجميل يصف به هذا الأمر، فهو يقول: إن الحاكم عندما يواجه الحركة الشعبية السلمية بالعنف يكون كمن يضرب الماء بسيفه ليقطعه، فالعنف لا يهزم الحركة السلمية مهما آذى رجالها، وللأديب الأمريكي "يوجين أونيل" مسرحية باسم الإمبراطور جونز، تحكي أن إمبراطورا في بلد إفريقي

انسحب مواطنوه من البلدة وذهبوا إلى الغابة وبقوا يدقون الطبول على نحو رتيب، أي انصرف عنه شعبه، ولكنه كان انصرافا منظما وجماعيا، ويستهدف عملا احتجاجيا مقاوما، لم يكن الانصراف عملا سلبيا، كان هو صميم العمل الإيجابي، ولم يكن هروبا بل كان هو عين المواجهة. وتصف المسرحية اضطراب الحاكم في مواجهة هذا الفعل المنظم.

فلا بد للحاكم من الشرعية، مهما كان ذا سلطات مطلقة، والشرعية بالمعنى المقصود منها هنا هي التقبل العام في حده الأدنى الذي يُمَكّن له من أن يطاع، وأن تنفذ أوامره ونواهيه بين الناس فيصالح غالبيتهم إليها، وأن تنفذ هذه الأوامر والنواهي بين عمال الدولة وأجهزتها.

ويستحيل للحاكم أن يحكم شعبا إلا بتوافر درجة معتبرة من التقبل والانصياع له بين الناس، ويستحيل عليه أن تمضي قراراته بين عمال دولته إلا بدرجة أقوى من التقبل تدفع عماله إلى الحركة لإمضاء قراراته بغير تراخ ولا تسويف ولا إهمال. إن من أولى مشاكل أي رئيس في أي موقع من مواقع العمل والإدارة، هي كيف يدفع مرؤوسيه إلى مده بالمعلومات والخبرات الخاصة بالعمل بكفاءة وصدقية، وكيف يدفعهم لأن ينفذوا قراراته بالضبط اللازم لإنتاج أثرها، ولو فرض أن كان المرؤوس شخصا واحدا -وهذا طبعا لا يحدث قط- لكان الرئيس أحوج إلى مرؤوسه الوحيد من احتياج المرؤوس إلى رئيسه. يبدو ذلك جليا إذا لوحظت علاقة أي رئيس جديد بمرؤوسيه، حيث يكاد في الأيام الأولى له معهم يستجدي تقبلهم له، إن لم يكن ذا علاقة سابقة بهم. هذا من حيث علاقة الرئيس بمن دونه.

ويلاحظ أن علاقة الحاكم بمحكومه أشد احتياجا؛ لأنه لن يكون حاكما بغير طاعة المحكوم، وإذا أردنا أن نوضح مدى احتياج كل من الجانبين للآخر، فيمكن القول بأنه لا أمن ولا انتظام للمحكوم بغير الحاكم، ولكن في المقابل فإنه لا وجود أصلا للحاكم بغير المحكوم. ولا نقصد بذلك الوجود المادي ولكن نقصد وجود الحاكم بوصفه طرفا في علاقة لا تقوم ولا تنشأ إلا بمحكوم لديه الحد الأدنى للتقبل والانصياع، بحيث إنه إذا أزاح التقبل والانصياع، أو خفضهما إلى ما دون الحد الأدنى، فلا يبقى حاكم على كرسيه، والمسألة هنا ليست مسألة إزاحة مادية، إنما هي إزاحة للتقبل وهي ليست إطاحة مادية ولكنها إطاحة للانصياع وللخضوع.

نحن نعرف من تجربة الهند أن الإنجليز ما كانوا يستطيعون أن يحكموها بغير تعاون الهنود وخضوعهم، وهذا ما أدركه غاندي وعمل على إنهاء هذا التعاون؛ فما لبث الحكم الإنجليزي أن انتهى، رغم أنه كان يعتمد على جيوش وأساطيل إنجليزية، وكان جهاز الدولة الهندي يتشكل في قياداته من الإنجليز. فهذا الأسلوب كان ناجحا ضد حكام أجانب وضد آلة حرب أجنبية وضد جهاز دولة يشكله ويشرف عليه ويشترك في أنشطته الوسطى أجانب، فما بالك بأثره الكبير إذا لم يوجد أجنبي في حكم، أو في آلة حرب أو في أجهزة دولة.

ولغاندي كلمة ذكية في هذا الشأن، فهو يقول: سوف نتوقف عن لعب دور المحكوم، وإن الإنجليز مهما أعملوا العنف فنحن نعرف أنهم لن يستطيعوا أن يتحركوا خطوة واحدة للأمام، وإذا كان هذا ما قاله غاندي بوصفه محكوما، فهو عينه تقريبا ما قاله هتلر بوصفه حاكما وطاغية، فهو يقول في كتاب "كفاحي": إنه لا يمكن الاحتفاظ بأجهزة الحكومة عن طريق القوة وحدها. وميكافيللي يؤكد الظاهرة ذاتها في كتابه "الأمير"، على

اعتبار أن القسوة كلما زادت ازداد نظام الحكم ضعفا، وأنه إذا لم يكن من سبيل أمام الحاكم لانتزاع الطاعة إلا بالعنف فإن النظام يكون آخذا في الزوال، وعلينا أن نعي جيدا درسا في السياسة يتفق على إدراك ظواهره وعلى استخلاص عبرته، يتفق على ذلك غاندي في أقصى الحركة الشعبية السلمية الأخلاقية، وهتلر في قمة سلطة العدوان المسلح العنيف غير الأخلاقي، وميكيافيللي في قلب العمل السياسي الذي لا يعرف من المبادئ إلا مصلحة الحاكم والدولة.

ونحن نذكر كيف أن ثورة 1919 في مصر كان طابعها العصيان وعدم التعاون، وكانا فاعلين، من حيث السعة الشعبية والشمول، وهذا ما جعل اللورد اللنبي المندوب السامي البريطاني في مصر يصف لحكومته الوضع قائلا: لقد صارت الحكومة مستحيلة في مصر في ربيع 1919، وهذا بالذات -وضع "استحالة الحكومة"- هو ما اضطر الحكومة البريطانية الاستعمارية إلى تقديم التنازلات للمصريين بالإعتراف باستقلال مصر وسقوط الحماية البريطانية عنها، والبدء في التعامل مع قوى الثورة المصرية، كما كان إضراب المواطنين في مصر في 1919 إيذانا بانتهاء نظام حكم استمر سبعا وثلاثين سنة سابقة منذ 1882، وإيذانا ببداية نظام جديد استمر ثلاثا وثلاثين سنة حتى 1952.

ونعرف في السودان حركة 1964 التي خرج فيها شعب السودان إلى الشوارع في حركة احتجاج شعبي منظم ومصمم حتى انتهى سلميا نظام إبراهيم عبود الذي كان قد بدأ في 1958 واستمر حتى 1964.

ونعرف أيضا بدايات الثورة الإيرانية، تحرك الناس بجمعهم في حركة سلمية احتجاجية تعبر عن الرفض الشامل لحكم الشاه، وبقي تحركهم شاملا وسلميا رغم

ما لاقوه من عنف الدولة وأجهزة القمع فيها، ولكن الإصرار على الفعل الاجتماعي السلمي المثابر في شمول ما لبث مع مضي الوقت أن فصل بين قيادة الدولة صاحبة القرار وبين أجهزة التنفيذ والضغط، فانحل وثاق الدولة، وكان امتناع أجهزة القمع عن إطاعة الأوامر بالضرب هو في ذاته إنهاء للنظام السياسي.

حين نجد المواطنين قد صاروا مبعثرين، أفرادا لا يجتمع الغالب منهم في تجمعات منتظمة، ولا يحيون معا بين ذويهم من أهل المهن أو الحرف أو الأقاليم أو المذاهب أو الملل أو العشائر، ونقصد بالتجمع المنتظم والحياة هذا التواجد الإنساني الجماعي الذي يقوم به الشعور بالتجمع والاتصال بجماعة ما -علينا أن ندرك العصيان المشروع كوسيلة لاستعادة دور الدولة وقوامها، والحكم وأسسه، فالدولة المركزية حين تضرب التجمعات الأهلية والجماعات الفرعية إنما تقصد إلى أمرين:

- أولهما القضاء على الشعور بالجماعية أيا كانت، سياسية أو اجتماعية أو مذهبية أو إقليمية أو مهنية.
- وثانيهما القضاء على التعبير السياسي أو الاجتماعي خارج الغرف المغلقة، بالحركة الشعبية السلمية في أماكن العمل، وفي الشوارع والميادين وغير ذلك.

وحينئذ لابد أن يتجاوز الفعل الحركي السلمي المطلوب ما تحرص الدولة المركزية على منعه في هذين الأمرين، وما اعتاد الناس عليه بموجب منع الدولة أزمانا طويلة. وذلك بإحياء عوائد العيش في ظل الانتماءات الجماعية، وبإحياء عوائد التعبير الجماعي السلمي عن الموقف، وسائل التعبير الجهير خارج الغرف والقاعات المغلقة.

حين نجد دولة تجعل المواطنين في شتات داخل أوطانهم وفي عقر بلادهم، فلابد من تلمس بوادر الخروج من هذا الشتات، ولا مخرج من حالة الشتات إلا بتجاوز أوامر قيادة الدولة المشخصنة، دولة الفرد الواحد. وهذا التجاوز لا يتأتى بالمطالبات وبالتوجه لهذه القيادة المشخصنة بما يطالب به الناس من تجمع، إنما يرد بالممارسة، وفي مثل هذا الأمر تدرك الجماعات الوطنية أن الشرعية في التصرف والفعل الحركي لا ترد من قيادة فردية ولا من قراراتها، وإنما ترد من نظم المجتمع وما يكفله الدستور من رخص وحريات وتحري ممارسة الأفعال وحقوق الإنسان بموجب الإقرار الجماعي بقيام هذه الرخص وإتاحة هذه الحريات، ويجري النظر إلى سياسات القيادات الفردية وقراراتها التي تمنع هذه الأمور، يجري النظر إليها بحسبانها من العقبات المادية الواجب تفاديها، والمهم في ذلك هو تطوير إستراتيجيات الحضور والممارسة، والنظر إلى العقبات بروح التذليل لما يقبل التذليل، والتفادي لما لا يجدي معه إلا التفادي، وكل ذلك في إطار صارم من السلمية في النشاط والعمل. ومع تحمل نتائج العقبات المادية والصبر على نتائجها. ويحدث ذلك بالقليل المتتابع الذي يصير كثيرا، وتلك عبرة التاريخ.

المشكلة التي تواجه هذه الممارسة عادة هي أن الإنسان وهو فرد يستصحبه الشعور بالضعف وعدم الأهمية، ويستبعد أن يكون رأيه أو فعله ذا أثر في غيره. فحال الفرد الأعزل الوحيد وهو يواجه سلطة مؤسسة تتكون من جماعة منظمة ذات تشكيل هرمي يخضع لإمرة رجل واحد هي أقرب لليتم ومعاناة القهر، لذلك لابد من الخروج من هذه الحال ولابد من أن يعتصم الناس بالتجمع، فلن يشعر الفرد بقوته وبأثره إلا وهو في جماعة فاعلة. وأن قوة الجماعة هي أضعاف أضعاف

مجموع أفرادها "فَإِن يَكُن مِّنْكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" صدق الله العظيم (الأنفال: 66).

إن الطغيان لا يبقى قويا مدعوما إلا بقدر ما يكون الناس متفرقين، وهو يعرف جيدا من أول درس استوعبه في علم الطغيان أن مصدرا مهما لقوته عليهم هو الشتات الذي يحيون فيه؛ لذلك لابد من تجاوز الشتات، شتات المواطنين في وطنهم، ولا يبدأ هذا التجاوز إلا بالممارسة الفعلية فهي ما عليه المعول، ولا يظن صاحب عقل رشيد أن الحاكم سيعطي المواطن ما يقوى به المواطن على الحاكم، بل المبادرة والفعل هما الأساس.

والقمع الذي يواجه به فعل التجمع الشعبي في مجالاته المتعددة والمتنوعة منتظر ومتوقع، وما دام بقي الفعل الشعبي ممارسا بتتابع واستمرار، ومع تحمل التكاليف المترتبة على ذلك، ومع التصميم على الالتزام بالممارسات السلمية الخالصة، فإن القمع هنا ما يلبث أن يؤدي إلى عكس النتائج المتوقعة منه، لأنه خليق به أن يعزل عامة الشعب عن أفعال القمع، وهذا ما كان في الثورة المصرية حيث انسحبت الشرطة ولم تستطع مواجهة ملايين البشر المتجمعين في ميادين التحرير بمصر، وعزل الحاكم عن شعبه وكانت نهايته الحتمية، فهل يعي رئيس مصر القادم أن الحاكم والمحكوم يربطهما مصير واحد في سفينة واحدة، إذا غرقت غرقا معاً، وإذا نجت نجيا معاً.

مصر و 10% من السكان

ذكر السيد رئيس الجمهورية في أحد خطاباته، أمام الهيئة البرلمانية للحزب الوطني الديمقراطي، بمناسبة بدء الدورة البرلمانية لمجلسي الشعب والشوري في 11

نوفمبر سنة 2003 وأذاعه السيد صفوت الشريف الأمين العـام للحـزب بصـحيفة الأهـرام فـي 12 نوفمـبر فـي الصفحتين الأولي والثالثة: "إننا لا نريد يوماً أن نصـل إلـي تلك الدول التي لا تهتم سوي بنسـبة 10% مـن سـكانها، وتترك الآخرين في العشوائيات دون رعاية أو تعليم، نريـد أن نحافظ علي مقومات هذا البلد وزيادة مواردنا.. وكــان مـن عنـاوين الصـفحة الثالثـة، ".. ولا نريـد الوصـول إلـي مسـتوي دول لا تهتـم سـوي بنسـبة 10% مـن سـكانها وتترك الآخرين في العشوائيات".

وهكذا، وضعت الحكومة ضمن بدائلها السياسية التي تطرحها أمام نفسها بوصفها القوامة علي شئون المجتمع ألا تهتم بأكثر من 10% من سـكان مصـر وتـترك البـاقي بغير رعاية، لأن السكان أنجبوا كثيراً، وكان مما يتلاءم مـع هذا الأمر أن يشار إلي المصـريين باعتبـارهم سـكاناً، لأن وصف المواطنـة لـن يعنـي فـي هـذه السياسـة إلا نسـبة 10% فقط، وبعد ذلك بقي السكان يتساءلون في دهشة عجيبة: لماذا تصنع الحكومة كذا ولا تصنع الحكومة كذا ولا تصنع كذا، ولمـاذا تتخـذ هـذه السياسـة ولا تتخـذ سياسـة أخري متاحة وممكنة؟ وذلك دون أن يتفكـروا فـي سـؤال آخر، وهو هل هذا الصنيع أو هذه السياسـة ممـا ينتـج عـن اختيار بديل الـ 10%، ومن ثم يتحول أمر 10% من بديل محتمل إلي إختيار تم وينفذ فعلاً، وإلي واقع يجري عملياً.

عندما ننظر في التعليم مثلاً وكيف ترك التعليم العام الذي تديره الحكومة يتهدم ويستشري فيه فساد الدروس الخصوصية، وهو التعليم المعد للشعب المصري بطبقــاته الوسطي، ثم ظهرت مدارس خاصة أجنبيـة لأبنـاء صـفوة الصفوة في المجتمع بمصـروفات بالغـة الإرتفـاع لا يقـدر عليها أبناء طبقة المهنيين الذين تتكون منهم أجهـزة إدارة الدولــة ولا فئات ذوي الــدخل المحــدود مــن أصــحاب الرواتب والأجور والمهايا، وكـذلك عنـدما ننظـر فـي أمـر

التعليم الجامعي وتهـدم أركـان الجامعـات المصـرية ذات التاريخ والشموخ العلمي والرصانة الفكرية، ونشـوء أكـثر من ست عشرة جامعة أجنبية بمصروفاتها الباهظة

اللامبالاة في إدارة الكوارث

- تحطم الطائرة المصرية بوينج 767 رقم 990 قبالـة سواحل الولايات المتحدة الأمريكية عام 1999 والتي كانت تضم 217 شخصا بعضـهم طيـارين ومهندسـين بالجيش المصري، حيث اكتفت فيها الحكومة المصرية بالتحقيقات الأمريكية والـتي ادعـت فيهـا انتحـار قـائد الطائرة وهو يقول: توكلت على الله – نويت الإنتحـار، وفضـلت الحكومـة المصـرية غلـق ملـف الطـائرة والإكتفاء بتعويضات لأسر الضـحايا، مـع احتمـال كـبير جدا أنها ضربت بصاروخ أمريكـي، وحسـبنا اللـه ونعـم الوكيل.
- غـرق العبـارة، الـتي كـان علـى متنهـا أكـثر مـن ألـف شخص، فإن كل خسائر العبارة من أرواح إنمـا ينتمـي لا إلي نسبة 10%، ولكن إلـي غيرهـم مـن السـكان، فلم يكن ثمة اهتمام بالأمر.
- كـذلك الحـال بالنسـبة لحـادث صـخرة الدويقـة الـتي ردمت تحتها من أجساد البشر أفـراداً وأسـراً بكاملهـا مالم يعتن أحد حتي بإحصائهم.
- ثم مسألة الخبز نوعا وجودة وشحا ووجـودا، وهـل هـو ممـا يناسـب غـذاء البشـر أم يقـف عنـد حـدود علـف البهـائم، وهـذا كلـه وغيـره مـن تـرك الآخريـن فـي العشوائيات دون رعاية، لأن الحكومة يمكن أن تكتفي بنسبة 10% من السكان.

الخصخصة

إن الدولـة المصـرية الآن حسـمت الأوضـاع بـداخلها لصالح 10% من السكان، وذلك من نهايات سـنة 1999 بالتعديل الوزاري الذي جـري فـي أكتـوبر 1999 وتعييـن الدكتور عاطف عبيد رئيساً للـوزراء، وهـو كـان مسـيطراً علي قطاع الأعمال العام منذ 1991 عندما صدر القانون رقم 203 لسنة 1991، وسيطر علي أكثر مـن ثلاثمـائة شركة إنتاج صـناعي وزراعـي وتجـاري وسـياحي وغيـره، وأدت سياسته المنفذة غيـر المعلنـة إلـي مـا أصـاب هـذا القطـاع مــن توقــف الأعمــال وفقــد العمالــة المــاهرة والخروج من الأسواق وتراكم المديونيات وغير ذلك وكان تولي الوزارة منبئاً عن سيادة هذا الاتجـاه السياسـي فـي إدارة شـئون البلاد تـوطئة للـبيع وإكمـال تفكيـك الأبنيـة الإدارية للهيئات والمؤسسات والشركات وغيرها، لتـدخل الملكية العامة الثابتة بنسبة 90% من السكان في نطاق المال المملوك للجماعة السياسية الجديدة، جماعة نسبة 10% أو أقل حسبما قرر هذا الوضع الجديد.

لقد جري ذلك عبر التسعينيات من القـرن العشـرين، وذلك بتفكيك المجتمع وجهـاز إدارة الدولـة، فلـم يعـد أي مكون من مكونات المجتمـع أو جهـاز الدولـة قـادرا علـي معارضة سلطات رئيس الدولـة بوصـفه فـردا يـتربع فـي أعلي السلطة، ولا قادرا علي الممانعة لأي سياسـة تتخـذ حتي إن كانت ضد هيئات الدولة ومؤسساتها ذاتها.

ذلك إنه أعيدت هيكلة نظم التوظيف في الدولـة فـي بدايات التسعينيات بحيث صارت وكأن جميع القيادات في الدولة وظائف مؤقتـة تمـد سـنة بسـنة أو سـنتين أو ثلاث بمثل مدتها، وسواء في ذلك الوظائف القيادية في أجهـزة الدولة المعنية المتعلقـة بالسـيادة وبالخـدمات، وأجهزتهـا فـي قطـاع الأعمـال الإقتصـادي أو فـي الجيـش أو فـي الشرطة، وأدي ذلك إلي أن تحول أي مـن هـذه القيـادات من ذوي مركز قانوني يكفل لهم قدرا من الضمانات فــي

البقاء في عملهم وقدرا من الاستقلال في اتخاذ القرار وإبداء الرأي الفني والمهني، تحولوا من ذلك إلي مجرد تابعين لمن يعلونهم سواء وزيراً أو رئيس جمهورية، إن لم يأتمروا بالأوامر فسيسقطون كأوراق الشجر الذابلة بغير حاجة إلي فصل.

يضاف إلي ذلك أن أجر أي وظيفة كان يكفي صاحبها، كفالة لضرورياته هو وأسرته وفق المستوي الإجتماعي للشريحة الاجتماعية التي تحيط به، وكان لوظيفته ولأجره منها من الضمانات القانونية والقضائية ما يكفل تأمين العامل، ثم حدث أن زادت الأسعار علي مدي العقدين الماضيين بما يفوق زيادة الرواتب أضعافا مضاعفة، فلم يعد أي راتب يكفي صاحبه وأسرته ضرورات عيشهم، وألجأ هذا الوضع العاملين إلي البحث عن مورد آخر مكمل، فانحرفت قلة ووجدت في الفساد وأساليبه مغنما، والأغلبية بحث أفرادها عن عمل آخر إضافي مكمل، فتوزع انتماؤهم بين عملهم الأصلي وعملهم الإضافي، ولأن العمل المكمل يكون لقاء أجر غير ثابت بغير ضمانات قانونية، فقد صار هو ما يخشي عليه العامل ويوليه اهتمامه الأكبر، وذلك علي حساب عمله الأصلي، وشيوع هذا الأمر بين العاملين من شأنه انهيار المؤسسة الأصلية التي يعملون بها لانصراف العاملين فيها عن مدِّها بالقدر الأهم من أنشطتهم واهتماماتهم.

يضاف إلي ذلك أن أي مؤسسة إنما تنشأ بوصفها تشكيلاً نظامياً يضم من الخبرات والمهارات ما يتفق مع نوع نشاطها، وهي في عملها تكتسب خبرات متزايدة بما يضاف إلي رجالها من تجارب وما يؤدونه من أعمال، فإذا توقفت فقد فقدت هذا النبع من الخبرات ولحقها من الصدأ ما يلحق الآلات التي لا تعمل، والحاصل أن كثيرا من الأجهزة والمؤسسات في الدولة وقطاع الأعمال قد

توقف عن أداء عمله المنوط به في هذين العقدين الأخيرين، لأنه لم يعد ثمة خطة اقتصادية تتبع ولا مشروعاً وطنياً ينفذ ولا خدمة اجتماعية تؤدي بجدية ولا مالاً ينفق بما يكفي أيا من ذلك وانصرف العاملون ذوو الخبرة عن أعمالهم، وكذلك الشأن إذا ارتبط بأي مؤسسة ما يجاوز أصل تخصصها وما أعدت من أجله.

هذا من ناحية تفكك أجهزة إدارة الدولة ومؤسساتها، أما من ناحية هيئات المجتمع الأهلي مثل النقابات والاتحادات وغيرها، أو الهيئات الرسمية ذات الاستقلال الذاتي كالجامعات، فقد جرت في كل ذلك تعديلات في القوانين بما يفقد أيا منها درجة استقلاله الذاتي مثلما حدث بالنسبة للجامعات، وكذلك صدرت قوانين واتبعث إجراءات كان من شأنها تفكيك الهيئات ذات التماسك كالنقابات المهنية أو السيطرة الكاملة الأمنية علي الهيئات الأخري كالنقابات العمالية واتحادات الطلبة.

ومن هنا ندرك أي خسارة فادحة لحقتنا من جراء هذه السياسة التي اتبعت منذ التسعينيات بشكل منظم وآتت بنتائجها المدمرة من نهاية التسعينيات حتي اليوم، إذا ننظر إلي أنفسنا اليوم فنجد أنفسنا ساخطين دون همة، وغاضبين دون عزم، وأن السخط والغضب يأتي منهما الوعي بالسوء والقبح والفساد، أما الهمة والحزم فيأتي بهما التشكيل التنظيمي للساخطين والغاضبين، وأنا لا أقصد هنا فقط انفكاك التنظيمات الشعبية والأهلية، ولكن أقصد أيضاً انفكاك تنظيمات الدولة فيما عدا ما يقوم علي الأمن السياسي للنظام الحاكم، فإذا نظرنا إلي الجماعة الحاكمة فنراها لا تعرف كيف تحكم ونراها واهنة العزم خائرة القوة إلا فيما يتعلق بمنع المظاهرات، ثم ننظر إلي المعارضة فنراها تقف عند حدود التعبير الكلامي عن المواقف وعند حدود الإدراك

الصحيح الصائب لما يتعين أن يقوم، ولكنها لا تستطيع أن تحول هذه الرؤية إلي قدرة تغيير فعلي.

لقد حدث في مصر علي مدي الثلاثين سنة الماضية ما حدث في العراق علي مدي السنوات الخمس الماضية:

- في مصر تجري التغييرات بالأسلوب السلمي البطيء المشروع والتعديلات الهيكلية الجزئية البطيئة التي تتراكم، وفي العراق تجري التغييرات بالأسلوب العنيف السريع، سواء كان التغيير للأحسن أو للأسوأ.
- في مصر خضعت الإرادة الوطنية للدولة لإملاء الهيمنة الأمريكية عليها، خضعت بالتدريج، وفي العراق أجري ذلك بعملية احتلال عسكري أمريكي سريع وتعيين حكومة موالية للأمريكيين.
- في مصر تحطم النظام الاقتصادي الوطني المستقل علي مدي ربع قرن وصار إلي التبعية للهيمنة الدولية، وفي العراق جري هذا التحول في أشهر قليلة بعد الاحتلال العسكري الأمريكي.
- في مصر تعطلت مصانع القطاع العام بالترك العمد والإهمال المقصود علي مدي نحو خمس عشرة سنة، وتم تفكيك جهاز إدارة الدولة من أوائل التسعينيات، وفي العراق جري ذلك في شهور، بالتدمير السريع فور دخول القوات الأمريكية.
- في مصر تحدث الخسائر البشرية بغرق العبارات وتصادم القطارات والحافلات وسقوط الصخر علي البشر أي بالطريق السلمي المشروع، وفي العراق تحدث بالرصاص والتفجيرات.

والنتيجة أن المجتمع مفكك والدولة مفككة وأن القوة النظامية الوحيدة وهي شرطة الأمن السياسي، لم

تعد حافظة لحكومة القلة فقط، ولكنها حافظة أيضاً لوضع التفكك الذي يضمن بقاء هذه القلة، وقد شكلت أجهزة الإدارة التي تناسب المجتمع الجديد المصغر، فتفتق الحزب الوطني عن لجنة السياسات، وجرت السيطرة علي بنوك القطاع العام بطاقته التمويلية عن طريق كوادر جديدة، ومع تغير الوزارة، نشأت حول كل مجموعة شباب، اختير بغير خبرة سابقة في أجهزة الدولة وبرواتب ضخمة جداً، وكل ذلك بعقود مؤقتة حلت محل الوظائف الثابتة حتي لا يكون لأحد قدرة علي الإعتراض.

دولة شرم الشيخ

حول مبارك مدينة شرم الشيخ إلى عاصمة موازية للقاهرة، مع اعتراضه على البرلمان الموازي للبرلمان المزور، حيث كان يدعو إليها زائريه ويعقد فيها المؤتمرات والقمم، لم يجد في قاهرة المعز مكانا يصلح للإقامة حيث تقع القاهرة في قارة أفريقيا بينما شرم الشيخ تقع في قارة آسيا[1]

تقع مدينة شرم الشيخ علي شاطئ خليج العقبة جنوب شبه جزيرة سيناء والتي تقع في قارة آسيا، وصارت هي المقر المفضل لمبارك الذي يقابل فيه رجال الدولة ويعقد فيه إجتماعاته مع رؤساء وممثلي الدول الأجنبية وهو مكان عقد فيه ما يسمي بلقاءات القمة.

وقد عُقد المؤتمر الدولي للإتحاد الأفريقي الذي يحضره رؤساء الدول الأفريقية في شرم الشيخ رغم أن شرم الشيخ في آسيا وليست في أفريقيا بما يعني أن مؤتمر قمة الاتحاد الأفريقي لم تجد له حكومة مصر في أرضها الأفريقية الفسيحة مكانا لانعقاده فانعقد في آسيا.

[1] المستشار طارق البشري: هذه إمارة شرم الشيخ فأين دولة مصر(23-1-2009)

وشرم الشيخ التي تمارس فيها وظائف العاصمة هي في الجزء الشرقي من سيناء وهو الجـزء منـزوع السـلاح المصـري بنـص المعاهـدة المصـرية - الإسـرائيلية وهـي ليست تحت سيطرة القوات المسلحة المصرية فمحظور علي مصر بموجب هذه المعاهدة أن تتواجد فيها قوة مـن قـوات مصـر المسـلحة، وهـذا يعنـي أن أقـرب القـوات المسـلحة لشـرم الشـيخ بحكـم التواجـد وبحكـم إمكـان التواجد الدولي المتاح هي القـوات المسـلحة الإسـرائيلية براً وجـواً وبحـراً وهـذا يـذكرنا تاريخيـاً بوضـع السـلطان محمد وحيد الـدين سـلطان الدولـة العثمانيـة الأخيـر بعـد الحـرب العالميـة الأولـي إذ كـانت إقـامته فـي اسـطنبول وكانت تحيط به القوات الأجنبية المنتصرة علي تركيا فـي تلك الحرب وهذا ما من أجله نقل كمال أتاتورك العاصمة إلي أنقرة في قلب بلده وفي وسط الأناضول.

إن كان هذا هو شأن المدينة التي تمارس فيها الدولة مهام العاصمة فـي هـذا الوضـع الجديـد وهـي بعيـدة عـن وادي النيل الذي يسكنه ما جـري التعـبير عنـه بـأنه 90% من السكان فما هو شأن التمويـل، إننـا نعلـم أن ميزانيـة الدولـة تمـول بمصـادر إيـراد يـرد مـن شـئون المصـريين كلهم، مما ينتج عن الزراعة في وادي النيل وعن المصانع التي تنتشر علي طـول مـدن الـوادي وأرضـه ومـن عمـل العاملين المصريين عمـالاً ومـوظفين ومهنيـين وحرفيـين ومن ضرائب استهلاك هؤلاء جميعاً فكيف يمكن الاستغناء عن هؤلاء بوصفهم مصادر إنتاج واستهلاك وعمل وغيــره، إن تمويل هذه الإدارة الجديدة للدولة في وضعها المصغر يمكن أن يأتي من دخـل البـترول والغـاز وهـو مبلـغ يـدور حـول 9 مليـارات ودخـل قنـاة السـويس وهـو يـدور 4 مليارات وعوائد المصريين المقيمـين بالخـارج وهـو يـدور حول 6 مليارات ثم السياحة وهي تدور حول 8 مليـارات وكل هذه الدخول لا تحتاج إلي وادي النيل في مصـر وهـو

موطن أكثر من 90% من السكان ولا تنتج فـي الأسـاس عن أنشطة إنتاجية خاصة بسكان هذا الوادي وهم يزيدون علي 90% من السـكان وحـتي النشـاط السـياحي صـار جزءاً غالباً فيـه يـرد مـن سـياحة شـواطئ البحـر الأحمـر وليس من أرض الوادي ولا من آثار هذا الوادي.

ونحن هنا نتشابه مع إمارات الخليج العربـي والفـارق أن إمارة شرم الشيخ تقع علي الشاطئ الغربي للجزيـرة العربية بينما تقع قريناتها علـي الشـاطئ الشـرقي لشـبه الجزيرة وإماراتنا قد تحتـاج إلـي بعـض عمالـة تأتيهـا مـن وادي النيل، خاصة في شأن الخـدمات وفـي شـأن حفـظ الأمـن وهـذا مـن الصـفات الشـبيهة بصـفات تجـدها فـي إمارات الخليج التي تعتمد علي عمالة تأتيهـا مـن خارجهـا ولأنهـا إمـارة تعتمـد علـي الـدخل الريعـي وليـس الـدخل الإنتاجي فهي لا تحتاج إلي فلاحين ولا إلي عمـال، يكفيهـا خبراء في الإدارة وموظفين صغار وخدمة كما يكفيها مـن القوات الحاميـة لهـا قـوة الشـرطة علـي أن تكـون هـذه القوة شديدة البأس صعبة المراس ذات بطش وقسوة.

إن نظرية الأمن القومي لهذه الإمـارة لابـد أن تكـون مختلفة تماماً عن مثيلاتها الخاصة بمصـر الـتي نعرفهـا أو بعبارة أخري عن باقي مصر الذي نعرفه وهذا الباقي مـن مصـر الـذي يشـكل 90% أو أكـثر هـو أرض وادي النيـل والذي لم يعد وطناً مشمولاً بالرعاية وما عليـه مـن بشـر هم سكان وليسـوا شـعباً بـالمعني الـذي يعرفـه القـانون الدولي العام.

إن ثمة إمارة انسلخت من الدولة الأم وأخذت اسمها ووصفها القانوني ومركزها الدولي وأن أي دولة منسـلخة تختلف نظرتها إلي أمنهـا القـومي عـن النظريـة السـائدة لدي الدولة الأم بل هي تكون ضد هذه النظرية لذلك فـإن الجـزء المنسـلخ يعتـبر الدولـة الأم عـدوه الأول والأكـبر

ومصدر الخطر الدائم عليه ومتي تعين العـدو الأول، فقـد تعيــن أيضــاً الحليــف الأول وهــو عــدو العــدو، والإمــارة المنسلخة في هذا التصور لا تجـد حليفـاً لهـا إلا مـن كـان يخشاه الوطن الأم ويعتبره خصماً لـه وخطـراً عليـه، مـن هنا نفهم الموقف الأخير الذي كشـفت عنـه أحـداث غـزة الأخيرة في ديسمبر 2008، كما نفهم هذه السياسة التي قامت وهي سياسة تمارس وتطبق ضـمنا وعلانيـة وسـراً وجهراً وهي أن ثمة تحالفاً استراتيجياً يقوم بين الحكومـة الحاضرة والولايات المتحدة الأمريكية وليس من الممكـن فهم هذه السياسة إذا نظرنا إلي الأمر بوصفه علاقـة بيـن مصـر والولايـات المتحـدة، لأن الولايـات المتحـدة ومعهـا إسرائيل شنت علي هذه المنطقة مـن الحـروب ولا تـزال تفعــل مــا يجعلنــا نراهــا عــدوانا مســتمراً مــن الجــانب الأمريكي الصهيوني علينا.

أمامنا مهمة كبيرة، أن نعيد مصـر إلـي الوجـود بـإذن الله تعالي فنجمع ما تفـرق ونركـب مـا تفكـك وأن نرمـم أبنيتها الإدارية المتصدعة وأن نجبر ما تكسر من عظامهــا هذا بالنسبة لأجهزة إدارة الدولة، أما بالنسـبة للتنظيمـات الشعبية والأهلية فأمامنا مهمة الإعداد الجديـد لتنظيمـات جديدة علي كل مستويات العمل الشعبي والأهلي النقابي وغير النقابي والجمعيات والاتحادات وغيرها.

التعديلات الدستورية

التعـديل الدسـتوري الـذي تـم عـام 2007 لتفصـيل منصب الرئيس ليناسب مبارك أو جمال مبارك كان حالــةً عبثيةً، لأنه كان المطلوب لمصـر هـو الإصـلاح السياسـي، والتعديلات الدستورية أو وضع دستور جديد لا يفيـد الأمـة قبل أن نسير خطوات واسعة في الإصلاح السياسي الذي يتوقف على:

- إنهاء حالة الطوارئ دون بديل لها من قانون اسـتثنائي يسمى بقانون الإرهاب
- إتاحة حرية التنظيم الحزبـي والجمـاعي السـلمي دون أي عوائق
- رفع يد الوصاية الإدارية الحكومية عن هيئات المجتمـع الأهلي

وكل ذلك في مدى محدود مـن السـنين، حـتى يتـبين أوزان القوى السياسية والاجتماعية والثقافية النسبية بين بعضها البعض من خلال ما يعـبر عنـه عـن مصـالح وطنيـة وجماعية، ثم بعد ذلك يمكن إعداد الدسـتور الـذي تصـنعه هذه القوى أو تشارك في صنعه بقـدر مـا يكـون لهـا مـن وزن سياسـي حقيقـي فـي الأمـة، وبقـدر مـا تختـص مـن أهداف وطنية وشعبية ومصالح اجتماعية واقتصادية.

كمـا يحتـاج الأمـر إلـى ترميـم أجهـزة الدولـة لأداء وظائفها الفنية في تسيير المرافق وإدارة الخـدمات، فـي الإنتاج و التعليم و الخـدمات و الأمـن القـومي و القضـاء؛ وذلك لإصلاح ما فسد نتيجة سوء الإدارة وفقـدان الهـدف العام وتضييع المسئوليات العامـة؛ وذلـك علـى السـنوات الثلاثين الأخيرة [1].

لقد اسـتغرقت هـذه "الحالـة الدسـتورية" نحـو ثلاث سنوات في زرعها منذ أوائل 2004م، ثم اسـتغرقت نحـو سـنة ونصـف السـنة فـي إثارتهـا وإلهـاء النـاس بهـا بمـا يفيـدهم، وتركـت الحكومـة حبـل الكلام والنقـاش علـى غاربه، فقال الناس ما يريدون وفعلت هي ما تريد.

هذه "الحالة الدستورية" تمت للاستفتاء عليها بـإقرار التعديلات التي أعدتها الحكومة بنسبة تأييدٍ شعبي مُقـدَّرة

---

[1] المستشار طارق البشري (التعديلات الدستورية ومؤسسة الرئاسة ومجلس الوزراء)

سلفًا من جانب معدي حملة الاستفتاء ومنفذيه، ويكون النظام السياسي قد حقق أهدافه الثلاثة التي كانت متوقعةً سلفًا من سعيه لتعديل الدستور وهي:

- توجيه أحكام الدستور الخاصة بالحريات لتقبل إصدار قانون باسم مكافحة الإرهاب يحل محل حالة الطوارئ ويمكن للنظام السياسي كل إمكانيات الطوارئ عندما تكفله له المواد 41، 44، 45 فقرة 2 من حرمات، وعصم وحقوق آدمية.
- تقويض نظام الإشراف القضائي الكامل على العملية الانتخابية مما كفلته المادة 88 من الدستور حسبما حكم المحكمة الدستورية الصادر في يوليو سنة 2000م.
- ضمان حصر غالبية أعضاء مجلسي الشعب والشورى في الأحزاب المعترف بها رسميًّا من الحكومة دون المواطنين غير الحزبيين أو من ينتمون إلى تيارات سياسية لم تعترف بها الحكومة.

ويبدو أن رجال الرئيس والمحيطين به والذين يملكون زمام الأمور صاروا يطمحون إلى حصةٍ في الحكم تكون ذات وضع رسمي، وتجعلهم مشاركين أصلاً للرئيس في سلطته وليسوا تابعين له يعملون من خلاله فقط.

نص دستور 1971م، في المادة 139 على أن "لرئيس الجمهورية أن يُعين نائبًا له أو أكثر ويحدد اختصاصاتهم ويعفيهم من مناصبهم"، وهذا الحكم يتفق مع سوابق النظام الجمهورية كله في مصر منذ دستور 1956م، والرئيس عبد الناصر عيَّن نوابًا له أحيانًا وعيَّن نائبًا وحيدًا أحيانًا أخرى، والرئيس السادات عيَّن نائبًا له، وحدث في الحالين أن نائب الرئيس عند وفاته هو مَن

صار رئيسًا فصار منصب نائب الرئيس أشبه بولايـةِ العهـد بتعيين الرئيس مَن يخلفه، وصارت خطورة منصب النائب لا تتعلـق بسـلطاته فهـو تـابع، ولكنهـا تتعلـق باحتمـالاتِ المستقبل بحسبانها وعدًا بالرئاسة بعد انقضاءِ مَن عيَّنه.

ومن جهةٍ أخـرى، فـإن الرئيـس حسـني مبـارك منـذ توليه رئاسة الجمهورية، كان لديه خط ثابت ألا يُعيـن نائبًـا للرئيس، وبلـغ مـن الحسـم فـي هـذا الأمـر مـا بلغـه مـن إصرارٍ عليه وما بلغه من الاستمرار فيه مدة حكمـه كلهـا، وكـان ذلـك فيمـا ظهـر يتعلـق بـدواعي اطمئنـانه الـذاتي وبموجبات حصانته الشخصية.

المادة 82 من الدستور تنص على أنه "إذا قـام مـانع مؤقت يحول دون مباشرة رئيس الجمهورية لاختصاصـاته أناب عنـه نـائب رئيـس الجمهوريـة"، وتنـص المـادة 84: على أنه "في حال خلو منصـب الرئيـس أو عجـزه الـدائم يتولى الرئاسة مؤقتًا رئيس مجلس الشعب فإن لم يوجـد لحل المجلس تولاها رئيس المحكمـة الدسـتورية العليـا"، وتنـص المـادة 85: علـى أنـه "إذا وُجهـت تهمـة الخيانـة لرئيس الجمهورية تولى الرئاسـة مؤقتًـا نـائب الرئيـس"، وقد بقيت هذه النصـوص الدسـتورية غيـر قابلـة للأعمـال لعدم وجود نائب رئيس طوال الثلاثين سنة الماضية.

لـذلك ورد باقتراحـات التعـديل "مـا يسـمح بحلـول رئيـس مجلـس الـوزراء عنـد تعـذر حلـول نـائب رئيـس الدولـة.."، دون أن يباشـر حـل مجلـس الشـعب أو إقالـة الحكومة أو طلـب تعـديل الدسـتور، وهكـذا يصـير رئيـس الوزراء هو "ولي العهـد" بهـذا التعـديل بـدلاً مـن تسـمية منصـب نـائب رئيـس الجمهوريـة، وبهـذا يكـون أصـحاب التعديل قد سـعوا لحفـظ مصـالحهم المرتبطـة بمـوقعهم

في السلطة وباستمرارها من بعده، أما الوطن ومصـلحته فله رب يحميه مما حل به في العقود الأخيرة [1].

يصاحب هذه المكانة التي يرتقي إليها منصب رئيــس الوزراء وتكون له سلطات نائب رئيس الجمهوريــة وولـي عهده يصاحب ذلك سـلطات فعليـة يمنحهـا هـذا التعـديل الدستوري الأخير لرئيس الوزراء خصمًا من سلطة رئيس الجمهوريــة أثنــاء وجــوده وشــغله لمنصــبه وممارســته لسلطاته الدستورية، وهذا فـي ظنـي مـن أخطـر مـا ورد بالتعديل الأخير، وهو غير مسبوق بمصر منذ قيـام النظـام الجمهوري فيها ومنـذ 23 يوليـو سـنة 1952م، وقـد كـاد يكون هذا طريقًا لتعديل موازين السلطة والتعددية داخلها لولا أنه مصاحب بدعم السلطة التنفيذية ضـد أي إمكانيـة لإجراء انتخابات نزيهة تُمكِّن من تداول السلطة في مصر بين تيارات وأحزاب سياسية شعبية.

إن النظام بعد تعديل الدسـتور، أصـبح أشـد جبروتًـا في مواجهة أي تشكيلات شعبية وسيكون أعظم استبدادًا بـالحكم، وانفـرادًا بـه وأكـثر منعـةً فـي مواجهـة تحـديات المعارضة، وذلك بإقصائه الإشراف القضائي الكامـل عـن العملية الانتخابية، وبحرمانه المواطنين من حـق الترشـيح للمجالس النيابية إلا عن طريق انتمائهم لأحـزاب (إمـا أن تكون الحكومة قد وافقت على قيامها أو أنها تملـك عليهـا إمكانـات فعليـة لتفجيرهـا مـن داخلهـا والقضـاء عليهـا)، وكذلك بإلغائه الحقوق والضمانات الدسـتورية الـتي كـان الدسـتور قبـل التعـديل يكفلهـا للمـواطنين ضـد القبـض والاعتقـال والتفـتيش وتقييـد الحريـة ودخـول المسـاكن والرقابة على المراسلات والإتصالات[2].

---

[1] المستشار طارق البشري (التعديلات الدستورية ومؤسسة الرئاسة ومجلس الوزراء)

1 المستشار طارق البشري (التعديلات الدستورية ومؤسسة الرئاسة ومجلس الوزراء)

[2]

ولـذلك فـإن مشـاركة رئيـس الـوزراء لرئيـس الجمهوريـة فـي السـلطة فـي الهيكـل الدسـتوري الـذي يرسمه هذا التعديل لا تفيد انفتاحًا للنظام السياسي علـى نوعٍ من التعددية ولا تفيد أنهـا طريـق لانفتـاحٍ ديمقراطـي علـى التيـارات الشـعبية، إنمـا هـو إعـادة توزيـع لمجـالات اتخـاذ القـرار السياسـي فـي الدولـة خصـمًا مـن سـلطة رئيس الجمهورية وخصمًا مـن سـلطة مؤسسـة الرئاسـة في مصر، وذلك لصالح جماعةٍ أخـرى أمكنهـا فـي الفـترة الأخيرة بالتعديل الدستوري الذي قـدمته أو شـاركت فيـه أن تقتنـص هـذه المكانـة الدسـتورية الجديـدة وللساسـة ولمحللي الأحـداث أن يتفكـروا فـي دلالـة هـذه المسـألة وأثرها فـي مسـار أحـداث المسـتقبل إذا كـانت خطـوات تتخذ لتتلوها خطوات أخرى نحو نوعٍ مـن انتقـال السـلطة في مصر أو المشاركة فيها.

أما الطريقة التي جرى بها هذا التعديل، فنلحظها في أن الرئيس عندما تقدَّم باقتراحاتِ التعـديلات، أشـار فـي البند الحادي عشر من التعديلات المقترحة إلى أن المـادة 138 من الدسـتور الحـالي تنـص علـى أن "يضـع رئيـس الجمهورية بالاشتراك مع مجلس الوزراء السياسة العامـة للدولة ويشرفان على تنفيذها"، وتنص المادة 141 علـى أن "رئيس الجمهورية هو من يُعين رئيس الـوزراء ونـوابه والـوزراء ونـوابهم ويعفيهـم مـن مناصـبهم"، ومـن ثـم فالمشـاركة فـي رسـم السياسـات وتنفيـذها رُسـمت بالدسـتور بغيـر ضـوابط تفصـل بيـن الرئيـس ومجلـس الوزراء وأنه هو من يُعين بغير قيدٍ من إدارةٍ أخرى.

وطلـب الرئيـس فـي التعـديل الدسـتوري أن يشـمل تعديلاً لكافة اختصاصات رئيـس الجمهوريـة الـواردة فـي المـواد 108، 144، 145، 146، 147، 148، 151، الفقرة الثانية لتكون ممارسته لهذه الاختصاصات مقرونة بموافقة مجلس الوزراء فـي بعضـها وباستشـارة مجلـس

الوزراء فـي بعضـها الآخـر، كمـا أورد التعـديل وجـوب أن يشارك رئيس الوزراء رئيس الجمهورية في تعييـن نـواب رئيس الوزراء والوزراء ونوابهم.

وقد تضـمن التعـديل الـذي صـاغه مجلـس الشـعب تعديلاً لنص المادتين 138، 141 من الدسـتور، فأفـاض التعديل للمـادة 138 فقـرة ثانيـة هـي "ويمـارس رئيـس الجمهوريـة الاختصاصـات المنصـوص عليهـا فـي المـواد 144، 145، 146، 147 بعد موافقة مجلـس الـوزراء، والاختصاصات المنصوص عليهـا فـي المـواد 108، 148، 151 فقرة ثانية بعد أخذ رأيه"، كما عدل المادة 141 بأن رئيس الجمهوريـة يعيـن رئيـس الـوزراء ثـم يكـون تعييـن نـواب رئيـس الـوزراء والـوزراء ونـوابهم وإعفـاؤهم مـن مناصبهم "بقرار من رئيس الجمهورية بعد أخذ رأي رئيس مجلس الوزراء".

وجدير بالملاحظة أن السلطات التي ينيطها الدستور لرئيس الجمهورية بالمواد 144، 145، 146، 147 هي إصدار اللوائح التنفيذية لقـوانين (م 144) وإصـدار لـوائح الضـبط (م 145) وإنشـاء المرافـق والمصـالح العامـة والـــوزارات والهيئات والمؤسســـات العامـــة (م 146) وإصـدار قـرارات لهـا قـوة القـوانين فـي غيبـة مجلـس الشعب (م 147)

وهـذه السـلطات لـم يعـد يحـق لرئيـس الجمهوريـة ممارستها وحده، إنما صـار لمجلـس الـوزراء القـائم الآن وما يليه الحق في مشاركته فيهـا، كمـا أن سـلطة رئيـس الجمهورية في إصدار قرارات لهـا قـوة القـانون بتفـويض من مجلس الشعب (م 108) صار شـرطًا أن يؤخـذ فيهـا رأي رئيس الوزراء، كما صار شرطًا أخذ رأيـه كـذلك عنـد ممارسـة رئيـس الجمهوريـة لسـلطته فـي إعلان حالـة الطوارئ طبقًا للمادة 148 من الدسـتور وأن يؤخـذ رأي

رئيس الوزراء كذلك في تعيين نوابه والوزراء ونـوابهم (م 138).

سنجد طبعًا مَن يقول إن هذه ظـاهرة إيجابيـة لأنهـا تسير في اتجاه توزيع السلطة وتنهـي انفـراد رجـل واحـد بها، وأنها قـد تكـون مـؤثرة فـي تقليـل ظـاهرة شخصـنة السلطة واستبداد مشيئة فردية واحدة بها وقابضة عليهـا، ولكن الدلالة السياسية والواقعية، لا تكشف عنها نصـوص محـدودة معزولـة عـن النصـوص الأخـرى وعـن السـياق الواقعي.

وقد سبقت الإشـارة إلـى أن هـذه التعـديلات وأنهـا ذاتها تنتقص من سلطات رئيس الجمهورية لصالح رئيــس الـوزراء وتجعـل هـذا الأخيـر شـريكًا أصـيلاً للأول، هـذه التعديلات ذاتها أغلقـت الأبـواب أمـام أي تـأثيرٍ شـعبي أو ديمقراطـي علـى مؤسسـات السـلطة، وأغلقـت أبـواب مجلســي الشــعب والشــورى دون دخــول أي مــواطن بالترشيح والانتخاب، إذا لم يكن في حـزب الحكومـة وإذا لم يكن منتميًّا لحزب رسمي، بمعنى أن يكون فـي حـزب إما وافقت عليه الحكومة فنشـأ، أو هـو حـزب قـائم ولـم تستخدم ضده الحكومة ما تسـتخدم مـن وسـائل الوقـف والإنهاء الفعلي والرسمي، طبقًا للسوابق المعروفة سواء في حزب مصر الفتاة أو حزب العمل أو غيرهما.

وبهذا السياق فإن توزيع السلطة دستوريًّا بيـن هيئات فيها، وهي كلها منغلقـة دون أي تـأثيرٍ ديمقراطـي عليهـا، إنما يكون ذا واحدة من دلالتين فقط:

الأولى: أن يكون توزيع السلطة بين الرئيـس وأتبـاعه بالدستور هو نوعٌ من ذر الرماد في العيون ليظهر التعديل متزخرفًا بنقوش التعددية وتوزيع السلطة، وهذا الاحتمـال قائم ووجيه وتؤيده طبعًا كل مـا تُحـاط بـه مسـألة تعـديل الدستور من أنشطةٍ إعلاميةٍ للداخل والخارج، وليبـدو بهـا

أن النظام يتجمل، ونحن هنا أمام أمرٍ طريفٍ جدًّا، لا يُعرف له سابقةً في تاريخ سياسي ولا في قانون دستوري، وهو أن تُصدر أحكام دستورية ملزمة تُحتِّم على الرئيس أن يشاور من عيَّنه ويستطيع أن يعزله في أي وقت، وأن يشارك في القرار من للرئيس عليه ذات السلطة، وإذا كان لأي رئيس أو أي صاحب قرار أن يعين شخصًا وأن يعزله بإرادته وحده، يكون هذا الرئيس قد ملك إرادة من عينه ويستطيع عزله، وعند صياغة القوانين واللوائح المنشئة لمجالس إدارة الهيئات والشركات والمؤسسات ونحوها يتعين ألا يكون لرئيس أي مجلس أو عضو فيه سلطة تعيين وعزل لعضو بالمجلس ذاته، وألا يكون قد ملك صوته عند التصويت، والقول بعكس ذلك يعني أنه يمكن لقانون أن يوجب على شخص أن يستشير نفسه قبل اتخاذ القرار أو أن يشارك ذاته.

الثانية: أن يكون هناك في الواقع وفي داخل المجموعة الحاكمة اليوم، نوع من أنواع تجاذب السلطة أو التدافع بشأنها، الذي لا يصل إلى درجة الصراع، وذلك لضمان بقاء سياسات معينة اتخذت أخيرًا في السنوات القليلة الماضية وتتبع الآن بإصرار وبسرعة عجيبة، لتفكيك أواصر الدولة وهيئاتها ومؤسساتها وبعثرة طاقاتها، كما نلاحظ في مشروع قانون الموظفين الجديد الذي لا يزال مطروحًا وفي عمليات البيع السريع لشركات تُنتج سلعًا إستراتيجيةً وهي رابحة وغير ذلك، أو أن يكون تدافعًا وتجاذبًا لفتح في طريق وراثة الحكم ولتهيئة السبل لذلك عن طريق تصعيد منصب نائب رئيس الجمهورية في ولاية العهد، ولينوط به الآن من الصلاحيات والممكنات ما يقوي نفوذه الشخصي على أجهزة الدولة وينشئ علاقات وثيقة برجالها ويضبط صلاته بهم وقدرته على تحريكهم، وذلك يجعل سهمه هو الراجح عندما تتهيأ الظروف.

ويلاحظ أن السلطات المخولة لرئيس الجمهورية في الدستور بالمواد 108، 144، 145، 146، 147، 148، 151 هي أهم سلطات لرئيس الجمهورية تمكنه من إدارة شئون البلاد من خلال سيطرته على أجهزة الدولة في كافة المرافق بكافة القوانين وكافة الوزارات والهيئات والمؤسسات، وإن إشراك غيره معه فيها يفيد بمشاركة فعلية لا يمكن إنكار آثارها، وذلك بشرط واحد، هو أن يكون رئيس الوزراء بعد تعيينه مستندًا إلى قوةٍ ذاتية تأتيه من خارج رئاسة الجمهورية، وعلى كل الأحوال فإن منصب رئيس الجمهورية في مصر، وإن كان تشخصن عبر العقدين الأخيرين، فإنه منصب لا تزال تتبعه مؤسسات سياسية ذات أثر وخطر وهي ذات علاقة مباشرة بالرئاسة.

أمن دولة إسرائيل

هذه قصة واحد من المصريين، فكم مصريا حدث معه ما حدث لصاحبنا هذا؟ دعنا أولا نعرف قصة صاحبنا لنعرف لماذا ثار الشعب المصري؟

أيمن محمد حسن، جندي مجند في سيناء على الحدود مع الكيان الصهيوني المحتل، يحمل في قلبه حب مصر وأمله في أن تتحرر فلسطين ليعود لمصر وللعالم العربي أمنه وسلامه، فى بداية التسعينيات كان هذا الرجل يقف فى خدمته فى القوات المسلحة على الحدود المصرية الإسرائيلية، رأى جندياً إسرائيلياً يقف داخل الحدود يمسح حذاءه بعلم مصر، جن جنون أيمن المصري الكريم وقرر أن ينتقم لكرامة وطنه التى أضاعها النظام.

أقسم أيمن محمد حسن أن يقتل هذا الجندي، ولكن وصل إلى علمه انتهاك اليهود لحرمة المسجد الأقصى، فقرر أن يكون انتقامه للكيان الصهيوني بكامله ولا يكتفي

بهذا الجندي الصهيوني الحقير، أخذ أيمن يدرس كيف ينفذ انتقامه وفي ستة وأربعين يوماً وضع خطته التي تحتاج إلى ثلث الساعة للتنفيذ وبمفرده.

وفى عملية تدرس الآن في عدد من الكليات والأكاديميات العسكرية توغل أيمن فى الحدود الإسرائيلية منفرداً دون أن يخبر أحداً وبصحبة أسلحة استولى عليها من وحدته وقد احتسب نفسه شهيدا وقد علم منزلة الشهداء فأراد أن ينال تلك المنزلة، وانتظر مرور عربات إسرائيلية حربية ثم بدأ تنفيذ الخطة.

قتل أيمن فى أقل من ثلث الساعة واحد وعشرين ضابطاً وجندياً إسرائيلياً على رأسهم الجندى الوقح الذى أهان العلم المصرى، و عميد فى المخابرات الحربية (أمان) كما جرح عشرين آخرين بعد مهاجمته لسيارة جيب وأتوبيسين إسرائيليين. ولم يصب سوى بجرح فى رأسه ونجا بفضل الله سبحانه وتعالى من مطاردة مذهلة حتى استطاع الوصول إلى الحدود المصرية ليسلم نفسه.

ماذا حدث لهذا البطل الذي ثأر لمصر كلها في عهد نظام مبارك؟ تتوقع أخي القارئ أن يتم تكريمه واستضافته ليحكي كيف استطاع بمفرده أن يقوم بهذا العمل البطولي، ولكن تم محاكمته وحكم عليه فى ٦ أبريل عام ١٩٩١ بالسجن لمدة اثني عشر عاماً.

لم يكتف النظام السابق بهذا، بل عامل أمن الدولة التابع للنظام الجندي البطل مثلما يعامل السجين رغم خروجه من السجن وقضاء مدة العقوبة، سدوا في وجهه أبواب الرزق إلا بابا واحدا كما قال: الإتجار بالمخدرات، هذا أمن الدولة المسئول عن حماية المصريين، فإذا بنا نجده مسئولا فعليا عن أمن دولة إسرائيل.

كم أيمن وجد على الحدود المصرية الإسـرائيلية منـذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد وحتى الآن، كم ضـاع مـن أمـن الدولة وهيبة الدولة بتلـك الممارسـات، خـافوا علينـا مـن الحـرب مـع الكيـان الصـهيوني بحجـة السـلام، فـإذا بهـم يحولون الحياة بلا خوف الحرب إلى حياة كلها خـوف وذل ومهانة.

هذه النظم الديكتاتورية تخاف من شـعوبها أكـثر مـن العـدو الأجنـبي، تحـول النظـام المصـري إلـى شـرطي مسئول عن سلامة وأمن دولة إسرائيل.

هناك تناقض بين أمـن النظـام وأمـن الأمـة لأن أمـن الأمـة يتطلـب الاسـتعداد العسـكري والأمنـي، وتوظيـف الأموال لعملية البناء الإقتصادي والعلمي، والاعتماد علـى الذات غذائيا وتقنيا... إلخ. كـل هـذه العوامـل الـتي تعتـبر مـن أركـان أمـن الأمـة غيـر مسـموح بهـا لا إسـرائيليا ولا غربيا، وعلى الحاكم العربي أن يصـر علـى ضـعف شـعبه وأمته، ويطمئن إلى أن سيف أعدائها فوق رقابها.

هل اكتفى نظام مبارك بهذه النتائج؟ أبى لهذا القــزم الذي ربما يعود يوما عملاقا إلا أن يتحلل من داخله، فكـان ما كان في عهده من انهيـار الصـناعة والزراعـة والتعليـم والصحة، بيعت المصانع وأراضي الدولة لأعدائها وبـأبخس الأثمان، تم التطبيع الإقتصادي والثقافي الكامل بين مصر والكيان الصهيوني حتى ينسى المصـريون أن هنـاك عـدو مشـترك للأمـة الإسـلامية يجـب أن يتصـدوا لـه، لـم يعـد لمؤسسات الدولة دور فعلي في إدارتها، البرلمان منتحب بـالتزوير وممثلـو الشـعب نجحـوا بالإسـتعانة بالبلطجيـة، الأحكــام القضــائية انتهــت صــلاحيتها ولــم تعــد ســارية المفعول، قيـادات الدولـة مـن رؤسـاء جامعـات وصـحف وإعلام يتـم اختيـارهم مـن قبـل أمـن الدولـة، القـرارات السياسـية والإقتصـادية للدولـة المصـرية يستشـار فيهـا

الأمريكان والجهات المانحة، أصبحت مصر تحتاج إلى سجون كثيرة ليتم دفن المعارضين بها مع أن مصر كلها أصبحت سجن كبير للمصريين.

ماذا بقي للمصريين بعد ما رأوا ما آل إليه الحال؟ قزم يتهاوى وأوشك على الانهيار، ما السبيل؟ نموت فداءك يا مصر، سنواجه كل أسلحة النظام بصدورنا العارية ليعلم ولاة الأمر أن حياتنا فداءا لمصر، لن نمسك بأيدينا عصي ولا هراوات ولا أسلحة بيضاء لأننا نواجه مصريين، هل يواجه الأخ أخاه بالسلاح؟ ليس هذا من شيم المصري الشهم الكريم، سأواجهه بغضبي وصياحي: سلمية سلمية، الشعب يريد إسقاط النظام.

وجوه كثيرة اعتدنا عليها ولم نعد لنا طاقة لرؤيتها من جديد، ثلاثون عاما مات منا الكثير وولد لنا الكثير وهذه الوجوه هي نفس الوجوه التي تطل علينا، رئيس الدولة، رئيس مجلس الشعب، رئيس مجلس الشورى، رؤساء تحرير الصحف، وغيرهم حتى ظننا أن مصر عدد سكانها خمسة آلاف مواطن يتصدرون القيادة والصحافة والإعلام وهم العباقرة الحقيقيون الذين سينهضون بالأمة من سباتها، وباقي الشعب هاجر إلى بلاد نيام نيام، فهل نهضت الأمة بهم؟.

عندما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الثالثة والستين من عمره دعا ربه فقال: اللهم قد كبرت سني، وانتشرت رعيتي، وضعفت قوتي، فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مفرِّط، لقد أدرك الفاروق أن ما بعد الستين هي سن الضعف وليس سن القوة، وأن التنكّر لهذا الناموس الإلهي مكابرة لحقائق الحياة، وإن ما أدركه عمر في الثالثة والستين من عمره هو ما لم يدركه مبارك ورجاله في الثمانين.

منذ ثلاثين عاما، تولى المناصب القيادية في مصر من في سن الخمسين، وبعد عشر سنوات أصبح قادة الأمة في سن الستين، عشر سنوات أخري وصلوا إلى السبعين، وما زالوا قادرين على العطاء، وأصبح للقائد الفذ عشرات المناصب، سبحان الله، أما شباب الأمة فهو شباب تافه لا هم له إلا الجلوس أمام الفضائيات والشبكة العنكبوتية الإنترنت، فكيف يقود هؤلاء الشباب الأمة، أصبحت وجوه الشيوخ هي التي تطل علينا عبر الشاشات، ما بين من يجلس أمام الشاشات وبين من يطل علينا عبر الشاشات ثلاثون عاما، فقد المشاهد الفهم أمام ما يشاهده، لم تعد هناك لغة مشتركة بين المشاهِد والمشاهَد.

لم يعد هناك حوار بين الشباب والشيوخ، لم يعد هناك تبادل آراء، والرأي يثير الرأي فتتلاقى الآراء، فيكون الحوار، ومن الحوار السليم تخرج الحقيقة، إذن هم لا يريدون الحقيقة، وهي أن هؤلاء الشيوخ أصبحوا غير قادرين على العطاء، فهل يستقيلوا من مناصبهم ويفقدوا سلطانهم بعد كل تلك السنين، هذا محال، فلتذهب الحقيقة حيث تريد أما نحن فباقون باقون حتى يأتي زمان الرحيل.

وأخيرا جاء زمن الرحيل بصيحات الرجال، الله أكبر، صاحوا جميعا في وجه الكراسي المحنطة: ارحلوا، واتركوا أماكنكم للقادرين على العطاء، اتركوا أماكنكم لمن يعرف معنى الحرية وحقوق الإنسان، ارحلوا لتأتي وجوه جديدة متفائلة بغد مشرق تعز فيه الأوطان، قلوب مؤمنة بربها تعلم أن الأيام دول وأن دوام الحال من المحال.

الفصل الثاني: مصر الثــورة

قـال أحـد الحكمـاء: العلـم كلـه بلاء حـتى يُعمـل بـه، وقديما أيضا قال فريدريك إنجلز: إن خير وسـلية لمعرفـة الفطيــرة هــي أن تأكلهــا، بمعنــى أن المعرفــة لصــيقة بالممارسة لا تنفك عنها، ودائما الأفعال أفضل من الكلام.

يقول المستشار البشري: لو كنت أعرف كيف أنشئ أو أديـر تنظيمـا سياسـيا لـه القـدرة علـى الوصـول إلـى التجمعات الشعبية بين عمال المصـانع وطلبـة الجامعـات والمترددين على المسـاجد، لـو كنـت أعـرف كيـف أفعـل ذلك لفعلته، بصرف النظر عن موافقـة لجنـة الأحـزاب أو اعتراضها، إذا كان شيء من ذلك موجودا وأكون نافعا لــه ونشاطه العملي في الشوارع والتجمعات لانضممت إليه، لو كنت أعرف كيف أمسك بالعصا "أشوّح" بهـا فـي وجـه ظالم مستبد أو عميل استعماري لفعلت، لو كنـت أعـرف كيف أنظم مظاهرة وأهتف فيها لفعلت، ولـو كنـت أملـك حنجرة قوية وصـوتا غيـر صـوتي الخفيـض الـذي لا أملـك سواه لصحت مع الصائحين، ولو كنـت مـن عمـال الدولـة وأستطيع مع غيري أن نوجه آلتها إلى ما فيه صـالح الأمـة والوطن لفعلت، ولـو كنـت أعـرف وجـوه التغييـر للمنكـر باليد لشاركت في ذلك، ولو كانت لدي فسـحة مـن عمـر تمكّنني من التدريب على شيء من ذلك لما تـرددت فـي سلوك طريق التعلم، ولكن مضى أكثر العمـر، بـل مضـى كلـه إلا فضـلة صـغيرة لا يعـرف مـداها إلا اللـه سـبحانه وتعالى، مضى وأنا لا أتعامل إلا بالكلمة المكتوبة والصوت الخفيض والعبارة المركزة، وهذا بالضبط هو ما بلغ غايته، وهــو يســلم الأمــور إلــى ذوي الســواعد وأهــل الحركــة الواقعيــة، ولــن يــرث أحــد علــم مــا لا يعلــم إلا أن يعمــل العاملون بما يعلمون، وصدق رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم.

أيام فارقة في تاريخ مصـر

هناك أيام تسطر التاريخ، ويقف عندها طـويلا، وربمـا تكون بداية تأريخ لمرحلة جديدة، الثلاثـاء 25 ينـاير لعـام 2011، يوم فارق في تاريخ مصر، سـطر بـه المصـريون بداية تحرير من ميدان التحرير. كان يومـا لعيـد الشـرطة وأصبح بعد الثورة عيدا للشهداء الذين سقطوا على أيـدي رجال الشرطة.

في هذا اليوم قرر المصـريون التمـرد علـى الأوضـاع السيئة التي عاشوا فيها عدة عقود صابرين علـى أمـل أن يشعر ولاة الأمر بما يعانيه هذا الشعب، إنه شعب كريم لا يستجدي الرحمة به فهي واجبة علـى الحكـام دون طلـب المحكومين لها. شعب يطلب عزة وطنه ولو وضـع حجـرا على بطنه من الجوع، المهم هو حرية الأوطان.

ولابد للشعب أن يختار، وبدون اختيار لا توجـد حريـة، والحرية تحتاج إلى ثمـن لكنهـا لا تحتمـل المسـاومة، وإذا انعدمت الحرية فلا حقيقة ولا تاريخ فلماذا الإنتظـار؟ لقـد آن للشعب أن يثور.

يوم الغضب

شـهد يـوم 25 ينـاير خروجًـا مكثفًـا للجمـاهير فـي القاهرة والإسكندرية وغيرها من محافظـات مصـر، خـرج المصريون في مشهد يدعو إلى التفاؤل بأن آفـاق التغييـر أصبحت قريبة، لجأ الأمن إلى إطلاق قنابل مسيِّلة للدموع واسـتخدام خراطيـم الميـاه لتفرقـة المتظـاهرين بعـد اختراقهم السياج الأمني المفروض على الأمـاكن المهمَّـة لمنع استمرار تدفق المتظاهرين إلى ميدان التحرير.

في البداية كانت مطالب المتظاهرين محدودة تتمثل في ثلاثة مطالب رئيسيَّة هي الأول: رفع الحد الأدنى للأجور إلى 1200 جنيه وصرف إعانات للعاطلين عن العمل، والثاني: إلغاء العمل بحالة الطوارئ وإقالة وزير الداخليَّة والإفراج عن كل المعتقلين بدون أحكام قضائيَّة، والثالث: حلّ مجلس الشعب وإعادة الإنتخابات مع ضمان نزاهتها وتعديل الدستور لمنع ترشح أي رئيس لأكثر من فترتين رئاسيتين، كانت هذه المطالب عامة لمعظم المصريين الذين أصبحوا جميعا معارضين للنظام السياسي في مصر، وعندما يصبح عامة الناس هم القادة لتلك الإحتجاجات سيسرع الجميع إلى المشاركة.

استمر الغضب حتى يوم الجمعة 28 يناير، وشارك في هذا اليوم كل فئات الشعب وطوائفه وتياراته، وما فعله النظام في مصر يؤكد تأثره وهلعه من المظاهرات التي لم يستطع رجال أمنه أن يقضوا عليها، ثم تم قطع الاتصالات في أنحاء الجمهورية على أمل أن يعود المتظاهرون إلى منازلهم بعد أن قطعت عنهم الأخبار، أو عدم مشاركة الآخرين.

لقد جاءت النتائج مغايرة تماما لما توقعه النظام، وزادت المظاهرات أعدادا وارتفع سقف مطالب المتظاهرين، مما اضطر النظام إلى إتخاذ عدة قرارات لعلها تهدئ الشعب الثائر، منها تعيين الفريق أحمد شفيق رئيسا للوزراء بدلا من الدكتور أحمد نظيف، وتعيين عمر سليمان نائبا لرئيس الجمهورية، وخاب ظن القيادة السياسية التي تأخرت كثيرا في الرد على مطالب الثوار.

وما فعله أحمد شفيق كان وبالا على صاحبه، فقد قال: أن من حق المتظاهرين المطالبة بتنحية مبارك، ومن حق مبارك البقاء في كرسيه، لهم حق التعبير وله حق الدستور، ويبدو أن مبارك وشفيق لم يدرسا مواد

الدستور المصري جيدا، فالمادة الثالثة من الدستور توضح أن السيادة للشعب وحده وهو مصدر السلطات، ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها، فزاد من إصرار الشعب على مطلبه: الشعب يريد إسقاط النظام.

حينها اتخذ الرئيس السابق مبارك قرارا بنزول الجيش للسيطرة على الموقف وحل المشكلة بين الشعب والقيادة السياسية، هذا القرار جعل وزارة الداخلية وعلى رأسها حبيب العادلي تنسحب من المعركة الدائرة على الأرض المصرية بين الشعب وقائده، مما أدى إلى وجود فراغ أمني وإحداث بعض الفوضى التي ضخمتها كثيرا وسائل الإعلام المصرية وكانت سببا مباشرا في الفزع الذي أصاب المصريون.

لكن سبحان الله، مكر هؤلاء بالشعب بما يملكونه من وسائل إعلام ووسائل قمع وقناصة ورصاص حي وترهيب بفتح السجون وحث المساجين على الهرب، ألهم الله هذا الشعب العظيم أن يبتكر وسيلة للدفاع عن نفسه وأهله وبيته بعمل اللجان الشعبية، وكان المثل القائل: الحاجة أم الاختراع، واستطاع الشعب بفضل من الله أن ينشر الأمن في شوارع مصر ومدنها بتلك اللجان الشعبية، مع الإصرار الشديد على معاقبة المتسبب في هذه الفوضى والإصرار على إسقاط النظام.

وبنزول الجيش إلى الشارع المصري بدأ عدا تنازليا لسقوط النظام، رحب المصريون المتظاهرون بنزول الجيش واطمأن بحمايته لهم بعد الله سبحانه وتعالى، فجيش مصر خير أجناد الأرض، هم جند صلاح الدين في حطين، هم جند سيف الدين قطز في عين جالوت، هم جند رمضان الذي حطم خط بارليف وهزم العدو الذي لا يقهر، هذا الجند لم ولن يتوقع منه الشعب إلا كل الحماية والرعاية له ولثورته.

أظهر مبارك من خلال خطاباته أثناء الثورة تشبثا عجيبا بالسلطة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن ينتزعها منه انتزاعا، فكلما زاد اصراره على البقاء كان انتزاع السلطة أشد، لم يكتف المصريون بترك السلطة بل طالبوا بمحاكمته بعد أن تعدى رجاله على المتظاهرين بالجمال والخيول والسيوف وكأننا في معركة في العصور الوسطى.

لم تكن ثورة الشعب المصري ثورة ضد الظلم والقهر والفساد فقط، بل ضد التبعية الكاملة وفقد إرادته السياسية أمام أمريكا وأعوانها خاصة الكيان الصهيوني الذي بات يهدد الأمن القومي المصري.

انحاز أحرار العالم إلى الثورة المصرية واعترفوا بحق الشعوب في التظاهر السلمي ضد فساد الحكام واستبدادهم، وكان من بين هؤلاء الشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي، وكانت كلماته حماسية تحث الشعب على الصمود وتحث النخب والأحزاب والنقابات للإنضمام إلى شباب الثورة، ومما قاله الشيخ القدير:

يا أبناء مصر الأحرار، لقد كانت هذه الإنتفاضة الميمونة انتفاضة الشباب، أو الأبناء، وقد قاموا بالعبء الأكبر فيها، والآن أناشد جيل الآباء والشيوخ أن ينضمُّوا إلى أبنائهم، ويقفوا بجوارهم، ليشدُّوا أزرهم، ويسندوا ظهرهم، ويسدِّدوا خطاهم، ويتَّفقوا على المطالب الوطنية العليا، التي لا يختلف فيها اثنان، وهي رحيل هذا النظام الذي فقد شرعيته، ومبرر وجوده.

أدعو الأحزاب والقوى السياسية على اختلاف ألوانها واتجاهاتها، وأدعو النخب الفكرية والثقافية على تنوُّع فلسفاتها، وأدعو النقابات المهنية على اختلاف تخصُّصاتها، أدعو علماء الأزهر حيثما كانوا، في الجامعة أو المعاهد أو المساجد والأوقاف، أو التربية والتعليم، وأدعو

المفكرين ورجال الجامعات والأكاديميين، وأدعو رجال القضاء والنيابة، وأدعو المحامين على اختلاف درجاتهم، وأدعو الصحفيين والإعلاميين، وأدعو الأطباء والمهندسين، وأدعو المعلّمين والموجّهين، وأدعو كلَّ النخب والمثقّفين، وسائر النقابات، إلى أن يَدَعوا شواغلهم الخاصَّة، وينضمُّوا إلى هؤلاء الشباب الأطهار من أبنائهم، ولتتخلَّ كلُّ فئة منهم عن طلباتها الخاصة، وأهدافها الخاصة، وتركّز على طلب واحد، هو الذي يردده شبابهم وأبناؤهم، والمعبِّرون عنهم: أن يذهب النظام ويحل محله نظام جديد، لم تلوث يده بدمهم، ولم يفرض نفسه عليهم، ليبدأ الشعب صفحة جديدة، وحياة جديدة.

إن شعب مصر يكتب تاريخا جديدا، بل هو يصنع تاريخا جديدا، فلنشاركه صنع هذا التاريخ، فهذا يوم له ما بعده، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، أدعوكم جميعا يا رجال مصر، أن تقفوا يدا واحدة، وجبهة واحدة، حتى تحققوا أمل الشعب، فإن الاتحاد قوة، ويد الله مع الجماعة، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، {إِن يَنصُرْكُمُ اللَّـهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّـهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران:160].

يوم الأربعاء الدامي

بعد خِطاب الرئيس الذي ذكر فيه أنه سيعيش في مصر ويموت في مصر، كان الحِزب الوطني قد أعدّ العُدَّة لتسيير جماهير مُوالية له ترفع شعار أنها اقتنعت بخِطاب الرئيس، وأنه حقق لها مطالبها، وأنها تُطالب بإنهاء المظاهرات.

قامت الحشود الموالية لمبارك بالتجمّع في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء، وبدأت مسيرتها بإتجاه

ميـدان التحريـر.. وكـانت الخُطَّـة تتضـمن أن تـدخُل هـذه الجماهير الحاشـدة للميـدان، وترفـع الصـور والشِـعارات المؤيّدة للرئيس مُبارك، وتطرد بالقوة الحشود المُعتصمة في الميدان.

في الساعة الواحـدة ظهـراً بـدأت الحُشُـود الموالـية للنظام تصل بكثافة إلى ميدان التحرير، وبـدأت بالـدخول إلى الميدان من ثلاثة مداخل حاملـة العصـي والسـكاكين وبعض أفرادها أتوا على الخيل والجِمال والبِغال، وتمكنـوا من السـيطرة علـى نصـف الميـدان تقريبـاً.. وهنـا بـدأت معارك شديدة بالأيدي والعِصي والسـكاكين بيـن الشـباب المُعتصمين ومؤيدي النِظام.

وبعد معركة استمرت لساعات واستخدم فيها السلاح الأبيض والمولوتوف من جانب البلطجية، وقطـع الحجـارة من جانب المعتصمين، نجح المعتصمون في إخلاء ميـدان التحرير من البلطجية وسيطروا تماما على مداخل ميـدان التحرير، وهذا اليـوم كـان يومـا فاصـلا فـي تاريـخ الثـورة المصــرية حيــث ســقط العديــد مــن القتلــى والجرحــى بالميدان، وثبت للجميع أن بقاء مبارك أصبح خطرا حقيقيا على استقرار مصر وأمنها وسلامتها.

ما حدث يوم الأربعاء الدامي عرض الجيش المصــري للحرج الشديد، لأن الإشتباكات الـتي تـدور بيـن الـدبابات والحـرائق الـتي اشـتعلت فـي بعـض المـدرعات وقـذف المتحف المصري الذي يحميه الجيـش بالقنابـل الحارقـة، هذا المشهد لا يليق بمصر وجيشها.

يوم السقوط

يوم الجمعة الحادي عشر من فبراير عام 2011، يوم له ما بعده، يوم أن تنحى مبارك عن رئاسة مصر، ليتـولى المسئولية المجلـس العسـكري لفـترة انتقاليـة يتـم فيهـا

انتخاب مجلسي الشعب والشورى ورئيس الجمهورية، ليتسلم المسئولية رئيس مدني يختاره الشعب اختيارا حرا نزيها.

جاء تنحي مبارك عقب تظاهرات حاشدة استمرت 18 يوما، وبعد إعلان التنحي الذي تلاه نائب الرئيس السابق عمر سليمان أصدر الجيش المصري بيانا ضمنه رسالة تطمين إلى الداخل والخارج، مؤكدا أنه "لن يكون بديلا عن الشرعية التي يرتضيها الشعب". وأدى الإعلان عن تنحي مبارك إلى حالة فرح عارمة ليس في مصر فحسب، بل في عدد من الدول العربية لا سيما تونس التي كانت السباقة إلى إسقاط نظامها من خلال التظاهرات في الرابع عشر من يناير.

إن الثورة الشعبية في مصر قدَّمت نموذجًا متحضرًا، وقد أشار إلى ذلك الناشط البريطاني "جون ريبز" عن مصر بعد زيارة قام بها لميدان التحرير في القاهرة؛ حيث قال: "في ميدان التحرير في الجمعة الماضية، حينما وقف المسلمون للصلاة كان المسيحيون المصريون يحمون ظهورهم، وفي يوم الأحد الماضي حينما وقف المسيحيون لأداء القدّاس كان المسلمون المصريون يحمون ظهورهم!!، فلا تقدموا لنا محاضرات عن القيم البريطانية، إنني اليوم أريد القيم المصرية والعربية والإسلامية، إنها ثورة ضد الاستبداد والظلم، إنّ هؤلاء الثوار مُنظَّمون بشكل بديع، إنها لأعظم رسالة يُوجِّهها المصريون والعرب والمسلمون للخائفين من الإسلام (إسلاموفوبيا) وللمتحدثين عن الإرهاب.. ليقولوا: ها هم المصريون فوق الجميع..".

وقدم المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي نفس الصورة، حينما قال في مشاركة تليفزيونية: "إنّ هذه

الانتفاضة هي أعظم ثورة استثنائية حسب ما أذكـر.. إنهـا ثورة منطقة.. وليست ثورة شعب".

يوميــات الثـــورة

الثلاثاء 25 يناير 2011:

- بدء مظـاهرات ومسـيرات جماهيريـة تطـالب بـالتغيير فـي مـا أطلـق عليـه "يـوم الغضـب" بمشـاركة آلاف الأشخاص بالقـاهرة وعـدد مـن المحافظـات اسـتجابة لـدعوات نشـطاء علـى موقـع التواصـل الإجتمـاعي "فيسبوك".
- سـقوط أربعـة قتلـى، أحـدهم مـن رجـال الأمـن فـي مصادمات بين المتظاهرين وقوات الأمـن بعـد تصـاعد حدة الإحتجاجات الـتي عمـت العديـد مـن محافظـات مصر.

الأربعاء 26 يناير 2011:

- اسـتمرار المظـاهرات رغـم تحـذيرات وزارة الداخليـة وارتفـاع عـدد الضـحايا إلـى خمسـة قتلـى وعشـرات الجرحـى، إضـافة إلـى اعتقـال المئات بينهـم ثمانيـة صحفيين.
- لجـوء السـلطات المصـرية إلـى فـرض قيـود علـى الإنترنت وحجب مواقع للتواصل الاجتماعي، للحد مـن مساعي المتظاهرين المطالبين بالتغيير، نحو التواصل وإعادة تجميع الصفوف.

الخميس 27 يناير 2011:

- تواصـل المظـاهرات فـي القـاهرة وعـدد مـن المـدن الرئيســية لليــوم الثــالث علــى التــوالي، حيــث ردد المتظاهرون هتافات مناوئة للنظام الحاكم.

- اشتباكات بين مئات المتظاهرين وقوات الأمن التي استخدمت القنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطي في محافظتي السويس والإسماعيلية شرقي البلاد.
- محمد البرادعي أحد أقطاب الجمعية الوطنية للتغيير يدعو الرئيس مبارك إلى التقاعد معبرا عن استعداده لتولي السلطة لفترة انتقالية إذا طلب الشعب ذلك.
- الرئيس الأمريكي باراك أوباما يؤكد أن العنف ليس حلا للوضع الحالي في مصر، وأن الإصلاحات السياسية "ضرورية بشكل مطلق" من أجل خير مصر على الأمد البعيد.

الجمعة 28 يناير 2011:

- السلطات المصرية تستبق انطلاق مظاهرات "جمعة الغضب" بقطع خدمة الإنترنت والرسائل النصية القصيرة، ونشر قوات العمليات الخاصة بكثافة في القاهرة، سبقتها حملة اعتقالات.
- وقوع مواجهات عنيفة بين الشرطة والمتظاهرين في مدينة السويس.
- سقوط قتلى وعشرات الجرحى واعتقال المئات في المظاهرات التي اندلعت بعد صلاة الجمعة في عدة مدن مصرية مطالبة بتغيير النظام ورحيل الرئيس مبارك، في حين أفادت الأنباء بإحراق مقار للحزب الحاكم في بعض المدن المصرية.
- الرئيس أوباما يدعو مبارك إلى اتخاذ خطوات فعلية لتجسيد الإصلاح السياسي، والتوقف عن استخدام العنف ضد المحتجين.
- الرئيس مبارك يطلب من الحكومة التقدم باستقالتها موضحا أنه سيكلف حكومة جديدة.

السبت 29 يناير 2011:

- تعيين الرئيس مبارك لمدير المخابرات العامة اللواء عمر سليمان نائبا له، وتكليف وزير الطيران المدني الفريق أحمد شفيق بتشكيل الحكومة المصرية الجديدة.
- تواصل الاحتجاجات الغاضبة في القاهرة والمدن المصرية بعد خطاب الرئيس مبارك مطالبين إياه بالتنحي عن السلطة في وقت ارتفعت فيه -حسب رويترز- حصيلة القتلى إلى 68 من المحتجين ورجال الشرطة في القاهرة والإسكندرية والسويس.
- تزايد عدد القتلى في عدة مناطق بمصر في اليوم الخامس من الاحتجاجات، في وقت أعلنت فيه القوات المسلحة المصرية أنها ستدفع بقوات كبيرة بكل المدن لحفظ الأمن وحماية الأحياء السكنية.
- السلطات المصرية تواصل قطع خدمة الإنترنت لمنع المتظاهرين ضد نظام الرئيس مبارك من التواصل، الأمر الذي أثار انتقادات أمريكية.
- حدوث تمرد في سجن أبو زعبل، وإطلاق قوات الأمن الرصاص الحي على المعتقلين، وورود أنباء عن وقوع عشرات القتلى.

الأحد 30 يناير 2011:

- تواصل إجلاء الرعايا الأجانب في مصر التي تعصف بها احتجاجات غاضبة تطالب بإسقاط النظام، وسط تصاعد أعمال العنف والانفلات الأمني.
- احتشاد عشرات الآلاف من المحتجين في ميدان التحرير في احتجاجات الغضب العارمة وسط إصرار المتظاهرين على إسقاط النظام الحاكم في مصر.

- وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون تدعو إلى ما أسمته " تحولا منظما" بمصر لا يـؤدي إلـى فـراغ فـي السلطة معتبرة أن تعيين نائب للرئيس غير كاف.
- الداخليــة المصــرية المقالــة تصــدر تعليمــات بإعــادة انتشار قوات الأمن فـي جميـع أنحـاء مصـر بـدءا مـن الاثنين باستثناء منطقة ميدان التحرير وسط القـاهرة، وذلك بعد انسحاب مفاجئ لها في وقت سابق.
- أوباما يؤكد دعمه لانتقال سلمي للسلطة إلـى حكومـة تلبي تطلعات الشعب المصري.
- السلطات المصرية تمنع قناة الجزيرة من العمـل فـي مصر وتلغي بثها على القمر الصـناعي المصـري نايـل سات لبعض مناطق الشرق الأوسط.

الاثنين 31 يناير 2011:

- الرئيـس مبـارك يكلـف رئيـس الـوزراء الجديـد أحمـد شفيق ببدء حوار مع المعارضة، كما كلفه بـأن تحـافظ الحكومة على الدعم وتضع حدا للتضخم وتوفر فــرص العمل.
- كــاثرين أشــتون الممثلــة العليــا للشــؤون الأمنيــة والخارجية في الاتحاد الأوروبي تـدعو الرئيـس مبـارك للدخول في حوار فوري مع المعارضـة والتجـاوب مـع تطلعات المحتجين المناهضين للحكومة.
- الرئيـس مبـارك يكلـف نـائبه عمـر سـليمان بـإجراء اتصالات مع جميـع القـوى السياسـية بشـأن حـل كـل القضــايا المثــارة المتصــلة بالإصــلاح الدســتوري والتشريعي.

الثلاثاء 1 فبراير 2011:

- احتشاد أكثر من مليون شخص في ميدان التحرير في القاهرة تلبية لدعوة القوى السياسية لمظاهرة مليونية للمطالبة برحيل الرئيس مبارك وسط احتجاجات في بقية المدن.
- الرئيس مبارك يعلن في خطاب بثه التلفزيون الرسمي أنه لن يترشح لولاية رئاسية جديدة، قائلا إنه سيعمل خلال الشهور القادمة الباقية من ولايته للسماح بانتقال سلمي للسلطة.
- مجموعة كبيرة من البلطجية تتعرض للمتظاهرين في ميدان طلعت حرب قرب ميدان التحرير، حيث يحتشد مئات الآلاف مطالبين بتنحي الرئيس مبارك، وذلك بعد خطابه الذي وجهه للمصريين.

الأربعاء 2 فبراير 2011:

- ائتلاف المعارضة يدعو لمظاهرة كبرى الجمعة لإرغام مبارك على ترك منصبه والحزب الوطني الديمقراطي الحاكم يسير مظاهرة مؤيدة لمبارك.
- الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى يقول إنه سيفكر بجدية فيما إذا كان سيسعى للترشح للانتخابات الرئاسية المقررة في مصر في سبتمبر المقبل.
- رئيس البرلمان المصري يؤكد عزمه إقرار التعديلات الدستورية التي تطرق إليها الرئيس مبارك في خطابه خلال فترة قصيرة، مؤكدا الأنباء التي تحدثت عن تعليق عمل البرلمان إلى حين الفصل في الطعون المقدمة بشأن نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة.
- مؤيدون للرئيس مبارك يرتكبون اعتداءات عنيفة على معارضين يواصلون المطالبة بتنحي الرئيس عن السلطة خلفت قتلى ومئات الجرحى.

الخميس 3 فبراير 2011:

- رفضت أبرز قوى المعارضة بمصر عرض رئيس الحكومة المصرية أحمد شفيق بدء حوار وطني، مشترطة التنحي الفوري للرئيس مبارك وتشكيل حكومة وحدة وطنية تضم جميع الأطياف على الساحة السياسية بالبلاد.
- مهاجمون يوصفون بأنهم مؤيدون للرئيس مبارك يقومون بإطلاق نار كثيف في ميدان التحرير، بينما صدرت تعليمات أمنية للمراسلين الأجانب بمغادرة الفنادق المحيطة بالميدان.
- عمر سليمان نائب الرئيس يعلن أنه لا الرئيس ولا ابنه جمال مبارك سيترشحان لانتخابات الرئاسة، قائلا إنه سيعاقب كل الضالعين في إثارة العنف والانفلات بميدان التحرير.
- الرئيس مبارك يصرح بأنه يود الاستقالة من منصبه، لكنه يخشى إن فعل ذلك الآن أن تغرق بلاده في فوضى.

الجمعة 4 فبراير 2011:

- أكثر من مليون شخص يؤدون صلاة الجمعة في ميدان التحرير حيث دعا الخطيب الحشود والشباب إلى الصبر حتى إسقاط نظام الرئيس مبارك.
- تنظيم مسيرات حاشدة بالإسكندرية ومدن أخرى عقب ما يسمونه "جمعة الرحيل" تطالب برحيل مبارك.

السبت 5 فبراير 2011:

- استقالة هيئة المكتب السياسي للحزب الوطني الديمقراطي الحاكم وتعيين حسام بدراوي محل

الأميــن العــام للحــزب صــفوت الشــريف وأميــن السياسات، الأمين العام المساعد للحزب جمال نجــل الرئيس مبارك.

- المبعوث الأمريكي إلى مصـر فرانـك ويزنـر يقـول إن الرئيس مبارك يجب أن يبقى في السلطة في الـوقت الحــالي حــتى يــدير التغييــرات المطلوبــة للانتقــال السياسي، والمتحدث باسم الخارجية الأميركية فيليب كراولي يقول إن ويزنر عبر عـن رأيـه الشخصـي ولـم ينسق مع الإدارة الأمريكية.
- قائد المنطقة العسكرية المركزيــة بـالجيش المصـري اللـواء حسـن الرويني يطـالب المتظـاهرين بمغـادرة ميدان التحرير، ويخفق في ذلك.
- مبارك يجتمع مع وزراء الاقتصاد والتجارة والنفـط فـي الحكومة الجديدة، في إشارة -حسب المراقـبين- إلـى أنه ما زال يمارس صلاحياته.

الأحد 6 فبراير 2011:

- قوى المعارضة ومنها جماعة الإخوان المسلمين تجري حوارا مع عمر سليمان ولا إشارة لتنحي مبارك.

الإثنين 7 فبراير 2011:

- التحفـظ علـى وزيـر الداخليـة السـابق حـبيب العـدلي تمهيدا لمحاكمته عسكريا.

الثلاثاء 8 فبراير 2011:

- أعلنت منظمة هيومن رايتس ووتـش مقتـل نحـو 300 شخص خلال الأحداث الجارية في مصر.
- المتظاهرون يحاصرون مقـر البرلمـان ومقـر مجلـس الوزراء غداة تظاهرات هي الأضخم منذ بدء الثورة.

الأربعاء 9 فبراير 2011:

- مقتل 5 أشخاص وإصابة 100 آخرين في مدينة الخارجة بمحافظة الوادي الجديد إثر اشتباكات مع الشرطة التي استخدمت الرصاص الحي.

الخميس 10 فبراير 2011:

- المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية ينعقد في غياب الرئيس حسني مبارك ويعلن البيان رقم واحد ويقرر الانعقاد بشكل دائم لمتابعة الأوضاع في مصر.
- عدد المتظاهرين المطالبين بتنحي مبارك في ميدان التحرير والساحات والجسور المحيطة به يتجاوز ثلاثة ملايين متظاهر.
- الرئيس مبارك يؤكد في خطاب قبل منتصف الليل تمسكه بالحكم حتى انتهاء ولايته ويفوض نائبه اختصاصات رئيس الجمهورية وفقا للدستور.
- نائب الرئيس عمر سليمان يؤكد في كلمة له بعد خطاب مبارك التزامه بتحقيق الانتقال السلمي للسلطة وفقا للدستور ويدعو المتظاهرين للعودة إلى منازلهم واستئناف أعمالهم.
- المتظاهرون يرفضون بشدة خطابي مبارك وسليمان ويؤكدون تمسكهم بمطلبهم الرئيسي وهو تنحي الرئيس وسقوط النظام.
- آلاف المتظاهرين يتوجهون إلى القصر الجمهوري ومبنى التلفزيون بعد خطاب الرئيس مبارك، والجيش ينصب الأسلاك الشائكة حول القصر.

الجمعة 11 فبراير 2011:

- ملايين المصريين يتظاهرون في القاهرة ومختلف المدن والآلاف منهم توجهوا نحو القصر الرئاسي بالقاهرة انطلاقا من ميدان التحرير حيث أدى مليونان على الأقل صلاة الجمعة.
- الجيش يعلن بيانه رقم 2 ويعلن فيه إنهاء حالة الطوارئ فور انتهاء الظروف الحالية وضمان إجراء انتخابات رئاسية حرة.
- عمر سليمان يعلن تنحي حسني مبارك وتسليم الحكم للجيش.
- المجلس الأعلى للقوات المسلحة في مصر يصدر البيان رقم 3 ويقول إنه ليس بديلا عن الشرعية التي يرتضيها الشعب المصري، الذي أطاح اليوم بنظام الرئيس محمد حسني مبارك بعد 18 يوما من المظاهرات والاعتصامات.
- أجواء فرحة عارمة تعم أرجاء مصر بسقوط نظام حسني مبارك.

إرفع رأسك أنت مصري

الذي زار ميدان التحرير أيام الثورة المصرية شعر بأنه في المدينة الفاضلة، الناس في ميدان التحرير كثير، شباب وشيوخ، رجال ونساء، كبار وصغار، مسلمون ونصارى، اجتمع كل هؤلاء في مكان واحد وسعهم جميعا باختلاف توجهاتهم، حرية رأي لم أر لها مثيلا من قبل، كل من لديه فكرة يعرضها في الميدان، كل من لديه رأي ولو مخالف لرأيه يسمعه غيره دون صياح أو عراك، الذي كان يبحث عن حرية الرأي وجدها في الميدان، الذي كان يبحث عن المساواة وجدها في الميدان، الذي كان يبحث عن حقوق الإنسان وجدها في الميدان.

الذي دخل الميدان الذي تدور فيه معارك بين الثوار ورجال الشرطة والقناصة، توقع أن يرى وجوها عابسة وجلة، لكنه رأى وجوها مبتسمة مرحبة بالثوار الجدد في الميدان بأغاني وأناشيد تشعرك أنك تدخل عرسا للحرية، لم يهزمها القتل والجرح والعيون التي تدمع من أثر الدخان، بل زادها إصرارا على أن تتحول الثورة بحق إلى عيد لكل الأحرار.

أجمل ما في الثورة أنه أعاد للمصريين معنى غاب عنهم كثيرا، الجهاد ومنزلة الشهيد، من أجل الحق تهون الحياة، ومن أجل الحرية يسقط النظام الذي صادر الحريات، في البداية طالبوا بالحرية والعدالة الإجتماعية، وفي النهاية طلبوا الموت لتوهب لهم الحياة.

- الشعب الذي استطاع أن يقهر الخوف ويواجه سيارات الأمن المركزي بصدره عاريا، جدير بأن ينال حريته.
- الشعب الذي استطاع أن يصمد أمام جحافل الأمن المركزي بالعصي الكهربائية والقنابل المسيلة للدموع والرصاص الحي والقناصة التي تسقط الشهداء أمام أعين إخوانهم حاملا شعار سلمية سلمية يستحق أن يكون مثلا يحتذى في الصمود.
- الشعب الذي استطاع أن يعيد الأمن في الشارع المصري باللجان الشعبية بعد الفوضى التي سببها انسحاب قوات الشرطة من الشوارع يستحق أن يُعلم العالم معنى الأمن والأمان.
- الشعب الذي استطاع أن يكفل لمليون مصري في ميدان التحرير الطعام والشراب والدواء والإعلام طوال فترة الاعتصام يستطيع أن يكفل الحياة الكريمة لثمانين مليون مصري بما يملكه من إمكانيات الدولة.

- الشعب الذي استطاع أن يصنع إذاعة داخلية وشاشات عرض لمعرفة الأخبار، ونشرات خاصة يعرض فيها كل فرد آرائه بلا خوف أوحجر أو تهديد باعتقـال، يسـتطيع أن يقنـع العـالم كلـه بمفهـوم الحريـة الحقيقـي دون شعارات زائفة لحماية حقوق الإنسان.
- الشعب الذي استطاع أن ينظم عمليـة دخـول وخـروج المتظاهرين دون وجود فرد أمـن مـن وزارة الداخليـة يستطيع أن يستمر في هذا النظام في كل مظهر مـن مظاهر الحياة.
- الشعب الذي استطاع أن يجعـل مكـان يرتـاده مليـون مواطن يوميا نظيفـا جميلا منظمـا يسـتطيع أن يجعـل مصر جنة غناء بأبنائها الـورود الـتي تفتحـت فـي هـذه الثورة.
- الجيش الذي ألقى التحية العسكرية على أرواح شهداء ثورة 25 يناير في البيان الثـالث للجيـش والـتي بثـت علــى كــل القنــوات الأرضــية والفضــائية المصــرية والعالمية والتي أبكت الكثيرين وبينت الحب والاحترام المتبادل بين أبناء الشعب المصـري وقـواته المسـلحة يستحق أن يكون خير أجناد الأرض.
- مصــر أم الــدنيا، والأب الشــرعي لهــا شــعب مصــر الكريم، والإبـن الأكـبر البـار بهـا هـو جيشـها العظيـم، فهنيئا لمصر بأبنائها وشعبها وجيشها.

إن هـؤلاء الـذين يصـلون فـي هـذا الميـدان ليسـوا المنتسبين إلى جماعة الإخوان ولا إلى الجمعية الشرعية، ليسوا منظمين في حزب ولا منتسبين إلى جماعـة. إنهـم المنتسبون إلى الله بالعبودية.

من ثمرات الثــورة

خــرج المصــريون فــي 25 ينــاير ليقولــوا للقيــادة السياسية نحن هنا ولنا مطالب يجب أن تنفذ، ولنـا صـوت يجب أن يسمع، هذا حقنا وهذه واجبـاتكم، كـانت مطـالب المتظاهرين المشروعة: رفع الحـد الأدنـى للأجـور، إلغـاء العمل بحالة الطوارئ، حـل مجلسـي الشـعب والشـورى المزورين. لكن أبى مبارك أن يستمع إلى شعبه، وقرر أن يخرس الألسنة التي تهتـف بالحريـة والعدالـة الإجتماعيـة والتي هي من أهم حقوق الإنسان التي أنشـئ مـن أجلهـا المجلس القومي لحقوق الإنسان.

لكن يبدو أن هذا المجلس أنشئ لأغراض أخرى وهي قبول منح خارجية تقاوم بهـا الحريـات فلـم نسـمع صـوتا ينادي أن أجيبوا للمتظاهرين مطـالبهم، بـل وجـدنا ألسـنة تلهـج بالثنـاء علـى ولـي النعـم وحـامي حمـى الأوطـان، ووجدنا أيدي تبطش وعربات تدهس ورصاص حي يطلق، ولم نر من المتظاهرين سوى دموع تنهمر من آثـار قنابـل الـدخان ولـم نسـمع سـوى شـعار سـلمية سـلمية برغـم النيران، بسـقوط شـهداء وجرحـى رأينـا الرجـال السـمر الشداد فـوق كـل المحـن، رأينـا العنـاد فـي عيـون الـولاد وتحدي الزمن، رأينا إصرار في عيون البشر بيقول أحــرار ولازم ننتصر، هذه هي مصر بلادي يا أحلى البلاد يـا بلادي، يا حبيبتي يا مصر، وبفضل الله جاء النصر.

إسقاط نظام مبارك ورموزه

تنحــى مبــارك بعــد ثمانيــة عشــر يومــا مــن بدايــة المظاهرات، وسقط رجاله من أعضاء الحزب الوطني بل سقط الحزب الوطني بأكمله، وتم حل مجلسـي الشـعب والشورى، هذا النصر ليس من عندنا بل هو من عند اللـه، أراد الشعب العدالة والحرية، وأراد اللـه سـبحانه وتعـالى

أن تعـود مصـر إلـى شـعبها، أراد الشـعب رحيـل مبـارك، وأراد مبارك البقاء في السلطة، وأراد اللـه لـه السـقوط، لم نتوقع حجم الأموال المنهوبة والـتي تـم تهريبهـا خـارج مصـر، أيـن كـانت تلـك الأمـوال حيـن طـالب المصـريون بسداد ديون مصر وهي تقل عن أرصدة النظام، أين كانت تلك الأموال وهم يقررون فرض ضريبة عقارية على مالك كشك وحجرة في شقة ومنزل مؤجر.

نظام ورموزه جسم على صـدور المصـريين سـنوات طويلة، كلما قرأنا خبرا في جريدة لانجد إلا تلـك الوجـوه، كلما شـاهدنا برنامجـا تليفزيونيـا لا نجـد إلا تلـك الوجـوه، وصلت من العمر أرذله وما زالت مصرة على قتل أبنائهـا حنى تظل ملتصقة بالكرسي، قتلت أبناءهـا بالبطالـة فـي سن الشباب، وقتلت أبناءهـا بالمعـاش المبكـر فـي سـن الأربعين، أما هـم فبـاقون رغـم الثمـانين. هكـذا الثـورات يجب أن تلقي ما حولها من شوائب البشـر، وجـوه كـثيرة كان يجب أن ترحل، وجوه أدمنت الفساد والنفـاق ليطـل زمان جديـد ووجـوه جديـدة تعـرف معنـى الحـق والعـدل والجمال.

كان كثير مـن النـاس يـردد أن جمـال مبـارك سـوف يخلف والده في رئاسة مصر، وكنت أقـول: ليسـت مصـر بلدا هينا حتى يحكمها جمال مبارك، وإن قبـل المصـريون حكمه فلا يلومـون إلا أنفسـهم، مصـر العظيمـة يجـب أن يحكمها عظيم، مصـر يحكمهـا صـلاح الـدين قـائد موقعـة حطين ومحرر القدس من أيدي الصليبيين، مصـر يحكمهـا سيف الدين قطز قاهر التتار في عين جالوت، مـن يشـبه صلاح الدين وقطز حتى يحكم مصر الآن؟

غلق مقار أمن الدولة

أمـن دولـة إسـرائيل، وجـد ليحمـي جنـود الاحتلال البريطاني من المصريين، ثم تطور ليحمي عبدالناصر من المعارضـين مـن الشـيوعيين والوفـديين والإخـوان المسلمين، ثـم وجـد ليحمـي الصـهاينة مـن أي محـاولات لتحريـر أرض فلسـطين، لـن تحـرر فلسـطين إلا بقلـوب مؤمنة تعرف قيمة أرض الرسالات ومسرى النبي الأمين، لن تحرر فلسطين إلا حين يتـم تحريـر سـيناء مـن اليهـود الغاصبين، لن تحرر فلسطين إلا بتحرير العقول مـن فكـر الشياطين، هذا الجهاز اللعين عـرف كيـف تكبـل العقـول والقلوب بإدعاء أن من يفكـر فـي تحريـر الأرض هـو مـن الإرهابيين.

فتحـت السـجون والمعتقلات للإرهـابيين، كـل المعارضين للنظام كانوا إرهابيين، من يقول لـه اتـق اللـه فهو خارج على القـانون، مـن يقـول لـه المنحـة يـا ريـس ويقول أجيـب منيـن كـل الفلـوس بـره يمكـن تكـون فـي الصين، يا ريسنا غزة محاصرة ولا يجدوا ما يأكلون، نعمل سـور بيننـا وبينهـم حـتى لا يـدخلوا مصـر ويـأكلوا مـع المصريين، ياريس هناك سفن لكسر حصار غزة، إذن لابد مـن التفـتيش، حاصـرهم اليهـود حصـارا واحـدا والريـس حاصرهم حصارين، حصار اقتصادي وحصـار أخلاقـي، هـم يسـتطيعون مقاومـة اليهـود لكـن لا يسـتطيعون مقاومـة إخوانهم من المصريين. ألا لعنة الله على الظالمين.

ستغلق مقار أمـن دولـة إسـرائيل وستسـقط الدولـة البوليسية التي جثمت على صدور المصريين عـدة عقـود، وغرف جهنـم لـن توجـد علـى الأرض المصـرية بعـد الآن، ستكون غرف جهنم في الآخرة لمن يخون الأمانة ويتعاون مع أعداء الأمة مـن الصـهاينة وأعـوانهم وسـيحمي مصـر وأمنها كل المصريين مع جيشها العظيم الـذي يومـا قريبـا سيحرر أرض فلسطين.

الاستفتاء على التعديلات الدستورية

السبت 19 مارس عام 2011، الاستفتاء على التعديلات الدستورية، كان يوم عرس للمصريين، خرج المصريون بالملايين حين علموا أن صوت كل منهم قد يؤثر في نتيجة التصويت، خرج كل منهم رغم الزحام وطول الوقوف في حر الشمس، لكن أصروا على الإدلاء بأصواتهم، خرج المصريون حين علموا أن الإنتخابات نزيهة لا تشوبها شبهة تزوير، خرج الجميع وآراؤهم متباينة كل يرى رأيه هو الإختيار الصحيح، لا يهم الإختلاف، المهم أن يظل الإحترام باقيا بين المتخالفين، لابد من المشاركة في رسم مستقبل مصر بكل المصريين.

توقيع إتفاق المصالحة بين فتح وحماس

كان مبارك يخشى من تكرار نموذج حماس في مصر فلم يعد يهتم بالمصالحة بين الفصائل المتصارعة في فلسطين المحتلة، فأرادت سوريا أن ترث الدور المصري في المنطقة، فظل الوضع مترديا في فلسطين حيث تلعب إسرائيل دورا رئيسيا في زيادة الفجوة بين الفصيلين المتصارعين. إلا أن الثورات العربية غيرت من اتجاهات القوى، فبعد سقوط النظام المصري بقيادة مبارك وإنشغال سوريا بالثورة على بشار ونظامه، ورغبة الشعب المصري في المصالحة بين الفلسطينيين، أصبح الطريق ممهدا للتوقيع على المصالحة بين مصر وحماس في خطوة لم يتوقعها الكثيرون بهذه السرعة التي تمت بها المصالحة، بالإضافة إلى فتح معبر رفح لفك الحصار المفروض على أهلنا في غزة، إنها إرادة الله التي أعانت مصر الثورة لإتخاذ هذا القرار.

لا جدال في أن معبر رفح أرض مصرية وأن لمصر الحق الكامل في فتحه أو إغلاقه، لكن هذا المعبر هو

المنفذ الوحيد لغزة على العالم الخارجي في وقت أغلق فيه الكيان الصهيوني كل المنافذ تطبيقًا لسياسة الحصار الذي فرضته على غزة منذ فوز حماس بمعظم مقاعد المجلس التشريعي في انتخابات نزيهة، ثم أحكمت الحصار بمساعدة مصر منذ انفردت حماس بحكم غزة.

هكذا دخلت مصر قبل الثورة في جدل وعداء مع حماس، تارةً بحجة أنها لا تريد أن ترى حكمًا إسلاميًّا في غزة حتى لا يشجع ذلك الإخوان المسلمين على تكرار التجربة في مصر، فإذا كان الحكم الإسلامي يقف ضد المشروع الصهيوني، تصبح قضية إغلاق المعبر إحكامًا للحصار مصلحةً مشتركةً بين مصر مبارك والصهاينة والولايات المتحدة، ولذلك وضعت مصر العراقيل في وجه المرور إلى غزة، سواء من ناحية المعبر المغلق أو الأنفاق التي بنت مصر خصيصًا الجدار الفولاذي لإحكام الحصار؛ بحجة حماية الأمن القومي المصري من التهريب والمخدرات عبر الأنفاق، بل وقرَّر القضاء المصري أن بناء الجدار من أعمال السيادة الذي تنفرد الحكومة بتقريره دون سلطة للقضاء في تعقبه أو مراجعته.

فكأن القضاء المصري حكم بأن بناء الجدار من أعمال السيادة الأمريكية على الأراضي المصرية، كان عليه أن يأمر بوقف بناء الجدار لأنه جريمة إبادة وفق أحكام القانون الدولي، وأن يوازن بين مصلحة مصر الوطن وبين الضرر المحقق لسكان غزة.

القانون الدولي يقرر أنه إذا كان الوفاء بالتزام تعاقدي يؤدي إلى جريمة دولية مثل حصار غزة، فإن وقف المشاركة في الجريمة أولى من الوفاء بمثل هذا الإلتزام، حتى لو كان الإلتزام قد نشأ صحيحًا ثم تغيرت ظروف تنفيذه.

تذرع نظام مصر مبارك أن فتح المعبر يُعدُّ انتهاكًا لمعاهدة السلام بين مصر والصهاينة التي تلزم مصر بالمحافظة على أمن الكيان الصهيوني، والذي يهدده فتح المعبر، والغريب أن الكيان احتج على إعلان مصر فتح المعبر بذريعة أنه يهدد الأمن القومي الصهيوني ويشجع على الإرهاب حيث وضعت أوروبا والولايات المتحدة حماس على قائمة المنظمات الإرهابية، ويؤكد القانون الدولي أن الإحتلال جريمة، بينما المقاومة حق.

أدعى مبارك أن فتح المعبر يشجع حماس على المضي في الإنفصال والخروج على سلطة أبو مازن التي يعترف بها المجتمع الدولي، كما يُعدُّ اعترافًا بحماس، ما يفاقم الإنقسام الفلسطيني ويُعدُّ تدخلاً في الشأن الداخلي الفلسطيني، ولذلك قررت مصر مبارك أن الحل هو المصالحة على مذهب السلطة وتطويع حماس، وبعد الثورة في مصر، صارت المصالحة ممكنة وأصبح فتح المعبر قرارًا مصريًّا مستقلاً رغم الذعر الذي أصاب الكيان الصهيوني، وتستند مصر في فتح المعبر إلى قرارها المستقل وإلى تفاهم مع طرفي الخلاف الفلسطيني، وإلى رغبة أكيدة لدى مصر الثورة في التضامن مع أهلنا في فلسطين.

حصار غزة يعد جريمة من جرائم الحرب، وفتح معبر رفح يعبر عن حرص مصر في ألا تشارك في هذه الجريمة، فأصبح فتح المعبر التزامًا قانونيًّا على مصر، طرفه الأول الوفاء بالتزام قانوني في إتفاقية جنيف الرابعة، وطرفه الثاني أن تنأى بنفسها عن المشاركة في حصار يؤكد كل دول العالم ومجلس الأمن أنه جريمة دولية.

الآن، تستعيد مصر كرامتها وتتحمل مسئولياتها تجاه الشعب الفسطيني والشعوب العربية بكاملها، حين

أعلنت أنها سوف تستأنف علاقتها الدبلوماسية مـع إيـران مـع ضـمان عـدم تـدخلها فـي الشـئون الداخليـة لـدول المنطقة العربية وخاصة دول الخليج العربي.

الفصل الثالث: تحديات الثورة

هناك تحـديات كـثيرة تـواجه الثـورة المصـرية، وهـي كيف يتم تحقيق مطالب الثـورة مـع مـا يظهـر مـن بعـض الفئات التي تسعى لإجهاضها أو على الأقـل توجيههـا فـي المسـار الـذي يحقـق مصـلحتها هـي لا مصـلحة الشـعب المصري بكامل تياراته وطوائفه، وأخطـر هـذه التحـديات معاهـدة كـامب ديفيـد والسـلام مـع الكيـان الصـهيوني بمباركة الولايات المتحدة الأمريكية والـدعم الـذي تقـدمه له على كافة الأصـعدة والتهديـدات الأمريكيـة المسـتمرة لمصر إن هي نقضت المعاهدة، ويتمثـل هـذا التهديـد فـي التسـلل اليهـودي بمصـر الـذي يحـاول تنفيـذ مخططـاته بالنسـبة للمنطقـة العربيـة، وهـو يسـتعين ببعـض القـوى المعارضة والطائفية الـتي تسـعى لتكـوين كيـان منفصـل عن الدولة.

وتحد آخر للثورة هـو كيفيـة مواجهـة مشـعلوا الفتنـة الطائفية في مصر وخاصة ما يجده بعض الأقباط بالداخل من دعم من أقباط المهجر، أحد التحديات أيضا التي يجب مواجهته هـو الآثـار الإقتصـادية الناتجـة عـن الفسـاد فـي مؤسسات الدولة.

هناك تحد آخر غاية في الخطورة وهو القـوانين الـتي فرضت علينا من خلال التوقيع علـى المعاهـدات الدوليـة، والتي لم ولن يوافق عليها الشعب يوما من الأيـام وكيـف يتم التعامل مع تلك القوانين أو تعديلها بمـا يلائم الشـعب المصري ذو الأغلبية المسلمة.

هذه بعض التحديات التي تـواجه مصـر الثـورة، وهـي قادرة على مواجهة كل التحديات بـإذن اللـه وتـوفيقه ثـم بمعاونة الشعب والجيش والحكومة المصرية.

كامب ديفيد من جديد

إن العـدو الصـهيوني- بـدعم مـن الولايـات المتحـدة الأمريكية- قـد قـام بـاحتلال سـيناء فـي عـام 1967 مـع أراضٍ أخرى، ومنعت أمريكا مجلس الأمن من إصــدار أي قرارٍ ينص علـى الإنسـحاب دون قيـد أو شـرط، وربطـت الإنسـحاب بـالإعتراف بإسـرائيل وتوقيـع معاهـدة سـلام معهـا، فلمـا رفضـنا ذلـك وقررنـا تحريـر الأرض بـالقوة، وقفت أمريكا دون ذلـك، وسـرقت منـا النصـر العسـكري بدعمها قوات العدو، واستمرت تهديداتها على امتداد أكثر من ثلاثين عامًا؛ الأمـر الـذي يـؤدي إلـى بطلان كـل هـذه الإتفاقيات بطلانًا مطلقًا بموجب أحكام القـانون الـدولي، ويجردها من أية مشروعية.

أهم المخالفات الدستورية أن السادات قام بــالتوقيع عليها دون العودة إلي مجلس الشعب أولا كما أنها خالفت الدسـتور فـي أنهـا أخرجـت مصـر مـن محيطهـا العربـي والدستور ينص علي (أن مصر جـزء مـن الأمـة العربيـة). وبمــوجب هـذه المعاهـدة فرطـت مصــر فــي السـيادة الوطنية علي جزء من أرضـها حيـن جعلـت سـيادتها علـي سيناء منقوصة بموجب المعاهدة المشئومة التي فرضـت عليها تحويل مطاراتها العسكرية في سيناء إلي مطــارات مدنية محظور عليها استخدامها في الأغـراض العسـكرية، كما فرضت عليها ترك مناطق شاسعة مـن سـيناء خاليـة مـن السـلاح ومنـاطق أخـري لايسـمح فيهـا بـأي تواجـد عسكري مصـري ممـا جعـل ثلـثي سـيناء منـزوع السـلاح وبالتـالي يصـعب الـدفاع عنهـا إذا أرادت إسـرائيل إعـادة احتلالها كما هددت بذلك أكثر من مرة.

إن أخطر ما في معاهدة كامب ديفيـد هـو أن مصـدر السيادة المصرية الحاليـة علـى سـيناء لـم يعـد هـو حقنـا التاريخي فيها بصفتها جزء مـن أرض الـوطن إنمـا مصـدر

السيادة الحالية وسندها هو معاهدة السلام، وهذه السيادة اصبحت مشروطة بإلتزامنا بأحكام المعاهدة فإن رغبنا في إنهاء المعاهدة والخروج منها، يصبح من حق إسرائيل إعادة احتلال سيناء بحجة أن إنسحابها كان مشروطا بالإعتراف بها والسلام والتطبيع معها.

إن أخطر آثار كامب ديفيد حيث تنص المادة الأولى من المعاهدة فى فقرتها الثالثة على: عند إتمام الإنسحاب المرحلي المنصوص عليه فى الملحق الأول، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية. إن هذه المادة تعد مخالفة صريحة للمادة الثالثة من الدستور التي تقر حق السيادة للشعب بدون قيد أو شرط فتنص على: "السيادة للشعب وحده ، وهو مصدر السلطات، ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها .. ".

إن كامب ديفيد هي بمثابة سلاح إسرائيلي مشهر في وجه الحكومات المصرية تضغط به لمنع مصر من إمتلاك أسباب القوة حتي لاتتكرر تجربة حرب أكتوبر 1973 فالمعاهدة تعطي إسرائيل الفرصة للتدخل في شئون مصر الداخلية وتحديد كيف يتعامل النظام مع القوي السياسية فتضغط عليه لكي يستبعد القوي والتيارات المناهضة لإسرائيل وأن يصفها بالمحظورة لأنها في زعم إسرائيل تقوم بالتحريض ضدها، وهذا ما أكد عليه وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي بقوله في إحدي محاضراته (سنعود إلي سيناء إذا حدث في مصر ما لايرضينا) مشيرا إلي أنه كان من نتائج تلك الضغوط الإسرائيلية استبعاد التيارات السياسية ذات التوجه العربي والإسلامي من المسرح السياسي، كما تكونت طبقة من رجال الأعمال تري مصالحها مع إسرائيل وأمريكا وليس مع محيطها العربي والإسلامي وأصبحت هذه الطبقة تمثل زواج السلطة بالثروة ومهمتها حماية المصالح الأمريكية والإسرائيلية داخل مصر.

لقد أحدث نصر أكتوبر الأسطورى نقله نوعية إيجابية فـى طريقـة تفكيـر العقـل العربـي ومعنويـاته حيـث تـم شـطب أسـطورة الجيـش الإسـرائيلى الـذي لايقهـر مـن الذاكرة، ثم جاءت معاهدة الصلح مع العدو الصهيوني في كامب ديفيد 1979 فأثرت سلباً على طريقة تفكير العقل العربي لبعض النظم العربية.

أكتوبر يعبّر عن نفسية سوية تجاهد عن حقها وأرضها وعرضها بما تملك من إمكانيات وإن عـارض هـذا مصـالح الــدول العظمــى وخاصــة أمريكــا والإتحــاد الســوفيتى السـابق، أمـا مـارس 79 فهـو يعـبر عـن نفسـية رضـيت بنصوص كامب ديفيـد والـتي حـولت العقـل العربـي إلـى صديق حميم ومدافع قوي عن المحتل لأرضنا ومقدســاتنا العربية والإسلامية حيث نصت كامب ديفيـد علـى القبـض على ومحاكمة كل من يظهر العداء لإسـرئيل... وهـذا هـو أخطر انقلاب فكري ضد ثوابتنا العربيـة والإسـلامية، وهـو ما كانت تفعله السلطة الفلسطينية من القبض علـى كـل من يقـاوم الإحتلال الصـهيوني، وهـو مـاتفعله دول عربيـة أخرى دون ضجة إعلامية.

جولدستون، قاضـي يهـودي تـابع للأمـم المتحـدة قـد آلمه أشد الألم ما رآه من فجائع وفظائع وكوارث قام بهـا سلاح الجو و البر والبحر الصهيوني ضد المدنيين في غـزة مما اضطره إلى أن يسطّر بعـض الحقيقـة فـي تقريـره ، بعـد أن أرسـلته منظمـة حقـوق الإنسـان التابعـة للأمـم المتحدة إلى غزة بعد أن دمرتها آلة الحرب الصهيونية في الحرب الأخيرة على غـزة ... إلا أن أمريكـا وقفـت وبكـل قوة ضد هذا التقرير.

هذه هي أمريكا الماضي والحاضـر والمسـتقبل فهـي وإسرائيل وجهان لعملة واحدة هي الإمبريالية الجديـدة أو الإستعمار الجديد الذي يهدف إلى إضـعاف وإذلال العـالم

العربـي، فالسياسـة الأمريكيـة سياسـة صـهيونية بكـل المقاييس كما يراها روجية جـاردوي، وإسـرائيل وبـالرغم مـن توقعيهـا لمعاهـدات صـلح مـن بعـض الـدول العربيـة وخاصـة مصـر فإنهـا لاتخفـى خططهـا الإسـتراتيجية فـي تـدمير الـدول العربيـة ولنقـرأ بعـض ماجـاء فـي المجلـة الإسرائيلية كيفمونيم أو إتجاهـات: والتقريـر موجـود فـي كتاب المفكر الفرنسي روجيـة جـارودي "حفـاروا القبـور ص 2- دار الشروق" وعنوان التقرير كمـا ذكرتـه المجلـة الإسرائيلية هو "خطط إسرائيل الإستراتيجية" والذي جـاء فيه: لقد غدت مصـر بإعتبارهـا كيانـا مركزيـا مجـرد جثـة هامـدة، لاسـيما إذا أخـذنا فـي الإعتبـار المواجهـات الـتي تزداد حدة بين المسلمين والمسيحيين ، ويجـب أن يكـون هدفنا السياسـي هـو تقسـيم مصـر إلـى دويلات منفصـلة وبمجرد أن تتفكك أوصـال مصـر فسـوف تتفكـك بالمثـل بلدان آخرى مثل السودان وليبيا، إن تكـوين دولـة قبطيـة فى صعيد مصر بالإضافة إلى كيانات أصغر سـيفتح البـاب لتطـور تـاريخي ... هـذا علـى الجبهـة الغربيـة. أمـا علـى الجبهة الشرقية فهو تقسيم لبنان إلى 5 دويلات (سـنية ، شيعية ، درزية ، مارونية ، مسيحية).

لقد كان الكيان الصهيوني قبل كـامب ديفيـد يرتعـش رغم ترسانته العسـكرية، أمـا وقـد رأى الأسـود تتسـاقط كأوراق الخريـف فلـم يعـد يخشـى أحـداً مـن العـرب. إن أمريكا تضغط وبكل قوة لإقناع العرب أن إسـرائيل دولـة شرعية غير مخالفة للقانون الـدولي وأنهـا تريـد السـلام، كما تريد أن تقنع الجميع بأن من لا يعترف بدولة إسـرائيل ولا تربطـه علاقـات تطـبيع معهـا فهـو إرهـابي ومتطـرف ومجرم.

إن العـرب المعـترفين بشـرعية الكيـان الصـهيوني والمطبعين معه هم عرب كامب ديفيد، الذين فقدوا الثقة في أنفسهم وحقـوقهم ، فأصـبحوا مـوتى الأحيـاء حيـاتهم

كالموت أمام الأعداء، أما الكثير من الشعوب العربية فهم عرب روح أكتوبر، التي ظهرت في الثورات العربيـة الـتي أظهرت الشعوب العربية للعالم أجمـع أنهـا تملـك إرادتهـا وحريتها وستتعامل مع الكيـان الصـهيوني المحتـل للأرض كتعامله مع أي غاصب يجب إقتلاعـه، وهـذا مـا نـراه مـن مظاهرات حاشدة أمام سفارات الكيان ترفضـه وترفـض وجـــــــــوده علـــــــــى الأرض العربيـــــــــة. (http://www.wata.cc/forums/showthread.php?t=83217)

حقيقة التطبيع مع اليهود

يشمل التطبيع كـل إتفـاق رسـمي أو غيـر رسـمي أو تبادل تجاري أو ثقافي أو تعاون إقتصادي مـع إسـرائيليين رسميين أو غير رسميين، ويهدف إلى إعادة صياغة العقل والوعي العربي والإسلامي بحيث يتم تجريده من عقيـدته وتاريخه، وبذلك يتضح أن المقصود بالتطبيع هو سلام دائم وليـس عبـارة عـن هدنـة مؤقتـة ومسـالمة يركـن إليهـا المسلمون لضعفهم في زمن معين - كما يعتقد بعض مـن يقولون بجواز التطبيع - باعتبار أنهِ صُلحٌ أو سِـلمٌ جنـح لـه العـدو، ولا يخفـى أن هنـاك فرقـاً شاسـعاً بيـن إتفاقيـات التطبيع وبين أحكام الهدنة والصـلح الـتي ذكرهـا العلمـاء، وأهون ما يمكن أن يقال عـن هـذه الإتفاقيـات أنهـا صـلح دائم مع عدو محتل لأرض المسلمين غاصـب لمقدسـاتهم وهذا محرم بإتفاق المسلمين.

وقد قال جمع من علماء المسلمين أن الصلح الـدائم مع اليهود لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار الغاصـب علـى الإسـتمرار فـي غصـبه والإعـتراف بحقـه فيمـا أغتصـبه وتمكيـن المعتـدي مـن البقـاء علـى عـدوانه، وقـد أكـدت الفتوى الصادرة من رابطـة علمـاء فلسـطين عـدم جـواز التطـبيع مـع دولـة الإحتلال الصـهيوني، موضـحة أنـه "إذا استوطن أحد من الأعـداء أرض المسـلمين، فلا يجـوز أن

يقـره علـى هـذا الإسـتيطان أحـد مـن المسـلمين، وأن التطبيع بمثابة إقرار من المسـلم المطبـع لعـدوان العـدو واحتلاله"، وجاء في فتـوى الرابطـة أن "الـواجب الـديني علـى كـل مسـلم نصـرة إخـوانه ومعـاونتهم علـى إخـراج الأعداء من أرضهم، وعدم التطـبيع مـع الأعـداء أبـداً؛ لأن التطبيع مع الغاصب خذلان لأصحاب الحقـوق وضـرر بـالغ بهم، فأين التعاون بين المسـلمين علـى الأعـداء إذا طبـع المسلم مع عدو أخيه ومغتصب أرضه وقاتل بنيه" - موقع حركــة الجهــاد الإســلامي فــي فلســطين علــى شــبكة الإنترنت).

ولعلنا نتأمل أقوال بعـض زعمـاء الصـهاينة ونظرتهـم إلى العلاقة التي يرغبون بإقامتها مع المسلمين:

يقول اليهودي هركـابي (الأب الروحـي لرابيـن): لابـد من إدمـاج العـرب فـي المشـروع الصـهيوني وتـوظيفهم لخدمته، وهذا ممكن من خلال التعامل السياسي (وليــس العسـكري) مـع العـرب؛ لأنهـم قـوم لا يتحلـون بالمثـابرة والصبر والدأب وسرعان مـا يـدب فيهـم الملـل والضـجر والإختلاف، ويسلمون أمورهم حـتى لأعـدائهم فـي سـبيل الغلبة في معاركهم وخلافاتهم الداخلية - كتاب (لا للتطبيع د. عبدالله النفيسي).

ويقول شيمون بيريز: إن البقاء مسـتحيل لـدينين لـن يلتقيا ولن يتصالحا، وأنه لا يمكـن أن يتحقـق السـلام فـي المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سـيفه ولـن نطمئن علـى مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد.

وفي مؤتمر التسامح الذي عقد قبل عدة سنوات في المغـرب العربـي قـال ديفيـد ليفـي وزيـر خارجيـة العـدو حينها: إنه من أجل أن يقـوم التسـامح بيننـا وبيـن العـرب والمسلمين، فلا بد من استئصال جذور الإرهاب , وإن من جذور الإرهاب سورة البقرة من القرآن.

وسائل التطبيع

من أخطر وسائل التطبيع، التطبيع الثقافي ومن أهم ما يرتكز عليه:

- الاهتمام بعينة من الكتاب والصحفيين والأكاديميين، وفتح المنابر لهم، وتوفير فرص تدفعهم إلى مناصب سياسية واجتماعية متقدمة حتى وإن كانت مؤهلاتهم الحقيقية متواضعة وضعيفة، أو من خلال جمعيات أهلية عربية تدعم مشروع التسوية، وتدفع باتجاه التطبيع كجمعية بذور السلام غير الحكومية التي تأسست عام 1993م، إثر إتفاق أوسلو بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني
- إيجاد أنصار للتطبيع مع دعمهم وإبرازهم من خلال المنظمات الممولة أمريكياً وأوروبياً تحت لافتات متعددة ومتنوعة مثل منظمات الدفاع عن حقوق المرأة ومنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان داخل المجتمع العربي ليقوموا بالأدوار التالية:
- الطعن في الإسلام وادعاء عدم صلاحية الشريعة للتطبيق، وضرورة علمنة المجتمعات العربية والإسلامية وتبديل أحكام الشريعة ومحاصرة دعاة الإسلام واتهامهم بالتطرف والإرهاب والظلامية...الخ.
- القول إن النص القرآني يجوز التعامل معه كنص تاريخي أو الهجوم على كل تفسير صحيح للإسلام وبشكل خاص الآيات القرآنية التي تتعلق بالجهاد أو بالمواريث أو غيرها.
- الدعوة إلى كل ما يثير الاضطراب داخل المجتمعات الإسلامية والعربية بإثارة المسائل العرقية والطائفية والأقليات، وإبراز الحضارات السابقة للإسلام كالفرعونية والفينيقية ونحو ذلك.

- الترويج لما يسمى بثقافة السلام، الذي وجد طريقه إلى العديد من الكتابات والأفكار التي طرحت في العديد من المؤتمرات والملتقيات الدولية والعربية العامة، وكذلك الندوات والحوارات عبر القنوات الفضائية، والتي تدعو إلى نسيان التاريخ – تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي – وإلغاء ذاكرة الأمة.
- التهوين من فتاوى العلماء حتى علماء المؤسسات الرسمية خاصة السنية، للتقليل من أهمية المرجعية العلمية في معظم البلاد العربية والإسلامية، فترى اليوم كثيراً من الدول العربية والإسلامية تفتقد المرجعية العلمية، بينما تنمى المرجعية العلمية المتميعة والمبتدعة.
- ممارسة ضغوط على الدول التي لا تتجاوب مع التطبيع بالسرعة المطلوبة فقد حث أعضاء الكونجرس الأمريكي إدارة الرئيس جورج بوش على رفض التوقيع على إتفاق يسمح للسعودية بالإنضمام إلى منظمة التجارة العالمية حتى تنسحب من المقاطعة العربية لإسرائيل وأكدوا أنه يتعين على الولايات المتحدة الإصرار على تحقيق تقدم في أربعة ميادين رئيسية قبل تقديم مساعدتها للرياض للإنضمام إلى منظمة التجارة العالمية، ووضعوا على رأس هذه الميادين إنهاء المقاطعة السعودية للكيان الصهيوني.
- تشويه صورة الجهاد والمجاهدين المقاومين للإحتلال في نفوس الشعوب المسلمة والسعي لإيقاف الدعم عنهم ووصفهم بالإرهاب.
- استخدام طوائف من عرب أراضي ثمانية وأربعين الذين هم داخل الخط الأخضر للترويج للتطبيع كما هي خطة (عزمي بشارة) التي عرضها على الكنيست الإسرائيلي والتي قدمها كمشروع لدولة المواطنين

والـتي يـدعو فيهـا إلـى المسـاواة بيـن الفلسـطينيين والصهاينة وهـو لا يعنـي سـوى إضـفاء شـرعية نهائيـة علـى إغتصـاب فلسـطين بشـرط الإعـتراف بحقـوق الفلسطيني في المواطنة.

فالمقصود من كل هـذه الوسـائل إيجـاد تيـار عريـض يقوم أفراده بدور الطابور الخامس القـابع خلـف خطـوط الدفاع في الأمة، حيث أنهم يضـربون فـي صـميم عقيـدة الأمة وملامح هويتها علـى كـل الأصـعدة، لجعـل الإنسـان العربي المسـلم مجـرد إنسـان بلا هويـة، يسـهل تشـكيل عقله على هوى المحتـل، وقـد كـان تمويـل أمثـال هـؤلاء يجري في مصر وفق أنماط من الرسمية أو وفـق حـالات مقننة، حيث كانت الأموال تصل إليهم عبر وزارة الشـئون الإجتماعيـة وخصـماً مـن المعونـة الأمريكيـة المقدمـة للحكومة المصرية، إلى أن تطور الأمر بعد احتلال العـراق وأخذ مـدى أبعـد حيـث أصـبحت السـفارة الأمريكيـة فـي القاهرة هي التي تتـولى مباشـرة عمليـة تسـليم الأمـوال في الإحتفالات التي تـدعى إليهـا مختلـف أجهـزة الإعلام، ليجري توزيع ما يزيد على 40 مليون دولار سنوياً.

آثار التطبيع

على الجانب السياسي

تم عزل مصر عن محيطها العربي فلم يكـن لهـا دور في أحـداث عظـام وقعـت بعـد توقيعهـا لمعاهـدة كـامب ديفيـد كتـدمير المفاعـل النـووي العراقـي وقمـع اليهـود للمقاومة الفلسطينية واللبنانية بشراسة ودعمهم لإثيوبيـا ولحركة التمرد في جنوب السودان وغيرها من الأحداث.

أما علـى الصـعيد الـداخلي فقـد كشـفت المخـابرات المصرية عدداً من شبكات التجسّس الإسـرائيلية، أغلبهـا على صلة مباشرة بسفارة "إسرائيل" منهـا -علـى سـبيل

المثال- الشبكة التي كانت برئاسة المستشـار العسـكري الإسرائيلي بالسفارة، والتي كشفت في أوائل أغسـطس 1985م، وكانت تضم عدداً من أعضاء البعثة الدبلوماسية الإســرائيلية وبعــض البــاحثين "بــالمركز الأكــاديمي الإسرائيلي"، وأمريكيين يعملان بهيئة المعونـة الأمريكيـة، وسـويدياً يعمـل وسـيطاً فـي صـفقات الأسـلحة، وثلاثـة مصريين، وكانت هذه الشـبكة تسـتخدم محطـة لاسـلكية متطورة داخـل سـفارة العـدو، لتبليـغ رسـالة يوميـة عـن أحـوال مصـر، بينمـا يتـم نقـل التقـارير والأفلام والصـور والخرائط إلى الكيان الصهيوني عبر الحقيبة الدبلوماسية، وكـذلك قـام ضـباط "الموسـاد" بالسـفارة الإسـرائيلية بالقـاهرة، بتجنيـد عـدد مـن الطلاب عـن طريـق بعـض أقاربهم العاملين بالسفارة، وتشجيعهم على السـفر إلـى إسرائيل، حصـل مقابلهـا أقـاربهم علـى مكافـآت مجزيـة نظير تجنيدهم.

وهناك قضية الإسرائيليين الأربعة الذين كانوا يحملون جوازات سفر إنجليزية مزوّرة، وتم ضبطهم عند خروجهم من إحدى نقاط المراقبة الخاصة بقوة حفظ السـلام فـي جنوب سيناء، وبحوزتهم حقيبة تضم 7 وثائق شفرية و 19 شريطاً ميكرو فيلماً للمنشآت المصرية في سيناء ونُظـم تسليحها.(المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الانترنت يوم 30 مايو 2005م).

على الجانب الثقافي

نشر المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الانترنت يـوم 30 مـايو 2005م، بحثـاً بعنـوان مراكـز الأبحـاث والمؤسسات العاملـة فـي خدمـة التطـبيع والإسـتراتيجية الصهيونية، وهذه مقاطع من البحث:

ضمن الإطار التطبيعي أقيمت في مصر ستّ وثلاثون مؤسّسة علمية أمريكية، وثقافية "إسرائيلية"، مثّلت وتمثّل مظلّة رسميّة لإختراق الشخصية العربية، والتجسّس على قطاعات المجتمع كافّة، ومن ذلك -مثلاً- النشاط الذي يقوم به "مركز البحوث السياسية" في كلية الاقتصاد جامعة القاهرة، الذي يجري كثيراً من الأبحاث بتمويل من "مؤسّسة فورد"، وكذلك نشاط "مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأهرام"، و"معهد التخطيط القومي" وغيرها من المؤسّسات العلمية، وبغية اختراق العقل العربي وعناصر المجتمع العربي أُنشئ في مصر عام 1982م "المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة"، الذي لعب ويلعب دوراً خطيراً في مجال التمهيد للتطبيع، ونظراً لكونه الأخطر في ميدان إستراتيجية العدو على الأصعدة الأمنية والثقافية والعلمية، فقد توالى على إدارته عدد من أبرز المتخصصين في الدراسات الشرقية والعربية، الذين يرتبطون بعلاقات عضويّة مع أجهزة المخابرات الإسرائيلية، ومع مراكز التخطيط الإستراتيجي في الكيان الصهيوني حيث ركّز المركز جهوده خلال مدة ماضية للحصول على معلومات عن طلبة كليات العلوم والهندسة في جامعات مصر، لمعرفة آخر ما توصل إليه الطلبة النابغون من اختراعات جديدة، فاختير عشرة اختراعات وضعها "مدير المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة" تحت المجهر، ووجّه بشأنها رسالة إلى السفير الإسرائيلي بالقاهرة كتب فيها: بناء على تعليماتكم بإحضار ملفّات كاملة عن آخر اختراعات الشباب المصريين أرسلنا لكم عشرة ملفات عن اختراعات في مجال الزراعة وتحلية المياه والبلاستيك والكمبيوتر وإطارات العربات، ونودّ أن ننبهكم أنّ معظم هذه الاختراعات قمنا بتجربتها وفحصها جيداً، وهي تعد من أحدث ما توصل إليه العلم، فأرسل السفير الإسرائيلي

بالموافقة على شراء أربعة اختراعات وبأسرع وقت، أحدها جهاز لتحلية مياه البحر لطالب في كلية الهندسة، و الثاني جهاز لإنتاج سماد يعيد خصوبة الأرض، ويحول الأرض المالحة إلى أرض صالحة للزراعة، لطالب في كلية الزراعة، وهو الوحيد الذي قابل السفير الإسرائيلي في اليوم التالي ليعرض إختراعه، فعرض عليه السفر، وتجربة الإختراع ذاته بطريقة عملية، شاملة تكاليف الإقامة ومكافأة لكل يوم يقضيه في الكيان الصهيوني، إضافة إلى حق شراء الاختراع نفسه ومدة الإقامة ثلاث سنوات، وسافر بالفعل بعدما وضع ثمن الإختراع في البنك الأمريكي المصري.

والمؤسّسات والهيئات الأمريكية، التي تمثّل بؤراً تطبيعية في جسد المجتمع المصري لا حصر لها، أكثرها شهرة وخطراً هي:

- الجامعة الأمريكية في القاهرة.
- المركز الثقافي الأمريكي في مصر.
- مؤسسة فورد: يرى باحثون منصفون أنها من أخطر مؤسسات التغريب العالمي الأمريكية، وقد انفردت بتمويل أبحاث ودراسات الشرق الأوسط وعبر هذه المؤسسة تقوم وكالة التنمية الأمريكية (aid) بتخصيص حوالي مائة مليون دولار سنوياً لمركز البحث العلمي والجامعات المصرية منذ نهاية السبعينات وحتى اليوم.
- مؤسّسة راند الأمريكية، وهي مؤسسة دراسات وأبحاث تقدم توصياتها للحكومة الأمريكية.
- معهد ماساشوستس وفروعه في القاهرة ومعهد "إم-إي-تي" في مبنى جامعة القاهرة.
- الأكاديمية الدولية لبحوث السلام.

- مشروع ترابط الجامعات المصرية الأمريكية ومقره المجلس الأعلى للجامعات في القاهرة. (تبلغ ميزانيته السنوية 27 مليون دولار تقدّمها المخابرات الأمريكية).
- مركز البحوث الأمريكي بالقاهرة، ويتركّز نشاطه في مجال الدراسات الإجتماعية، إلى جانب البحوث الإقتصادية والتاريخية والأثرية.. ويحظى بعضويته الشرفية "الزمالة" عدد من الأساتذة المصريين ومزدوجي الجنسية أمريكي/ مصري، وأمريكي/إسرائيلي، كما ينشط في مجال البحوث المشتركة والمموّلة، وفيما يلي بعض عناوين البحوث والدراسات التي أجراها هذا المركز:

بحث فاليري هوفمان: "الحياة الدينية للمرأة المسلمة في مصر المعاصرة".

دراسة ليوناردو بايندر حول "حرية الفكر الإسلامي في مصر المعاصرة".

دراسة آرثر كريس عن: "الجهاد الإسلامي والإتجاهات الفكرية المختلفة".

ومنذ منتصف الثمانينات كثّف "مركز البحوث الأمريكي" نشاطه في مجال التطبيع والتجسّس العلمي على المجتمع المصري وتمثّل ذلك في عشرات الأبحاث المموّلة ومنها: دراسة عن العادات والتقاليد المتوارثة للأسرة المصرية، الموالد الشعبية المصرية، تقصي ظاهرة التطرف في الحياة المصرية الحديثة، الإسلام والثورة... إلخ.

- هيئة المعونة الأمريكية: استطاعت تمويل مشروع بحثي، أنجز بالتعاون بين عدد من الجامعات الأمريكية، والجامعات المصرية، شمل أكثر من 500 دراسة

بحثية برصيد 60 مليون دولار، وتناولت كل شيء في مصر من الصناعات الإستراتيجية، مثل: صناعة الحديد، والصلب، مروراً بمناهج التعليم والتربية وموقع الدين فيها، وإنتهاء بسياسة مصر الخارجية تجاه إسرائيل، والتطبيع معها، وقد اشترك في هذا المشروع أكثر من 2007 من الباحثين المصريين، وأكثر من 500 أمريكي، وقد كُتبت جميع هذه الدراسات باللغة الإنجليزية، وحصلت هيئة المعونة الأمريكية على نسخ منها، وعلى جميع المعطيات والأرقام والإستنتاجات التي توصل إليها الباحثون إلى الحدّ الذي دفع بعض الباحثين المصريين إلى القول: إن كمية المعلومات التي حصلت عليها هذه المؤسّسات تفوق ما تعرفه القيادة السياسية، وتفوق ما يعرفه علماؤنا، وقد أوردت صحيفة السياسي القاهرية في عددها 25/5/1993م تحت عنوان بارز "اليهود والأمريكان... هل اندسوا في تطوير مناهجنا الدراسية؟". بعض المعلومات البالغة الدلالة إذ نشرت الفقرات المحذوفة من المناهج، مشيرة إلى أن العملية التطويرية للمناهج التعليمية المصرية قام بها 29 أستاذاً ومستشاراً أمريكياً، بينهم عدد كبير من اليهود بتمويل من المعونة الأمريكية لمصر، وبينت الصحيفة أيضا: أن وزارة التعليم المصرية ألغت كتاب "صور من تاريخ مصر الإسلامية" للصف الخامس الابتدائي، وقررت بدلاً عنه كتاب "تاريخ الفراعنة"؛ بغية غرس محبة الحضارة الفرعونية عوضاً عن الحضارة العربية الإسلامية، كما ألغي كتاب "الدولة الإسلامية العربية وحضارتها" للصف الثاني الثانوي، وتقرر عوضاً عنه كتاب "تاريخ أوروبا في القرون الوسطى" مع تحريف كتب التاريخ العربي، وتاريخ الحضارة الإسلامية.

على الجانب الإجتماعي

- ازدياد أعداد المصابين بمرض السرطان بسبب الكـثير مما يتم استيراده من الكيان الصهيوني.
- إنتشار المخدرات بشكل كبير بين فئات المجتمع كلها.
- السماح بدخول اليهوديات بأعداد كبيرة بزعـم تنشـيط السياحة فقمن بنشر الأمراض واقـترنت الكـثير منهـن بشـباب مصـريين حـتى بلـغ عـدد الزيجـات أكـثر مـن عشرين ألفا زواجاً مختلطاً.
- ظهـور جماعـات منحرفـة مـن الشـباب تحمـل عقـائد باطلة كمن يتسمون بعبدة الشيطان.

على الجانب الإقتصادي

يعد هذا الجانب من أبرز الجوانب التي يحـرص عليهـا اليهود لأهميته، وقد وقعوا مع مصر علـى معاهـدة الكـويز في 12/2004 م، لإقامة المناطق الصـناعية (فـي طـور التأهيل) ، وهذه المعاهدة هي تطبيق للقسم التاسـع مـن معاهـدة التجـارة الحـرة بيـن أمريكـا والكيـان الصـهيوني المبرمة عام 1985 م، وهي ليست معاهدة مستقلة بيـن حكومـتين مـن الناحيـة الفعليـة فقـد وافـق الكـونجرس الأمريكي على إعطاء الرئيـس الأمريكـي الإذن بالسـماح لمصـر والأردن بتصـدير منتجاتهمـا إلـى أمريكـا دون دفـع رسوم جمركيـة بشـرط احتوائهـا علـى مكـون إسـرائيلي بنسبة 11,7% كحد أدنـى، وهـي تشـمل كـل الصـناعات والسلع، وقد تم في مصر استبعاد أهم المناطق الصناعية التي تنتج الملابس الجاهزة كمدينة المحلة الكـبرى (قلعـة النسيج في مصر) ومدينة 6 أكتوبر والتي يوجد فيها أكـثر من 200 مصنع وغيرها من الأماكن فلا تشملها المعاهدة، ويتضح من هـذا الإسـتبعاد مراعـاة مصـالح خاصـة لبعـض رجال الأعمال.

ومعاهـدة الكـويز تنـاقض معاهـدة التجـارة الدوليـة (الجات) والـتي تؤكـد علـى عـدم وضـع شـروط تفصـيلية لبعـض الـدول دون البعـض الآخـر، وكـذلك هـي مخالفـة للقـانون والدسـتور المصـري لأنهـا حفظـت فـي مجلـس الشعب دون عرضها للنقاش، بل لم تنشر إلى الآن؟

ومن أبرز الآثار السلبية لهذه المعاهدة أنها لـم تحـدد الحــد الأقصــى للمكونــات الإســرائيلية الداخلــة فــي المنتجـات، وهـي ستسـاهم فـي زيـادة الكسـاد للمصـانع المصرية وستمكن اليهود من اختراق منظومة المعلومات الخاصة بالصناعة المصرية وستدخل غالب الأرباح الناتجة منهـا للخزينــة اليهوديــة وستتسـبب فــي هــروب رؤوس الأمـوال العربيـة وستقضـي علـى حلـم السـوق العربيـة المشتركة، وكذلك فإنها ستمكن بقية الـدول العربيـة مـن إظهار التطبيع بعد أن كانت تستخفي به، وما سـيتبع ذلـك من إنسـحاب الـدول المنضـمة إلـى معاهـدة الكـويز مـن معاهدة المقاطعة العربية للكيان الصهيوني، مثلما فعلـت الأردن التي أعلنت إنسحابها بعـد التوقيـع علـى المعاهـدة نفسها قبل مصر.

وكــذلك نقــل موقــع مفكــرة الإســلام علــى شــبكة الانترنت الخبر التالي: كشف موقـع صـهيوني أن الرئيـس المصري حسني مبارك أبلـغ شـيمون بيريـز نـائب رئيـس الحكومة الإسرائيلية بموافقته على إقامة منطقة زراعيــة مشتركة على الحدود المصـرية- الصـهيونية، وذكـر موقـع القناة السابعة العـبري الإخبـاري أن بيريـز أجـرى اتصـالاً هاتفيـاً برئيـس مجلـس مدينـة رامـات هنـاجف بصـحراء النقــب وأبلغــه موافقــة الرئيــس مبــارك علــى مشــروع مشترك لتطوير المنطقة الحدودية بيـن مصـر و إسـرائيل وإقامة مشروع زراعي على مسـتوى عـالٍ ينـدرج ضـمن مشاريع التعاون الإقليمي المشتركة، وقالً موشيه برائيل مراسـل الموقـع: إن الرئيـس مبـارك وافـق كـذلك علـى

مشروع تقدم به مجلس مدينة رامات هناجف يقضي بإقامة معبر سياحي لاستقبال السائحين بالقرب من معبر نيتساناه الحدودي بين مصر وإسرائيل.

وأخيراً لا يخفى ما يعيشه الناس في مصر من أزمات اقتصادية خانقة متتالية وصل فيها معدل البطالة إلى 10,5 % والدين الخارجي إلى أكثر من 34 مليار دولار وبلغ الدين الداخلي ما يزيد على 800 مليار جنيه.

التأثير الأمريكي في السياسة المصرية

تضع الولايات المتحدة الأمريكية مصالح الأمن القومي الأمريكي/ الصهيوني فوق كل إعتبار، وقد رأت بعد الثورة المصرية أن الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل قد خسرتا نظاماً سياسياً في مصر لا يمكن تعويضه ، وخاصة الموقف المصري من الحرب علي الارهاب، وموقف نظام مبارك من حركة حماس، وموقف هذا النظام من المد الثقافي الإسلامي في مصر والمنطقة بوجه عام.

عندما قررت أمريكا شن ما سمته "الحرب علي الإرهاب"، نجحت في جعل مصر أحد الحلفاء الإستراتيجيين لسياسات أمريكا في تلك الحرب المزعومة عن طريق دعم مخطط التوريث و المعونة الأمريكية، حيث دعمت المعارضة المصرية الداخلية المتمثلة في أحزاب المعارضة والخارجية المتمثلة في أقباط المهجر بحيث تشكل عنصر ضغط هام للإدارة الأمريكية.

فكانت تساوم النظام المصري علي مدي الدعم الأمريكي لمشروع التوريث، وظهرت تلك المساومة بوضوح في عدة قضايا أبرزها الموقف المصري من حركة حماس والموقف المصري الأمني من التيارات

الإسلامية وتحديداً حركة الإخوان المسلمين. علي الجانب الآخـر كـانت الولايـات المتحـدة تسـتخدم ورقـة المعونـة الإقتصــادية للضــغط علــي النظــام السياســي لتمريــر سياســات لخدمــة المصــالح الأمريكيــة فــي المنطقــة ، وتحديداً فإن هذا الضغط ظل يمـارس علـي النظـام مـن حيـث حجـم الجـزء العسـكري مـن تلـك المعونـة، لإدراك السياســة الأمريكيــة لأهميــة الجيــش بالنســبة للنظــام السابق.

بقيام ثورة 25 ينـاير، والقضـاء علـي أركـان النظـام المصـري فـإن التـأثير السياسـي الـذي كـانت تتمتـع بـه الولايات المتحدة في مصر ضـعف بشـكل غيـر مسـبوق، فالبلد يتجه الآن لصـياغة دسـتور يضـمن تـداول السـلطة ويقلص من صـلاحيات الرئيـس، بحيـث تعكـس القـرارات السياسية توجهات الرأي العـام فـي مصـر بعـد أن كـانت تعكس رأي مبارك وأمنه ومخـابراته. أصـبحت المسـاومة علي دعم المعارضة المصـرية غيـر مجديـة علـي الإطلاق في دولة تمارس التعدديـة الحزبيـة بشـكل حقيقـي ويقـر دستورها بقدر عالي من حريـة التعـبير وحريـة الممارسـة السياسية.

يبقي لدوائر صناعة القرار الأمريكية عنصران للتــأثير فقط في السياسة المصرية فـي مرحلـة مـا بعـد الثـورة، هما العنصر الإعلامي والثقافي، فالولايات المتحدة تــدرك تماماً وجود طبقة من المثقفيـن الفـاعلين فـي السياسـة المصـرية أعضـاؤها متـأثرون تمامـاً بمفـردات الحضـارة الأمريكيــة ، ومنعزلــون تمامــاً عــن البعــدين العربــي والإسلامي لمصر.

هذه الطبقة ليست جديدة في المجتمع المصـري بـل تعـود جـذورها إلـي أكـثر مـن مـائتي عـام، ويرمـز إليهـا التيارات العلمانية بإختلاف أطيافها التي يجمعها عنصــران

مشـتركان هـو الرفـض الكامـل لكـل أشـكال الممارسـة السياسية الإسلامية، والمطالبة بفصل الإسلام عن الحياة العامـة بشـكل كامـل، وأيضـاً فـإن الأمريكييـن يـرون أن الأغلبيـة السـاحقة مـن الشـعب المصـري لـم يصـل بعـد لمرحلة النضوج السياسي والفكري، وبالتـالي فهـي تـرى أنه لا يزال من الممكن التأثير علي الرأي العام لدفعه في الإتجاهــات الــتي تخــدم إســتعادة التــأثير السياســي والإقتصادي علي صناع القرار في مصر، ومـن هنـا يتضـح دور الإعلام المدعوم أمريكياً في التأثير علي الرأي العـام المصري.

العنصـر الإعلامـي فـي التـأثير السياسـي الأمريكـي داخل مصر يتركز في:

- القنوات الفضائية المملوكة للعديد من رموز العلمانية، والمرتبطيــن مــع الــدوائر الإســتخباراتية الأمريكيــة وملحقاتهــا مــن منظمــات أقبــاط المهجــر، ويــري الأمريكيون أن هذه القنوات لها تأثير كـبير فـي قطـاع الشباب الجامعي بما تقـدمه مـن لغـة مواكبـة لثقافـة الشباب في بلـد اتسـعت الفجـوة فيـه بيـن المثقفيـن الإسلاميين وعامة الشعب.
- العديـد مـن السياسـيين البـارزين والمحسـوبين علـي ثورة 25 يناير مـن حيـث التأييـد والـدعم والمشـاركة للبعـض منهـم، وهـؤلاء السياسـيين الآن يشـنون عـدة حملات إعلامية، بمساعدة عدد من رمـوز الإعلام فـي النظـام السـابق، ضـد التيـارات الإسـلامية المختلفـة بهدف إضعافها وإضعاف تأثيرها في الشـارع المصـري لضمان عـدم وصـول أي تيـار سياسـي مـؤمن بعدالـة القضية الفلسطينية إلـي الحكـم وصـناعة القـرار فـي مصر.

الدستور المصري الجديد بما سيحمله من مواد تضمن تداول السلطة في مصر يطرح تحديات غير مسبوقة علي دوائر التخطيط ودعم إتخاذ القرار في أمريكا، فلا يبقي أمام تلك الدوائر الآن سوي محاولة التدخل في صنع المستقبل السياسي في مصر من خلال عنصري الإعلام والثقافة لتوجيه الرأي العام لتخطي أكثر الإحتمالات تشاؤماً للأمريكان وهو وصول الإسلاميين لقمة الهرم السياسي.

وقد رأينا حملة التشويه التي قام بها الإعلام العلماني ضد التيار السلفي بمصر واتهامهم بتهم ملفقة لم يصدقها الشعب المصري بأطيافه المختلفة، مما أدي إلي اتساع القاعدة الشعبية للمتعاطفين مع التيار السلفي وفقدان القائمين على تلك الحملة لمصداقيتهم المهنية.

ليس أمام الولايات المتحدة سوى الإنتظار، ليس أمامها الآن إلا إحترام رغبات الشعوب التي استطاعت أن تثبت للعالم أنها شعوب تبحث عن الحرية التي فقدتها منذ بدأ التدخل الأمريكي في المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، ليس أمامها إلا الإنتظار لما سوف تقرره مصر أم الدنيا.

مصر والمنظمات الدولية

بنك وصندوق النقد الدولي

النظام الإقتصادي في مصر منذ انقلاب يوليو عام 1952 وحتى الآن هو صناعة غربية أمريكية بإدراة صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، وهيئة المعونة الأمريكية ومنظمة التجارة العالمية، ونتيجة لسياسات هذه المنظمات والتي فرضتها علينا نجد الآتي:

- 160 ألف رجل أعمال يملكون 40% من ثروة مصر وفقًا لتقرير التنمية البشرية لعام 2007م.
- يعيش أكثر من 36 مليون مصري بأقل من 360 جنيهًا في الشهر.
- يحصل أصحاب رءوس الأموال على 70% من الناتج المحلي الإجمالي مقابل 30% للعاملين.
- بلغ عدد العاطلين حوالي 2,5 مليون مواطن وفقًا للتقديرات الرسمية، في حين يقدرها بعض الخبراء بـ 8 ملايين عاطل.
- تضاءلت القوة الشرائية للجنيه المصري أربع مرات منذ عام 1980م حين كان الدولار يساوي 1,43 جنيه، إلى أن أصبح يساوي الآن 6 جنيهات.
- تضاعفت ديوننا الخارجية 11 مرة من 1,7 مليار دولار عام 1970 إلى 19,1مليار دولار عام 1980م، ثم قفزت مرة أخرى إلى 34,7 مليار دولار عام 2010م، بالإضافة إلى الديون الداخلية التي بلغت 888 مليار جنيه حتى عام 2010م ليصبح مجمل الدين العام الحالي 1080 مليار جنيه، ويمثل 89,5% من الناتج المحلي الإجمالي.
- نسبة استفادة مصر من القروض الخارجية لم تتعدَّ 50% تقريبًا، والتي ابتلعت مرتبات الخبراء الأجانب 25% منها، كما تم إهدار جزء كبير منها بسبب فساد وأخطاء الإدارة الحكومية وفقًا لتقارير الجهاز المركزي للمحاسبات .

ولذا يجب أن لا نكبل مصر بمزيد من القروض، فهناك كثير من البدائل:

- محاولة استرداد المليارات التي تم تهريبها خارج مصر عن طريق رجال النظام السابق وأعوانه.

- استرداد أراضي الدولة التي تم الإستيلاء عليها، وإعادة طرحها للبيع بسعرها الحقيقي.
- إعادة تشغيل مصانع القطاع العـام الـتي تـوقفت عـن العمل لصالح رجال أعمال النظام.
- التنمية الزراعية التي أصـبحت أهـم البنـود الـتي يجـب على الحكومة أن توليها اهتمامهـا وخاصـة أن اسـتيراد المواد الغذائية يكلف اقتصاد مصر الكثير، كمـا يكلفهـا الكثير من إرادتها السياسية.
- مراقبة قطاعات كثيرة لا يتم إدراجها بشكل علني فـي اقتصاديات مصر، مثل دخـل قنـاة السـويس، البـترول والثروة المعدنية ومناجم الذهب وغيرها.
- تشجيع السياحة الداخلية والعربية والتي تعتـبر مصـدرا هاما من مصادر الدخل.
- تشجيع الصناعات الصغيرة والمتوسطة بتقديم قروض بدون فوائد من فائض أموال المعاشات والبنوك.
- وضع حـد أقصـى للمرتبـات لكـل الوظـائف بمـا فيهـم رئيس الجمهورية والوزراء، فلا يعقل أن يكـون مرتـب وزير مصـري يصـل إلـى 2 مليـون جنيـه شـهريا غيـر العمولات وخلافه، ثم نطلب قروض من البنك الـدولي لدفع تلك المرتبات الخيالية.

هـل نتعلـم الـدرس هـذه المـرة، ونقـرر أن إرادتنـا السياسية الحرة أهم من المال الـذي يأتينـا مـن الغـرب؟ هل آنَ لنا أن نعرف أننا بإرادتنا السياسية الحرة يمكن أن نتدبر شئوننا الإقتصادية والماليـة، وأن الخيبـة كـل الخيبـة في الاعتماد على العدو فـي تمويـل رغيـف الخـبز؟ وهـل سـنغير السـؤال التقليـدي الـذي يصـرُّ علـى التسـول، والقائل: "من أين سنطعم أولادنا؟" إلـى السـؤال: "مـاذا بإمكاننا أن نفعل حتى لا يكون أولادنا تحت رحمة العدو؟.

يقــول راودن صــاحب الكتــاب الــرائج "السياســات المميتــة لليبراليــة الحديثــة"، إن "صــندوق النقــد ليــس مؤسسة تنمية ودودة، بل على العكس فإن إدارتــه تــأتمر بــأمر وزارة الخزانــة الأمريكيــة ووزارات ماليــة الــدول المقرضة الغنية الكبرى، والتي تتعـرض هـي نفسـها أصـلا لضـغوط مـن مؤسسـات صـناعة المصـارف داخـل هـذه الدول من اجل إقراض الآخرين بمكاسب عالية".

وأشار إلـى "أن اولويـات صـندوق النقـد هـي فـرض إصلاحات وتغييرات اقتصادية داخل البلاد المقترضـة تضـع مصلحة المقرضين وأصحاب المـال فـوق أي اعتبـار، فـي حين تضع احتياجات الشعوب من يعيشـون فـي الاقتصـاد الحقيقي لتلك الدول في آخر الأولويات.

وحـذر البـاحث الأمريكـي مـن أن بعـض الاتفاقيـات الدولية والتي تأتي مع القروض تقيد يد الدولة فـي فـرض سياسات تراها مناسـبة، حيـث أن الكـثير مـن الاتفاقيـات الدولية التي تؤيدها الدول الصـناعية الغنيـة تمنـع مثلاً أن تقوم مصر بوضع قيود على حركة رأس المال وتقلل مــن قدرة الدول الناميـة مـن وضـع الحمايـة التجاريـة الكافيـة لصــناعاتها المحليــة الوليــدة وتحظــر حــتى عليهــا وضــع تشريعات وقوانين خاصة تنظم القطاع المالي الداخلي.

المنظمات الحقوقيـة

إليك الخبر الآتي: استعداد الحكومة الفرنسية لتقـديم مختلف صور العـون للجماعـات السياسـية الـتى ظهـرت أثناء الثـورة بشـرط أن تتبنـى أربـع قضـايا أساسـية هـى: علمانيــة الدولــة المصــرية، تأييــد معاهــدة كــامب ديفيــد والدفاع عن السلام مع إسرائيل ومعارضة سياسـة حركـة حمـاس الإرهابيـة، الـدفاع عـن الرئيـس السـابق حسـنى مبارك ورفـض تقـديمه إلـى المحاكمـة، الإصـطفاف إلـى

جـانب التيـارات السياسـية الـتى تتحـالف ضـد جماعـة الإخوان المسلمين لإضعاف أى حضور لها فى المسـتقبل السياسى لمصر.

صفقة، إذا تمسكتم بالعلمانيـة ووقفتـم مـع إسـرائيل وضد حماس والإخوان فنحن مستعدون للـدعم والتمويـل ومساعدة هـذه الديمقراطيـة وذاك الاعتـدال، هـذا شـأن الدعم الأجنبى باستمرار، الجديد فى الأمر أن واحدا تلقى الدعوة ولـم يسـتجب لمطـالبهم وإغراءاتهـم وتكلـم بعـد ذلك، فى حين أن غيـره يسـمعون ويتجـاوبون ويحصـلون على المال الكـثير فـى هـدوء، ولا يتكلمـون، هنـاك غـزوا غربيا لمنظمات المجتمع المدنى فـى جميـع أنحـاء العـالم العربى.

وقد أشرت في كتابي[1] "حقوق الإنسان بين الإسـلام والغـرب" إلـى تلـك المنظمـات الحقوقيـة، ولا مـانع مـن إعادة نشرها هنا للتذكير.

هناك الكثير من المنظمات الحقوقية التي تعمل فـي مجال حقوق الإنسان على المسـتوى المحلـي والإقليمـي والـدولي، وهـدف هـذه المنظمـات تحديـد مـدى التطـور الحادث فـي مجـال حقـوق الإنسـان فـي جميـع البلـدان، وخاصـة فـي مجـال الحقـوق المدنيـة والسياسـية، وأود الإشارة إلى بعض النقاط أو التساؤلات لهـذه المنظمـات لمعرفـة مـا الأهـداف الحقيقيـة وراء تلـك المنظمـات الحقوقية:

- تطالب هذه المنظمات بـدعم مـادي داخلـي وخـارجي من المنظمات الدولية فلمـن يكـون انتمـاء وولاء تلـك المنظمات، لبلادها أم للجهات الدولية المانحة؟.

---

[1] سحر زكي: حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب ص:109-115(1431هـ-2010م)

- تطـــالب هـــذه المنظمـــات بمراقبـــة وتحليـــل أداء الحكومات أمام الأجهزة المعنية بحقوق الإنسان داخل الأمم المتحدة، إذن هي تفرض وصايتها على حكومات دول مستقلة ذات سيادة، فأين حقوق الدول من تلـك الوصاية؟.
- تطالب هـذه المنظمـات بتحديـد كيفيـة تعامـل أجهـزة الحكـم مـع الاحتجاجـات السياسـية والاعتصـامات والإضرابات، فهي بذلك تطالب بـأن تكـون بـديلاً عـن الحكومـات طالمـا أنهـا هـي الـتي ترسـم السياسـات للتعامل مـع الاضـرابات، وهـذه شـئون داخليـة تخـص البلد فلمـاذا يتـم عرضـها علـى الـدول الخارجيـة فـي الأمـم المتحـدة؟ إذا كـانت الشـعوب نفسـها قبـل الحكومات ترفض تلك الوصاية، فبأي حق تتدخل هـذه المنظمات الحقوقية في شـئون البلاد؟ هـل يتـدخلون لحماية أقليـة علـى حسـاب أغلبيـة، فـأين إذن حقـوق الأغلبية؟.
- هذه المنظمات الحقوقية تتهم رؤسـاء الـدول العربيـة والإسـلامية بأنهـا لا تتـوافر لـديها إرادة سياسـية ممـا يجعلهـا تتخـوف عـل مسـتقبل حقـوق الإنسـان فـي المنطقـة وانعاكسـات ذلـك علـى الأمـن الإقليمـي والـدولي، كمـا تتهـم الحكومـات العربيـة بالاسـتهتار بالقانون الدولي، فهل ستقبل الحكومات القادمـة بعـد الثورات العربية بمثل هذا الإتهام من منظمـات قائمـة على أرضها وتأتمر بأوامر جهات خارجية؟.
- هذه المنظمات الحقوقيـة تتحـدث عـن رؤسـاء الـدول العربيـة والإسـلامية بطريقـة غيـر لائقـة تجعلهـم غيـر قادرين على حمايـة أنفسـهم وحمايـة شـعوبهم، وهـذا اتهام للشعوب قبل الحكام، فليس هناك شعباً يحـترم نفسه يقبل بأي حال من الأحوال أن يهان رئيس دولته على مرأى ومسمع من العالم، وكأن هـذه المنظمـات

الحقوقية هي أصلح الجهات في العالم لحماية حق الشعوب.

- هل كل الشعوب العربية والإسلامية لا تستطيع القيام بأمور دولتها فتحتاج إلى حقوقيين يقومون بأداء دور الحكومات ودور الشعوب في آن واحد؟
- هذا العداء الذي تريده المنظمات الحقوقية بين الشعوب وحكوماتها ليس في صالح أحد الطرفين، ولتقوم الشعوب مع حكوماتهم بحل مشكلاتهم الداخلية دون تدخل الآخرين.
- ولماذا يقوم المجتمع الدولي بإصلاح العالم العربي والإسلامي؟ هل سأل الحقوقيون أنفسهم هذا السؤال؟ ولماذا لا يتدخل الحقوقيون لحل مشكلة فلسطين وأفغانستان والعراق؟ الأمم المتحدة منظمة دولية قائمة منذ أكثر من نصف قرن ومع ذلك فالانتهاكات في وجودها لا تعد ولا تحصى فأين وظيفتها التي أنشئت من أجلها، وأين حمايتها للقانون الدولي الذي تتحدث عنه، وأين الحرية والديمقراطية في نظام الفيتو الذي يعطي الحق لأقلية على حساب الأغلبية؟
- ألم يدعم الأمريكان النظام في أفغانستان أثناء الاحتلال السوفيتي؟ ماذا حدث بعد هذا الدعم؟ أظنهم يعرفون الإجابة
- متي كان الدين معادياً لحقوق الإنسان؟
- متى كانت الأقليات غير المسلمة مضطهدة في بلاد المسلمين؟ إنها تعيش بين المسلمين منذ أكثر من ألف عام؟ فلينظر الحقوقيون إلي الأقليات الإسلامية في البلاد الغربية وتقدم لنا تقريراً عما يحدث لها في الغرب؟

- منظمات حقوق الإنسان في تقاريرها ترعى الأقليات بل هي تستخدمهم كوسيلة ضغط على الحكومات العربية والإسلامية، إنهم يتحدثون عن الأغلبية المسلمة في مصر(95%) على أنهم فئة معينة من المواطنين ونسي أنهم هم الأغلبية، هل الديمقراطية هي احترام رغبات الشعوب أم احترام رغبات جمعيات حقوق الإنسان؟ وما هي المعايير التي يتم الاحتكام إليها؟
- تطالب المنظمات الحقوقية بالمشاركة السياسية، والمشاركة في الأحزاب أو النقابات المهنية والعمالية أو المنظمات غير الحكومية، ومراقبة وتقييم الكيفية التي تنفق بها المعونات الدولية الموجهة لحقوق الإنسان والإصلاح السياسي، أظن أن هذه المطالبات توضح تماماً ما تسعى إليه تلك المنظمات، فهي تسعى أن تكون بديلاً عن الحكومات العربية أو على الأقل شريكاً لها.
- إذا كانت تسعى أن تكون فترة رئاسة أي رئيس دولة فترتين كأن ذلك أحد حقوق الإنسان ، وهذا لا يمثل شيئاً للإنسان، فليس كل أفراد الشعب يسعى لأن يكون رئيساً للدولة؟ ما الفرق بين سياسة الرئيس بوش الأب وكلينتون وبوش الإبن وباراك أوباما؟ هل أثر تغيير الرئيس في أمريكا بسياساته في المنطقة؟ فلماذا يثيرون هذه القضية في العالم العربي والإسلامي؟ إنه تدخل لايؤثر من قريب أو بعيد في السياسات إلا إذا كانوا يريدون تعيين الولاة في الدول العربية باعتبارها بعض الولايات المتحدة الأمريكية، قالها يوماً رئيس أمريكا أن عدم الاستقرار في السودان يؤثر في الأمن القومي الأمريكي؟ فهل هناك من يعي تلك السياسات؟

- هل تحدث التقرير عن كيفية القضاء على مشكلة البطالة والفقر والجهل والمرض؟ أم أن هذه المشكلات تُحل بالديمقراطية؟ هل حلت الديمقراطية الغربية المشكلة الإقتصادية والفساد الأخلاقي في المجتمع الغربي؟
- مشاركة النساء السياسية يجب ألا تكون بالتعيين، فأين إذن حرية الاختيار؟ لابد أن تترك الحرية كاملة للنساء والرجال ويختار الشعب من يمثله؟ وهل من تم اختيارهن يصلحن لهذه المهمة؟
- حجب المواقع الاليكترونية الإباحية والتي تؤدي إلى الانحلال وسوء الأخلاق وانتشار الزنى والفواحش والجريمة واجب على الحكومات والشعوب وكل إنسان ذو فطرة سليمة فلماذا تعترض المنظمات الحقوقية على حجب تلك المواقع، لا أدري من متخذ القرار في كل دولة الحاكم أم الجمعيات الحقوقية؟
- إن الجمعيات الحقوقية تلعب على أوتار حقوق الأقليات وحقوق المرأة، وهي لا يهمها هذا أو ذاك من قريب ولا بعيد، كل ما يهمها هو وجودها كعنصر مؤثر في السياسة الداخلية للبلاد ولمصالح خارجية.
- إذا كانت المنظمات الحقوقية تطالب بتفتيش البلاد ومراقبتها في مجال حقوق الإنسان فلماذا ترفض مراقبة الدولة لأدائها وخاصة أنها تطالب بتمويل أجنبي لأنشطتها، أليس هذا ادعى للحكومة أن تقوم بهذه الرقابة لضمان ولاء تلك المنظمات للبلاد التي تنتمي إليها. أم أنها ستنتمي لدولة الكرة الأرضية، اليهود يبحثون لهم عن وطن، فهل تريد الجمعيات الحقوقية أن تكون بلا وطن؟

هذه المنظمات الحقوقية ومن خلال تقاريرها تريدها حرباً أهلية بين الأقليات والأغلبيات، إنها تدافع عن

المـذاهب الفاسـدة بحجـة حمـايتهم مـن الأغلبيـة، إنهـم يرفضون المصالحة بين المتنازعين بحجة سـيادة القـانون (هذا بزعمهم)، أما المصالحة فسـتجعلهم يكفـون أيـديهم عـن القضـية برمتهـا، ألـم تحـدث انتخابـات نزيهـة فـي فلسـطين المحتلـة وتحـت رقابـة دوليـة، مـاذا حـدث للديمقراطية عندما فـازت حمـاس فـي تلـك الانتخابـات؟ إنهم يريدون ديمقراطية على هواهم، ديمقراطية لا تحترم رغبات الشعوب بل تحترم رغبات المنظمات الحقوقية.

يجب على المنظمات الحقوقيـة أن تعيـد النظـر فـي المهام التي تقوم بها، فلا يعقل أن تكون أحد مهامها زيادة النزاع والصراع بيـن الأطـراف المتصـارعة بحجـة حمايـة حقوق الأقليات، وكما نرى في المغرب العربـي أن هنـاك صراعاً الآن بين العرب والـبربر، وبيـن العـرب والأمـازيغ، مـع أن الجميـع ينتمـون إلـى ديـن واحـد، وليسـت اللغـة العربية حكـراً علـى أهـل الجزيـرة العربيـة بـل هـي لغـة القرآن، والقرآن نزل للعالمين، وأي ناطق بالعربية يصـبح عربياً بانتمائه إلى الإسلام، وفضل العرب أن منهم رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، وأنهـم حملـوا الرسـالة إلـى شعوب العالم، وقد رأينا في العالم الإسلامي كيـف كـانت الأخــوة والوحــدة بيــن المســلمين، بيــن بلال الحبشــي وصـهيب الرومـي وسـلمان الفارسـي وعمـرو القرشـي، جمعهم دين واحد ولغة واحدة هي لغـة القـرآن، وجمعهـم هدف واحد هو نصرة هذا الدين ونشره في الآفـاق لينعـم الجميع بالخير والعدل والحق.

لا يجب أن تكون أحد مهام الجمعيات الحقوقية زيادة الفجـوة بيـن الحكومـات والشـعوب، بـل يجـب أن يكـون الهـدف هـو تقريـب وجهـات النظـر بينهمـا وأن يتعـاون الجميع، حكومات وشعوب، للعمل لصالح أوطانهم.

يجب أن تكون أحد أهداف الجمعيات الحقوقية نشر العدل بين الدول، فليس من حقوق الإنسان أن تنفرد دولة بقيادة العالم دون أن يكون عليها رقيب أو حسيب وأن تضرب عرض الحائط بمواثيق المنظمات الدولية لمجرد أنها تملك حق الفيتو.

الحريات الإعلامية لا تعنى نشر الفساد والرذيلة والجرائم على مرأى ومسمع من العالم حتى يظن المشاهد أن هذا هو حال العالم الإسلامي، ولا يجب أن نعلن الجريمة لأن إعلانها يؤدي إلى إزعاج عيون المشاهدين بمشاهدة جرائم قد تؤثر على الطفل الذي لا يدرك ويحاول تقليد هذه الجرائم أو هذه المشاهد التي لا تليق، ويجب أن تتخذ الإجراءات لمنع وقوع تلك الجرائم، وليست أمريكا ببعيد فقد أصبح طلبة المدارس بها من حملة السلاح.

يجب على المنظمات الحقوقية أن تساهم في حل مشكلات بلادها أو وضع حلول لها مثل: الجهل والفقر والمرض والبطالة وسوء الأخلاق، وأن تقوم بمعاونة الحكومات بدلاً من كونها سيفاً مسلطاً عليها.

الصراع بين الحكومات والشعوب، وبين الأقلية والأغلبية، لا يصب إلا في مصلحة أعداء البلاد، ويضع هذه الدول تحت الوصاية الدولية، وهذه الوصاية لن تؤدي إلى خير بل ستؤدي إلى مزيد من الدمار والخراب، فهل تقبل الدول العربية والإسلامية أن تظل تحت الوصاية؟.

الأمثلة أمامنا كثيرة، والدول التي طلبنا مساعدتها لحل مشكلاتنا زادتها تعقيداً، وأمامنا المشكلة الفلسطينية شاهد عيان على أن مشكلاتنا لن تحل إلا بأيدينا، وبعقولنا ورغبتنا الأكيدة في الحل، أما المنظمات الحقوقية فيجب أن تكون انتماءاتها للبلد الذي تعيش فيه.

قام المحتل بتقسيم البلاد الإسلامية إلى دول تتصارع فيما بينها والآن يريد صراعاً من نوع آخر، صـراعاً داخليـاً بين الحكومة والشـعب، وبيـن الأقليـة والأغلبيـة، بـل بيـن المذاهب المختلفة داخل الدين الواحـد، لكـي يتـم تفـتيت الدولـة الواحـدة إلـى دويلات لا تسـتطيع حمايـة نفسـها وتظل في صراع إلى الأبـد، ثـم صـراع علـى الحـدود بيـن الدول ثـم عـدم قـدرة الـدول علـى حمايـة نفسـها نتيجـة الصـراعات الداخليـة فتطلـب الحمايـة مـن حمـاة الـدول والشعوب (متمثلا في الغرب) يصـبح الاحتلال برغبـة مـن الشـعوب نفسـها الـتي ترفـض حكوماتهـا نتيجـة فعـل المنظمـات الحقوقيـة بأهـل البلاد والاحسـاس المتنـامي بالظلم والاضطهاد وخاصة بالنسبة للأقليات والنساء.

وما أذكره ليس بخـاف علـى أحـد، فمـا نـراه بطـول العالم الإسلامي وعرضـه يـبين ذلـك، السـودان وصـراعه بين الشمال والجنوب، نيجيريـا والصـراع بيـن المسـلمين والنصارى، المغـرب وموريتانيـا والصـراع علـى الصـحراء المغربية، الصومال ومحاولة تفتيتها، اليمن والسـعي إلـى تقسيمها، العراق واحتلالهـا ومـا يحـدث فيهـا، أفغانسـتان وفـرض السـيطرة عليهـا بحجـة حريـة الشـعب الأفغـاني والقضاء على طالبان المتشددة، كلام لا يقنع إلا من جهـل تاريـخ الصـراع الـذي لا ينتهـي بيـن الحـق والباطـل، بيـن الإسلام وأعدائه، فهـل آن لنـا أن نقـف وقفـة مـع أنفسـنا لنعرف إلى أين نسير وما نريده لأنفسنا وما يراد بنا، قـال تعالى: "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم".

منظمة الأمم المتحدة

هي منظمـة عالميـة تضـم فـي عضـويتها جميـع دول العالم المستقلة تقريباً. تأسست منظمـة الأمـم المتحـدة بتاريخ 24 أكتوبر 1945 في مدينة سان فرانسسيكو في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، تبعاً لمؤتمر دومبارتون أوكـس

الذي عقد في العاصمة واشنطن، وعضوية الأمم المتحدة مفتوحة أمام كل الدول المحبة للسلام التي تقبل التزامات ميثاق الأمم المتحدة وحكمها، في بداية سبتمبر من سنة 2003 كان هناك 191 دولة كأعضاء في المنظمة.

- كان القرار الأول للاجتماع الأول للجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة في 24 يناير عام 1946 مؤهلا لتأسيس لجنة للتعامل مع المشاكل التي ظهرت عقب اختراع الطاقة الذرية. ودعت هذه اللجنة لوضع اقتراحات معينة لإزالة الأسحلة الذرية وكل الأسلحة المتعلقة بالدمار الشامل.
- أدت الأعمال الوحشية والإبادة الجماعية في الحرب العالمية الثانية إلى إجماع عام على أن تعمل الأمم المتحدة ما بوسعها لمنع تلك الأعمال في المستقبل، هذا الهدف أصبح إطاراً قانونيا لاحتواء وحل الشكاوى المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان، يلزم ميثاق الأمم المتحدة كل الدول تشجيع "الاحترام العالمي ومراعاة حقوق الإنسان" بالقيام بالأعمال التعاونية لذلك الهدف. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ليس ملزما قانونيا، إلا أن الجمعية العامة قد تبنته في سنة 1948 كمعيار مشترك لطموح الإنسانية جمعاء.

أنشئت المنظمة عام 1946، وبعد عام من إنشائها كان قرار تقسيم فلسطين عام 1947، وصدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948 وبعدها كانت حرب 1948 وإحتلال فلسطين، وتوالت حماية الأمم المتحدة ليس لأعضاء المنظمة بل حماية إسرائيل، ماذا فعلت المنظمة التي أنشئت من أجل سلام العالم خلال فترة إنشائها:

- احتلال فلسطين، العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، ثم الإعتداء الصهيوني على مصر وسوريا والأردن عام 1967 واحتلال سيناء والجولان والضفة الغربية.
- عندما انتصرت مصر في رمضان 1393هـ - أكتوبر 1973م، علمت الأمم المتحدة بقيادة سيدة العالم أمريكا أن هناك إرادة عربية تسعى للإنتصار على أعدائها، فأبت إلا تلغي الإرادة وتكبل العرب بإتفاقية السلام التي نزعت السيادة المصرية على سيناء وتركت الأرض الفلسطينية يعبث بها الكيان الصهيوني كيف يشاء، وأفقدت مصر مكانتها في الأمة العربية.
- لم تكتف أمريكا بهذا السلام الذي أنشأت من أجله منظمة الأمم المتحدة بل استطاعت أن تحتل الخليج العربي وتضع قواعدها العسكرية في كثير من دول الخليج بعد حرب الكويت.
- لم تكن الأرض الأمريكية يوما أرضا لحرب، إلا في بيرل هاربر[1]،وما وقع في أحداث 11 سبتمبر 2001 جعلها تستكمل مسيرتها في السلام الذي تدعي أنها ترعاه، مبنى أمريكي يتم اختراقه واحتراقه على الأرض الأمريكية وبطائرات أمريكية، وحتى الآن لم تعرف الجهة التي نفذت تلك العملية، ومع ذلك قررت أمريكا الساعية دائما للسلام أن تثأر لكرامتها الجريحة، تثأر من العالم الإسلامي بأسره، بعد أقل من شهر وقبل انتهاء التحقيقات أو بدأها إن شئت الدقة، تم احتلال أفغانستان.
- لم تكتف أمريكا باحتلال أفغانستان، بل قامت بالإعتداء على العراق عام 2003، البلد العضو في الأمم المتحدة الساعية للسلام بحجة شبهة وجود

[1] ميناء في جزيرة أوهايو وكانت هدفا لليابان بسبب الحصار الذي كانت تفرضه عليها الولايات المتحدة الأمريكية

أسلحة نووية بـالعراق، قـامت بتـدمير العـراق تـدميرا شاملا، وبما أنها محبة للسلام قامت بالتدمير فلابـد أن تقوم بإعادة التعمير والتقسيم.

- اعتـداءات أمريكـا مؤسسـة منظمـة الأمـم المتحـدة المحبة للسلام لم تكتف بكل هذا السلام الذي نشـرته على الأرض، بل قامت أخيرا بمعاونة حليفتها الرئيسية بالمنطقـة بحصـار شـعب أعـزل يبحـث عـن الحريـة، والباحث عن الحرية في نظـر الأمـم المتحـدة إرهـابي يجب حصاره وتجويعه ومنع أي إنسان يملـك إنسـانيته من مساعدة هذا الشعب الأعزل.

هذه هـي منظمـة الأمـم المتحـدة السـاعية للسـلام، فهل وجدنا سلاما ونحن أعضاء بتلك المنظمـة؟ هـل وجـد العالم العربي والإسلامي من حولنا السلام المنشود الذي انضم من أجله إلى الأمم المتحدة؟ هـل تقبـل مصـر بعـد الثـورة أن تكـون عضـوا فـي منظمـة لا تحـترم العهـود والمواثيق التي أنشئت من أجلها.

لابد من إعادة هيكلة لتلك المنظمات الدولية لضـمان حمايــة أعضــائها، أو الإنســحاب الفــوري منهــا وإنشــاء منظمات عربية إسلامية عالمية قوية تتعهـد فيهـا بحمايـة كل شعوب الأرض بلا تمييز أو تفرقة بين شعب أوشــعب، هذا ما نتمناه من مصر أم الدنيا التي علمت العالم معنـى التغيير بثورة سلمية سلمية.

الإسلام دين ودولة

"إن الدين عند الله الإسلام"، فـإذا أراد اللـه سـبحانه وتعالى للإسلام أن يكون ديـن الأرض، فكيـف يتـم حمايـة هذا الدين بغيـر دولـة، وإذا كـان اللـه يريـد للإسـلام دولـة فلابد أن يخرج الدين من مكة إلى المدينة ليتم بناء الدولة التي تحمي هذا الدين، فكيف تم بناء الدولة؟

كانت مكة المكرمة منذ بُعث النبي صلى الله عليه وسلم أرضا لدين الإسلام حيث نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وبدأ دعوته سرا لأنه يعلم أن التغيير يحتاج إلى عقول تفكر وقلوب تبصر الحقائق، فتخير النبي صلى الله عليه وسلم تلك العقول والقلوب التي بها يبدأ نشر الدين، فكانت خديجة وأبوبكر وعثمان وعلي وغيرهم من السابقين إلى الإسلام رضي الله عنهم أجمعين، اجتمعوا بدار الأرقم ليتدارسوا ويتعلموا الدين الذي يبدأ بالتوحيد، لا إله إلا الله.

ليس موسى إله وليس عيسى إله وليس محمد إله، ليس رئيس الجمهورية إله ولا عالم الدين إله ولا وزير الداخلية إله، ليست أمريكا إله ولا حلف الناتو إله ولا الغرب إله، ليست العلمانية إله ولا الليبرالية إله ولا الديمقراطية إله، ليست الدساتير الوضعية إله ولا مواثيق حقوق الإنسان إله، وإنما الله إله واحد خلق الخلق وأحسن صورهم وفضلهم على كثير من خلقه، خلق الإنسان وميزه عن الملائكة بالعقل ليكون مخيرا في عبادته لربه، يأتيه طائعا لا مكرها فيتميز عن الملائكة بطاعته لربه طوعا لا كرها، وما أعظمه من إله يخلق الخلق ثم يقول لهم: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

حين يعرف المسلم معنى التوحيد وأن الله وحده هو خالقه ومالك أمره، تهون الدنيا ويملك أمر نفسه، يعرف معنى الحرية، هو عبد لله وحده، حين يعرف المسلم هذا المعنى يتحمل الشدائد من أجل الحرية، من أجل هذا الدين.

وعندما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهر بالدعوة بدأت المحن تقابل أصحابه، لكنهم كانوا قد تربوا على لا إله إلا الله، صبر المسلمون على الأذى وتحملوه بنفس راضية أملا في هداية الخلق لهذا الدين، وحين

اشتد الأذى بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة، أرض بها ملك لا يظلم عنده أحد، ليست أرضا تفتن المسلم في دينه بل أرضا تساعده على التمسك بهذا الدين.

أسلم عمر وقبلها أسلم حمزة فإذا بدين الإسلام تقوى شوكته بهذين العملاقين، وإذا بالمسلمين يخرجون لأول مرة في صفين على قلة عددهم على رأس الأول حمزة وعلى رأس الآخر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

هل يكفي هؤلاء لإقامة دولة الإسلام بهم، لا بل يحتاجون إلى آخرين ليقيموا دولة الإسلام، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يبحث من جديد عن قلوب وعقول أخرى تصلح لبناء الدولة، عرض نفسه على القبائل، ولم يكل ولم يمل ولم ييأس من نصر الله له، لكنه لم يجد بغيته في مكة والقبائل المحيطة بها، ثم ماذا؟ لن تنتهي دعوة الإسلام حتى يظهره الله.

جاء وفد من المدينة إلى مكة فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بنصر الله لهذا الدين حيث آمنوا به وعاهدوا رسول الله بدعوة أهلهم بالمدينة إلى الإسلام، وذهبوا إلى المدينة وعادوا بعد عام لتكون بيعة العقبة الأولى بين المسلمين ووفد الأنصار.

بايع الأنصار رسول الله بإقامة دولة الإسلام في المدينة وقبل الأنصار في مقابل الجنة، تلك هي البيعة لإقامة دولة الإسلام، لن نكون على رأس الدولة ولن نتولى الحكم من بعدك يا رسول الله، ولن نطلب وزارة أو إمارة يا رسول الله بل نطلب الجنة وهذا ما عاهد عليه الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الثانية.

وبدأت رحلة بناء الدولة الإسلامية التي أقيمت لحفظ الدين، هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبدأ تاريخ جديد لدولة الإسلام، المدينة يعيش فيها قبيلتي الأوس والخزرج وهما متنازعتين على الزعامة ويدور بينهما قتال فهل تستقيم أمور الدولة وبين أهلها هذا التنازع؟ يقيم بالمدينة قبائل يهود وهم يؤججون نار الفتنة بين الأوس والخزرج لتربح تجارتهم في السلاح، وآخرون من أهل المدينة يجهزون زعيمهم عبدالله بن أبي ابن سلول ليتولى زعامة المدينة، المهاجرون الذين خرجوا من مكة بدينهم وتركوا أرضهم ومالهم فكيف يستقبلهم أهل المدينة؟ ماذا يفعل رسول الله وأصحابه في تلك الظروف وكيف يمكن بناء الدولة، ما الخطة التي يمكن بها حل تلك المشكلات القائمة وكيف يتم إرضاء تلك الأطراف المتناحرة، على بركة الله نبدأ في تحقيق الهدف وهو بناء دولة الإسلام في المدينة.

الخطوة الأولى في البناء هي إزالة فتيل العداوة بين الأوس والخزرج ليستبدلوا العداوة التي بينهم بأخوة الإسلام، والحمد لله تمت الخطوة الأولى بنجاح (كما نتمنى أن تتم بنجاح بين التيارات الإسلامية الموجودة في مصر الآن).

الخطوة الثانية: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهي أخوة لم تعهدها البشرية من قبل، أخوة في الإسلام جعلت المهاجري يقاسم أخاه الأنصاري في ماله وداره وربما أزواجه "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"، ما عند الأنصار كان كافيا لهما معا، (ونحن نشعر بالخطر بعودة مليون مصري من ليبيا وكأن الحياة في مصر ستضيق بهؤلاء الأخوة-لتكن أخوة الإسلام حلا لهذه المشكلة).

الخطـوة الثالثـة: إقامـة المسـجد الـذي يضـم هـؤلاء المسلمين جميعا ويوحد صفوفهم ويحل مشكلاتهم وتُـدار شـئون الدولـة الوليـدة مـن منـبره، ويُسـمع فيـه لـرأي الجماعة المسلمة ويسمح بالخلاف والإختلاف فـي الـرأي لنصل إلى أفضل الحلـول، وقـد وجـدنا أيـام رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم كثيرا من الإختلاف فـي الـرأي بيـن كبار الصحابة، وجدنا ذلـك فـي أسـرى بـدر، وجـدناه فـي صلاة العصر فـي بنـي قريظـة، مـن المسـلمين مـن أخـذ بـالنص ولـم يُصـل إلا فـي بنـي قريظـة مـع دخـول وقـت المغرب، ومنهم من صلى فـي الطريـق خشـية أن يفـوته العصر وقد فهم من النص سرعة الوصـول، وأقـر رسـول الله صلى الله عليه وسلم الجميع علـى اجتهـادهم (لتكـن المساجد المكان الطبيعي لتجميع صفوف المسلمين كمـا كانت على مر التاريخ الإسلامي).

الخطوة الرابعة: معاهدة بين المسلمين واليهود تنص على حقوق كل منهما وأنهم شركاء فـي المدينـة لهـم مـا للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، فكـانت أول وثيقـة تحدد العلاقة بيـن المسـلمين ويهـود المدينـة، وفـي حالـة الغدر ونقض المعاهدة يكون العقاب.

الخطـوة الخامسـة: العلاقـة بيـن المسـلمين وبيـن المنافقين الذين لا تعرف لهم توجها، فإن وجدوا قوة فـي اليهـود انضـموا إليهـم وإن وجـدوا قـوة فـي المسـلمين انضـموا إليهـم، لا تعـرف لهـم لـون أوطعـم، لكـن أنـت مطـالب فـي دولـة الإسـلام أن تتعامـل مـع هـؤلاء لا أن تقصيهم فيكيدوا لك كيدا، وتعامل رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم وصحابته الكرام من المهاجرين والأنصـار مـع هؤلاء جميعا برحمة وعدل في دولة الإسلام الناشئة الـتي تخطو خطواتها الأولى في البناء.

بـدأت الدولـة الوليـدة بتحديـد أسـس العلاقـة بيـن المقيمين والقائمين على الدولة، الأخوة بيـن المسـلمين، والمعاهدة مع الأقلية الغير مسلمة، والتعاملات الإنسـانية مع التيارات المختلفة في مجتمـع المدينـة، وذلـك لتـأمين الدولة المسلمة من الداخل (هكـذا يجـب أن نتعامـل فـي مصـر الآن مـع كـل هـذه التيـارات الإسـلامية والعلمانيـة والنصرانية كما تعامل معهم رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم).

ثم بدأت مرحلة جديدة من البنـاء وهـو تـأمين الدولـة الإسلامية من خارجها، فكانت موقعة بدر التي انتصر فيهـا المسـلمون بفضـل اللـه ليكـون أول انتصـار علـى أعـداء الدولـة، وجـاء يـوم الثـأر فـي أحـد ليكـون اختبـار لمـدى تماسك الدولة وقدرتها على الصمود أمـام الأعـداء، إلا أن المسلمين عصوا أمر رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم وأرادوا مكسبا قصـير الأمـد عـن مكاسـب طويلـة الأجـل بالشروع في جمع الغنائم قبل أن تستقر أحـوال المعركـة لصالح المسلمين، فهزموا فـي أحـد ليتعلمـوا الـدرس ولا يستعجلوا الغنائم فهي آتية لا محالة ولكن يبقى الدين هــو المسعى الأول الذي يجب أن يحرص عليه المسلمون (فلا يستعجل إخواننا في تحقيق مطـالبهم الفئويـة فـي وقـت نحتاج فيه جميعا أن نقف صفا واحدا أمام أعداء الأمة).

ثم جاءت غزوة الأحزاب لتكـون بدايـة لتثـبيت دعـائم الأمة الإسلامية في وجه أعدائها مـن الخـارج حيـث يقـول رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بعـد النصـر وهزيمـة الأحزاب: اليوم نغزوهـم ولا يغزونـا، ويـأتي يـوم الأحـزاب ليعلم رسول الله المؤمنين أن نصر الله آت وأن دين اللـه سوف يشع نوره فـي الآفـاق وتفتـح بلاد الفـرس والـروم واليمـن ليـدخلها ديـن الإسـلام ويعـم العـدل الأرض الـتي ملئت ظلما وقهرا علي أيدي الطغاة المستبدين.

آن لدولة الإسلام بعد أن أمنت الداخل والخارج أن تمارس حقها في حج البيت الحرام، هذه هي العلاقات الدولية التي لا يجب أن تمنع أحدا من الحج، إلا أن قريشا أبت إلا أن تتجاوز تلك العلاقات وأن تفرض قيودا على الدولة الإسلامية في ممارسة هذا الحق خاصة أنهم ذهبوا لأداء العمرة لا يحملون سلاحا بل يسوقون الهدي أمامهم، وقد أرسلوا رسلهم إلى قريش ليخبروهم أننا آتين إلى مكة لأداء العمرة وأننا لا نفكر في غزوكم أو محاربتكم وقد أرسلوا أكثر من رسول ليؤكدوا لهم هذا المعنى وعندما غاب عثمان بن عفان رضي الله عنه ظن المسلمون أنه أصابه مكروه، وكان قتل الرسل يعني الحرب، وبايعوا النبي تحت الشجرة على الثأر لرسولهم.

ولما علمت قريش نبأ البيعة قرروا عقد صلح بينهم وبين المسلمين، هو صلح الحديبية واشترطوا شروطا رآها المسلمون مجحفة إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يوحى إليه ولا يبحث عن عمرة تُؤدى بقدر ما يبحث عن أنصار جدد تقوى بهم دولة الإسلام وافق على شروط الصلح وعاد إلى المدينة على أن يعتمر في العام القابل.

عام بأكمله تستطيع دولة الإسلام أن تجد لها أنصارا آخرين خارج المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسائل إلى بلاد الفرس والروم ومصر وغيرها يعلمهم بدين الإسلام الذي أنشئت دولته لحماية هذا الدين، وما كان لهذا الدين أن ينتشر دون إقامة هذه الدولة التي أصبحت لها مكانها بين الدول.

"يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود"، وقد أوفى المسلمون بعهدهم مع قريش إلا أن قريشا لم تف بالعهد واعتدت قبيلة بني بكر المتحالفة مع قريش على خزاعة المتحالفة مع المسلمين، وكان لابد من نصرة الحلفاء،

ولم تكن خزاعة مسلمة في ذلك الوقت إلا أنها قبلت التحالف مع المسلمين، وقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد الدولة الإسلامية أن ينتصر لخزاعة، فجهز جيشا لفتح مكة وقد دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا حربيا، إلا أن نصره الأخلاقي كان أعظم أثرا في قلوب أهل مكة، حيث أمنهم على أنفسهم وقال: من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، أنزل قائد مكة منزلته التي تليق به رغم كفره، أمن المدنيين على حياتهم، لم ينتهك حرمة المسجد الحرام بالقتال فيه ثم أصدر عفوا كاملا شاملا لأهل مكة حين سألهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال صلى الله عليه وسلم: أذهبوا فأنتم الطلقاء.

هل فعلت دولة في هذا العالم مع أعدائها ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لقد أرسله الله رحمة للعالمين، رحمة تسع المؤمن والكافر، رحمة لو وُزعت على أهل الأرض لوسعتهم.

وجاءت غزوة حنين لتبين للمسلمين ما يسعى إليه رسول الله، انهزم المسلمون في أول الأمر لأنهم ظنوا أن النصر يأتي مع كثرة العدد دون الثقة التامة والإيمان الكامل بأن النصر من عند الله، ولما عاد إلى المسلمين رشدهم عاد إليهم النصر وجاءتهم المغانم الكثيرة، ليوزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها على أهل مكة من الطلقاء ليؤلف قلوبهم لهذا الدين، شعر الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد إلى أهله في مكة ونسي الأنصار ، ووجدوا في قلوبهم شيئا فعلم رسول الله بالأمر.

فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: يا معشر الأنصار

مقالة بلغتني عنكم ؟ ووجدة وجدتموها في أنفسكم ؟ ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم قالوا: بل الله ورسوله أمن وأفضل، قال: "ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟" قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل؟

قال: "أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا؟ تألفت قوما ليسلموا؟ ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير و ترجعون برسول الله في رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده إنه لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما (فقه السيرة). (يقولون أن من قام بالثورة يجب أن يحكم، ونقول وهل حكم الأنصار دولة الإسلام بعد رسول الله، كانت نصرة الدين وحماية الدولة والجنة هي أهدافهم، وكذلك يجب أن نكون نحن، ننصر الدين ونحمي الدولة ونرجو رحمة ربنا والجنة).

عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وظلت المدينة هي أول دولة إسلامية منذ نزل الإسلام على محمد صلى الله عليه وسلم، ربى فيها النبي القادة الذين يتولون أمور الدولة من بعده، علم المسلمون قواعد بناء الدولة، علم المسلمون كيف يتم حماية الدولة من أعدائها في الداخل والخارج على قواعد سياسية أخلاقية لا تقوم الدولة الإسلامية إلا بها، أما من يدعون أن لعبة السياسة لعبة قذرة، فهذه القذارة لا تليق بالدولة المسلمة، ولذلك نجد الدول التي تقوم على

القذارة السياسية بناءها ضعيف لا تلبث أن تسقط "وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون".

لماذا خاف الروم من دولة الإسلام حين قررت حربها في تبوك؟ لماذا لم يواجه الرومان بجندهم الكثيف المسلمون وقد كانوا أقل عددا وعدة؟ لأنهم يعلمون أنهم على الحق ويدافعون عن حق، ومصرون على الدفاع عن حقهم، وحين يجد أعداء الأمة إصرار صاحب الحق على حقه يخشونه ويهزمون بالرعب، وهذا ما كان بعد أن أعد المسلمون العدة وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وجاهد الصديق بكل ماله وترك لأهله الله ورسوله، وجاء عمر بنصف ماله، وقاد ذو النورين عثمان بن عفان تجهيز جيش العسرة الذي كفاه الله شر القتال في تبوك وانهزم الروم بالرعب (ونحن في مصر الآن نحتاج أن نؤمن حدودنا الخارجية شرقا بتحرير فلسطين، وغربا بتحرير ليبيا، وشمالا بأسطول بحري قوي يحمي مياهنا الإقليمية،وجنوبا بتأمين السودان من مخاطر الدولة الجديدة ومياه البحر الأحمر والخليج العربي الذي يمثل العمق الإستراتيجي للأمن القومي المصري).

لم تبن دولة الإسلام في المدينة بالراحة والدعة والسلامة وحب الدنيا وكراهية الموت، بل بنيت بالعرق والجهد والكفاح والقتال وتحمل الشدائد والصعاب، والجهاد بالنفس والمال، وبطلب الموت في سبيل الله حتى لتجد من فاتته معركة من المعارك ينتظر المعركة القادمة ليكون من المشاركين لينال إحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة، وتجد الشباب الصغار الذين لا يؤهلهم سنهم وصغر أجسادهم للمشاركة في الحرب للدخول في منافسة بالسيف ليثبتوا أنهم قادرين على المشاركة في الحرب، بتلك الروح الوثابة والقلوب التي تهفو إلى الحرية، والنفوس التي تتوق إلى الشهادة قامت دولة الإسلام.

ثم كانت حجة الوداع التي ألقى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد جديدة في بناء الأمم المتحضرة، ألقاها الرسول صلى الله عليه وسلم يوم عرفة من جبل الرحمة وقد نزل فيه الوحي مبشراً أنه "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً"، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير، أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا، أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا – ألا هل بلغت اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها (قواعد إنسانية)، وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وقضى الله أنه لا ربا (قواعد اقتصادية). وإن أول ربا أبدأ به عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية – ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

أما بعد أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحرقون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا

يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليـوطئوا عـدة مـا حـرم اللـه فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قـد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلــق الله السماوات والأرض، منها أربعة حـرم ثلاثـة متواليـات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجـب مضـر الذي بين جمادى وشعبان – ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

أما بعـد أيهـا النـاس إن لنسـائكم عليكـم حقـاً ولكـم عليهن حق، لكم أن لا يواطئن فرشهم غيركم، ولا يـدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بـإذنكم ولا يـأتين بفاحشـة، فـإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهــن فــي المضــاجع وتضــربوهن ضــرباً غيــر مــبرح، فــإن انتهيــن وأطعنكـــم فعليكـــم رزقهـــن وكســـوتهن بـــالمعروف، واستوصوا بالنساء خيـراً، فـإنهن عنـدكم عـوان لا يملكـن لأنفســهن شــيئاً، وإنكــم إنمــا أخــذتموهن بأمانــة اللــه واستحللتم فروجهن بكلمة اللـه فـاتقوا اللـه فـي النسـاء واستوصـوا بهـن خيـراً – ألا هـل بلغـت....اللهـم فاشـهد (حقوق المرأة).

أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحـل لامـرئ مـال لأخيه إلا عن طيب نفس منه – ألا هل بلغت اللهم فاشهد، فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فـإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد

أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحـد كلكـم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عنـد اللـه اتقـاكم، وليـس لعربـي على عجمـي فضـل إلا بـالتقوى – ألا هـل بلغـت....اللهـم فاشهد قالوا نعم – قال فليبلغ الشاهد الغـائب (المسـاواة في الحقوق).

أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم.

ليعلم أهل الأرض جميعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحارب يوما طمعا في دنيا أو مُلك يصيبه، إنما كانت حربه على عدو اعتدى بغير حق وصد عن دين الله ومنع العباد من حريتهم في الاختيار، حارب ليحافظ على الدولة الإسلامية التي تقوم بحماية الدين، والقائلين بأنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين أو فصل الدين عن الدولة واهمون، فلا تقوم دولة إلا بالدين.

ما الذي أقام دولة الكيان الصهيوني؟ أليس اعتقادهم بأن دينهم هو الذي يحرضهم على إقامة هذه الدولة؟ ما الذي دعى أوروبا إلى الحروب الصليبية واحتلال بلاد المسلمين بما فيهم القدس الشريف؟ ألم يحركهم دينهم؟ لماذا يعتدي الغرب على بلاد المسلمين؟ أليست هي حربا على الدين نفسه، لماذا يساندون الأقلية النصرانية في جنوب السودان لإقامة دولتهم ولا يساندون الأقلية المسلمة في فرنسا أو أمريكا لإقامة دولة مسلمة هناك؟ لماذا يرفضون انضمام تركيا المسلمة إلى الاتحاد الأوروبي ويفرضون دولة الكيان الصهيوني للإنضمام إلى دول الشرق الأوسط المسلمة والتطبيع معهم؟ أليس كل ذلك محاربة للدين الإسلامي بتقويض دولته، فإذا ما سقطت الدولة الإسلامية ضعف الدين في النفوس، وهذا لا يريده الله لدين الإسلام الذي وعدنا ربنا بظهوره على الدين كله ولوكره الكافرون.

فيا أمة الإسلام يا خير أمة أخرجت للناس، أقيموا دولة الإسلام حفاظا على هذا الدين، ليس بحثا عن قيادة أو زعامة إنما بحثا عن مسلمين جدد ينعمون بهذا الدين، وبحثا عن عدل يقام على هذه الأرض يبحث عنه المسلمون وغير المسلمين، وبحثا عن مكارم الأخلاق التي بعث بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن امتلأت الأرض بممارسات غير أخلاقية، وبحثا عن مغزى لهذه الحياة "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"، يعبدون الله طواعية، لا إكراه في الدين، وبحثا عن جنة أبدا تجري من تحتها الأنهار، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الجنة وأن نرافق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى، ونسأل الله العزة للإسلام والمسلمين

هل الإسلام جريمة يعاقب عليها القانون الدولي؟

يمثل المسلمون اليوم ربع سكان العالم، ونسبة المسلمين في مصر 95% من إجمالي عدد السكان، فإذا كان الغرب يدين بغير الإسلام ويعتبر المسلمون أقلية بالنسبة لسكان العالم، فكيف يتعامل الغرب مع الأقلية المسلمة التي تمثل الربع؟

احتلت أوروبا أغلب الدول العربية والإسلامية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ولم يكن لأمريكا موضع قدم لها في تلك المنطقة، إلا من بعض المنظمات التنصيرية، فقد كانت دولة ناشئة إلى أن خرجت منتصرة في الحرب العالمية الثانية بعد أن حسمت الحرب بتجربة سلاحها النووي بضرب جزيرة هيروشيما وناجازاكي والتي أدت إلى تدمير المدينتين اليابانيتين، وبعد تلك الضربة قررت أن ترث العالم الإسلامي وتستبدل هيمنة أوروبا بالهيمنة الأمريكية في المنطقة، وقد أيدت زرع الكيان الصهيوني

في المنطقة ليكون يدها التي تبطش بها، وكان ما كان من حروب ضد العالم الإسلامي وإلى الآن.

لم تكتف أمريكا بفلسطين والجولان في سوريا والضفة الغربية في الأردن بل قررت محاصرة العالم الإسلامي من الجهات الأربع، قادتها حرب الخليج الأولى في عام 1990 إلى نشر قواعدها العسكرية في الخليج العربي وبعض دول الخليج بحجة حمايتها من العراق.

أصبحت العراق معزولة سياسيا عن المنطقة العربية بعد اعتدائها على الكويت، ومنهكة إقتصاديا نتيجة الحرب العراقية الإيرانية، كما أصبحت مصر معزولة من قبل بموجب اتفاقية السلام عام 1979 والتي وقعتها منفردة مع الكيان الصهيوني وبمباركة أو بإكراه من أمريكا للرئيس المصري أنور السادات، ما هي المغامرة القادمة لسيدة العالم أمريكا في العالم الإسلامي؟

بعد احتلال الإتحاد السوفيتي لأفغانستان اضطرت أمريكا أن تمد الأفغان بالسلاح في حربهم ضد روسيا لأنها هي التي تنافسها في قيادة العالم، كما تجمع المجاهدون من كل البلاد العربية والإسلامية لمعاونة إخوانهم من المجاهدين الأفغان لطرد المحتل الروسي من الأرض المسلمة طبقا للبيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام الصادر عام 1981، والذي ينص على أن أمة الإسلام أمة واحدة، وبعد سنوات استطاع الأفغان بفضل الله أن ينتصروا على الاتحاد السوفيتي والذي سقط سقوطا مروعا بعد حربه ضد أفغانستان.

سقط العدو الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت أمريكا سيدة العالم، ولابد لها من عدو فكيف لها أن تسوق ترسانتها الحربية وتجربة اختراعتها العسكرية بدون عدو، العراق فُصل عن جسد الأمة بعد حرب الخليج والخليج محاصر بالقواعد الأمريكية،

أفغانستان منهكة اقتصاديا وهناك صراعات داخلية على الحكم وقد انتصرت على روسيا، فإذا حققت أمريكا نصرا في أفغانستان فقد أكدت أنها تفوقت على الاتحاد السوفيتي حتى بعد سقوطه، هذا هو النصر السهل الذي تبحث عنه أمريكا، هي دائما تحارب في الوقت الضائع وخارج الأرض الأمريكية ولا تحارب منفردة بل بتحالفات دولية غالبا أوربية.

ولكن ما الحجة التي تقدمها للعالم لاحتلال أفغانستان، حادث 11 سبتمبر عام 2001 كان الذريعة لغزو أفغانستان بحجة القضاء على المتسبب في هذا الحادث، وبعد أقل من شهر وفي 7 أكتوبر 2001 تم احتلال أفغانستان، لم تنتظر التحقيقات التي تبين أسباب الحادث والمنفذين له، لم تعلن نتائج التحقيقات على العالم بل أعلنت وفور وقوع الحادث أن قائد تنظيم القاعدة في أفغانستان أسامة بن لادن هو من تسبب في هذا الحادث.

مبني أمريكي يُدمر، ثلاثة آلاف يُقتلوا، وشخص مطلوب القبض عليه، ذريعة لأمريكا لاحتلال دولة مستقلة ذات سيادة وعضو في الأمم المتحدة علينا ومن أرض دولة أخرى مستقلة هي باكستان وبتهديد من أمريكا بتدمير السلاح النووي الباكستاني، هذه هي تعاملات الغرب مع الأقلية المسلمة في العالم، مبني يدمر يقابله في العرف الأمريكي أرض دولة إسلامية تدمر، ثلاثة آلاف أمريكي يُقتلوا يقابله في العدل الأمريكي شعب بكامله يُقتل، وكل ذلك على مرأى ومسمع ومعونة من العالم المتحضر.

لم تكتف أمريكا بأفغانستان، فالعراق أولى لأنها تمثل تهديدا حقيقيا للأمن القومي العربي، أسامة لا يقيم في العراق فلابد من اختراع آخر للمسلمين حتى تحتل

العراق، يوجد شبهة سلاح نووي في العراق إذن لابـد مـن دكها وكان احتلال أمريكا للعراق عام 2003.

هل رأينا العدل الأمريكي والغربي مـع قضـايانا؟ هـل رأينا كيف يحترم العالم الغربي وعلى رأسه أمريكا حقوق الإنسان المسلم؟ لقد دفنـت أسـامة بـن لادن فـي البحـر طبقا للشريعة الإسـلامية، فهـي تعلـم إذن أن هنـاك ديـن يسـمى الإسـلام وبشـر يصـل تعـدادهم إلـى 1,6 مليـار يدينون بالإسلام ويسـمون مسـلمين، ويعلمـون أن هـؤلاء المسلمين لهم شريعتهم التي تحكمهـم تسـمى الشـريعة الإسلامية، فأين مشكلة المسلمين حيـن يطلبـون تطـبيق هذه الشريعة في بلادهم؟.

والآن نحن في مصر الثورة، نسـبة الأقليـة النصـرانية 5%، الكنائس تملأ المدن المصرية ولا حرج فلا إكراه في الـدين، رجـال الأعمـال النصـارى يملكـون نصـف اقتصـاد مصر ولا حرج، الكنائس مفتوحة 24 ساعة ولا حرج لكـم دينكـم ولـي ديـن، وفـي المقابـل، مسـاجد مصـر ضـاقت بالمسلمين، تغلق المسـاجد بعـد الصـلاة مباشـرة، تبعيـة المساجد لوزارة الأوقـاف الـتي تتبـع الدولـة والـتي تلـزم الخطباء بمحتوى الخطبة التي تقال على المنـابر، مراقبـة الجهــات الدوليــة لحقــوق الإنســان للخطــاب الــديني المتشدد.

هؤلاء سلفيون متشددون يجب إقصـاؤهم مـن إعتلاء المنــابر والعمــل السياســي، وهــؤلاء إخــوان مســلمون يعملون بالسياسة يجب إقصاؤهم لأنه يجـب فصـل الـدين عـن السياسـة، وهـؤلاء أنصـار السـنة أنشـتطهم دعويـة، وهـؤلاء أعضـاء الجمعيـات الشـرعية الـتي تتـولى شـئون المساجد والأيتام والأرامل فلا يصلحون للسياسة، وهـؤلاء نصارى لا يجب أن نسـمح لهـم بالعمـل السياسـي لأننـا لا

نريد دولة دينية، وهؤلاء ينتمون لأحزاب كرتونية فشلت في العمل السياسي طوال الثلاثة عقود السابقة.

أما هؤلاء العلمانيين فهم أساتذة العمل السياسي على مستوى العالم ويؤيدون دولة مدنية علمانية، عليها في هذه الحالة أن تأتي بشعب آخر غير الشعب المصري لتكوين دولتهم المنتظرة، لأني لا أظن أن المسلمين السلفيين المتشددين والإخوان المسلمين الجماعة التي كانت محظورة ولا المسلمين أنصار السنة ولا المسلمين التابعين للجمعية الشرعية، ولا المسلمين الذين ينتمون إلى الإسلام دون التقيد بجماعة بعينها، ولا المتدينين من النصارى يقبلوا جميعا أن يفرطوا في دينهم وشريعته حتى تتحقق لهم الدولة المدنية التي يريدها العلمانيون. الدولة الإسلامية المدنية التي تُحكم بشريعة الإسلام، والتي يُحكم فيها الأقلية النصرانية بمبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عاهد اليهود: لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ويحكمون بشريعتهم في أمورهم الخاصة، هي الدولة التي يريدها المصريون.

من حق المسلمين أن يُحكموا شريعتهم بعد أن ضاقت شريعة غيرهم بهم، من حق المسلمين أن يعودوا إلى شريعتهم بعد أن وجدوا في تاريخهم أن هذه الشريعة هي التي حفظت دينهم وديارهم وأعراضهم كما حفظت دين وديار وعرض الأقليات التي كانت تقيم بينهم، فلنعد إلى التاريخ لنرى عدل الإسلام في تعامله مع المسلمين وغير المسلمين حين طبقوا ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله، "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى"، "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا

عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(9): الممتحنة.

ومن المفارقات العجيبة أن تجد هذه الطبقة من العلمانيين التي تحذر المجتمع من تسلط الإسلاميين وتشددهم تمارس الدعاية الإقصائية للآخر ولا تقبل بوجوده في الساحة السياسية مستخدمة غطاء مدنية الدولة، وهل مدنية الدولة تعني إقصاء الإسلام عن مناحي الحياة واستبداله بالعلمانية في مجتمع تأسست نهضته الحديثة على أسس ومبادئ الإسلام، ولماذا يفرض أتباع الاتجاه العلماني مبادئهم وأفكارهم على المجتمع كله وكأنهم أوصياء عليه، ويرسخوا شعار: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، وكيف لأحد أن يصدق هذا الشعار الذي يتناقض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة فالقرآن به مئات الآيات التي تحدد ملامح سياسات الحكم في الأمة المسلمة مثل الحدود والمواريث ومبادئ الجهاد ونظم الاقتصاد والتربية والاجتماع وغير ذلك، كما أن دولة الإسلام التي أسسها النبي السياسة جزء لا ينقطع عن الدين الإسلامي.

كانت الثورة المصرية بابا واسعا للحرية، كثير من المصريين عبر من خلال هذا الباب إلى آفاق لم يتوقع أن يصل إليها في هذا الوقت القصير، خرج الجميع يعبر عن رأيه وتوجهه وتحدثوا جميعا في قضايا شائكة لم يستطيعوا التحدث فيها خلال عدة عقود.

من الممكن أن تكون الحركة الإسلاميَّة هي القوة السياسيَّة الأولى على الساحة بعد الثورات العربية، فهناك العديد من الباحثين السياسيين الذين اكتسبوا ملكات التفكير الاستراتيجي بفعل دراستهم للسياسة والتاريخ، مما أكسبهم وعيًا تاريخيًّا واستراتيجيًّا عميقًا، ومن شاور الرجال شاركهم عقولهم

أهم ما يشغلنا الآن هو استقرار الأوضاع العامَّة في الدولة في اتجاه يرسخ الحريات العامة والخاصة، وضمان إجراء انتخابات حرَّة ونزيهة يُسمح فيها للجميع بالمشاركة لتأتي بنوَّاب الشعب ومن سيتولَّوْن صياغة الدستور الجديد وتحديد شكلِ النظام السياسي القادم لأن هناك قوى سياسيَّة محلية وإقليميَّة ودوليَّة منافسة ومعادية قد تدفع لإتجاه الديكتاتورية بهدف إبعاد الإسلاميين عن الحكم.

لابد من إدارة حوار مفتوح مع القوى الكبرى على المستويين الإقليمي والدولي لتحقيق قدرٍ من الفهم المتبادل بيننا وبينهم، وكذلك لإقناعهم بأن وجود الحركة الإسلامية على رأس الحكم لن يؤدي لحدوث أي عدوان على الحقوق المشروعة لهذه القوى، بل قد توجد مساحاتٌ مشتركة يمكن التعاون من خلالها.

فقد مررنا بتجربة الحكم الاشتراكي في عهد عبد الناصر وكذلك الحكم الرأسمالي في عصر السادات، وعايشنا نظام الحكم الإشتراكي الرأسمالي في عصر مبارك وها نحن في مؤخرة الأمم على المستوى العلمي والعسكري والاقتصادي والسياسي، فلماذا نحكم على أصحاب الإصلاح من منظور إسلامي بالفشل المسبق؟ ومن المستفيد من هذا الإقصاء؟ ومن الخاسر.

إن الخاسر الحقيقي في استبعاد الإسلام من الحياة والسياسة هو كل العالم بأسره؛ لأنه سوف يحرم من تطبيق العدالة الاجتماعية وحرية الإعتقاد وكرامة الإنسان والأمن النفسي والسلام الإجتماعي الذي يتصف به المجتمع الذي يحكمه الإسلام، فالتاريخ أثبت أن أفضل منهج للإصلاح والنهضة هو المنهج المرتكز على قيم الإسلام كما أثبت ذلك الواقع الحالي فإذا نظرت للتجربة

التركية والماليزية يتبين لك قدرة المنهج الإسلامي على الإصلاح والتغيير.

الفتنة الطائفية

ظهرت الفتنة الطائفية بوصول البابا شنودة لكرسي البابوية، لأنه معروف بتطرفه منذ شبابه، حيث سعى لإنشاء تنظيم مسيحي سري يسمى الأمة القبطية، وكان من أهدافه إنشاء دولة مسيحية في مصر، وسعى منذ توليه البابوية إلى تحقيق هذا الحلم، حيث قام بتسييس الكنيسة، وهو ما يتنافى مع مبادئ المسيحية، وكذلك قام بتنظيم أقباط المهجر ليصيروا عنصر هجوم على الدولة المسلمة والإسلام من خارج مصر.

ومع تولي حسني مبارك حكم مصر بدأ يعطي امتيازات كبيرة للنصارى، مما أعطاهم قوةً وجرأة، وكان دافعه في ذلك مقاومة الإسلاميين وإضعافهم من ناحية، ومن ناحية أخرى رضوخًا وخضوعًا للغرب الذي يستخدم ورقة الأقليات في مصر للتحكم في قراراتها السيادية.

وقد أعطى مبارك النصارى والكنيسة حصانة ضد النقد في الإعلام، وحصانة ضد التفتيش رغم ما حدث من مواقف تظهر بشكل واضح تخزين السلاح في الكنائس؛ مما رفع من طموحات ومطالب النصارى والكنيسة حتى صاروا يطمعون في تولي مسيحي رئاسة الجمهورية، وأصبحوا يخرجون بالسلاح يقطعون الطرقات، ويحطمون السيارات، ويتظاهرون في الإعلام بأنهم يمثلون أضعاف نسبتهم الحقيقية في المجتمع؛ فيدعون أنهم 15 مليونًا، أو 18 مليونًا، أو 25% رغم أن نسبتهم لا تزيد على 5 % من الشعب، وحتى هذه النسبة لا تؤثر في تعاملنا معهم؛

لأن الإسلام أمرنا بحسن التعامل معهم بصرف النظر عن تعدادهم[1].

جاءت الثورة المصرية كالكارثة على الكنيسة والنصارى؛ وذلك لأن الحرية التي أتت بها الثورة جعلت من الممكن جدًّا تولي الإسلاميين الحكم، وهذا سيحرم النصارى من الامتيازات غير المستحقة التي حصلوا عليها في ظل حكم مبارك؛ لذا منعت الكنيسة المسيحيين من المشاركة في الثورة؛ فلما نجحت الثورة كان الحل لديهم هو إثارة أحداث الفتنة الطائفية في صول وإمبابة وغيرها.

إن الكيان الصهيوني منذ نشأته ومعه الغرب يضعون الخطط لتقسيم العالم الإسلامي، وأن النصارى والكنيسة في مصر تريد الاستفادة من هذه المخططات بتكوين دولة مسيحية، ومن هذه الجهات أيضًا الإعلام الفاسد الذي تعوَّد أن يُظهِر النصارى كمظلومين ومضطهدين، وأن يجعل المسلمين ظالمين ومتجبرين؛ لذا فهم يغطون على الحقائق التي تذكر أن الذين أشعلوا الفتنة في إمبابة هم النصارى، وأنهم هم الذين بدءوا بإطلاق النار من الأسلحة الآلية المجهزة سابقًا.

هناك سيدة اسمها "كاميليا شحاتة" تحتجزها الكنيسة بغير وجه حق، والسبب أنها أسلمت، هذا الموقف مستفز للأغلبية المسلمة، وفي دولة القانون لا يمكن لأزمة مثل هذه أن تحدث لأن القانون فوق الجميع، وأما في دولة اللاقانون فإن الأقليات لا تجرؤ على استفزاز الأغلبية بهذا الشكل لأن الخلافات هناك تُحل بالمجازر والدماء، يجب أن نسجل أن المسلمين في مصر يقدمون نموذجا فائقا لضبط النفس والحرص على الوطن.

---

[1] د. راغب السرجاني: الفتنة الطائفية في مصر www.islamstory.com

لا يمكـن لأحـد أن يتصـور أن تنتهـي يومًـا مـا أخبـار الراغبين في دخول الإسلام أو حتى المرتدين عنه، وهو ما يسـتوجب إيجـاد صـيغ قانونيـة فاصـلة وحلـول قاطعـة للتعامل مع هؤلاء بعيدًا عن المسكنات، وجلسات الصـلح، وتطييب الخواطر.

إذ لم يعد مقبولاً اختطاف النسـاء أو اللجـوء لقتلهـن وذبـح أبنـائهن، ولا أن تتحـول الكنـائس والأديـرة إلـى معتقلات تـدار بعيـدًا عـن سـلطة الدولـة، ولا أن يطبـق القساوسة ما يرونه عدلاً بأيـديهم، ينبغـي أن نضـع حلـولا دائمة لمسلسـل المشـكلات الـتي تنشـأ بيـن المسـلمين والنصارى وألا نترك الأمور لتزداد سوءا، حتى تعيش البلاد في أمان وتنجز الثورة ما قامت مـن أجلـه، النقـاط الـتي يمكن أن تزكي نار الفتنة بين المسـلمين والنصـارى منهـا انتشـار كتـب تسـيء إلـى الطرفيـن، واسـتخدام الإعلام بطريقة خاطئة، وقضايا الأسلمة أو التنصـير، مـن يرفـض حل القضية من الطرفين بعد الجلوس إلى مـائدة الحـوار فعليه أن يتنحـى مـن مكـان الصـدارة حفاظـا علـى أمـن الوطن.

هذه الأحداث تمت إدارتها حين رأى أعداء الأمـة قـوة الإسـلاميين الـتي ظهـرت بعـد سـقوط النظـام، إذ بهـم يسـتيقظون فيجـدوا الإخـوان المسـلمين وقـد قـويت شوكتهم وتخلصوا من بطـش النظـام البـائد ولـم يعـودوا يلقبون بالمحظورة، ولهم خبرة سياسية طويلة اكتسـبوها من محاولات قهرهم عبر السنين وتنظيمهم المتقن الـذي زاده القمع صلابة وحـذرًا، بالإضـافة إلـى قبـولهم الواسـع لدى عمـوم الشـعب المصـري المتـدين، و قـدرتهم علـى حشد الجماهير ووجودهم في كل بقعة من بقاع الوطن.

كـان هـذا هـو الكـابوس الأول الـذي اسـتيقظ غيـر الإسلاميين على أثره ولكن ما زادهم قلقًا وحفزهم للقيام

بهذه الحملة هو دخـول السـلفيين إلـى اللعبـة السياسـية أخيرًا، وما جعل الأمر يبدو شـديد الخطـورة بالنسـبة لهـم هو المحاولات الظاهرة للتقارب بين السلفيين والإخوان.

على الإسلاميين عمومًا استغلال هذه القوة في هـذا الوقت استغلالاً صحيحًا، فإذا تخيلنا تجمـع أعـداد الإخـوان مـع أعـداد السـلفيين علـى رأي سياسـي واحـد يحركهـم إيمـانهم بـالله والعمـل لـدينه، ولكـل منهـم طريقتـه فـي التواصل مع الناس مع وجود خبرة سياسية لدى الإخـوان، حينها سيصبح الإسلاميون القوة التي لا تقهر.

لابد من تشكيل مجلس للإسلاميين تجتمع فيه جميـع الفصائل الإسلامية فيجلس أعضاء مكتب الإرشاد مع كبار علماء السلفيين مع أنصار السنة مع الجمعية الشرعية مع التبليـغ والـدعوة، وتتضـافر جهـودهم للإجتمـاع علـى رأي سياسي واحد يلـتزمون بـه ويحشـدون النـاس مـن أجلـه لمواجهة باقي القوى السياسية المضادة.

نحن نريد خلافة إسلامية تعم بلادنا مرة أخرى، ونبذل جهودنـا فـي سـبيل اللـه للوصـول إلـى دولـة الخلافـة الإسلامية، نعم نريد دولة إسلامية وليقل من شاء ما شاء، فلن تكون مصر في يوم من الأيام دولة علمانية أو دولة لا دينية، ولسنا نخاف من أحد حتى نخاف من إعلان موقفنا، ولسنا على الباطـل لنـبرر موقفنـا، بـل نحـن علـى الحـق الذي سينتصر بإذن الله في النهاية، فمـن لا يعـتز بـدينه لا يؤتمن على الوطن (لماذا يقبل العالم الاتحاد الأوروبي ولا يعـترض عليـه ويـرى فـي إحيـاء دولـة الخلافـة الإسـلامية جريمة يعاقب عليها القانون الدولي).

السلفيون ليسـوا هـم الصـهاينة ، والـوطن ليـس هـو الكنيسـة ، والدولـة ليسـت هـي المشـائخ والقساوسـة ، والقانون ليس هـو جلسـات المصـاطب فـي اسـتديوهات

التليفزيون، لابـد أن نكـون قـادرين علـى تفعيـل مرجعيـة الوطن والدولة وسيادة القانون.

- ضرورة سن قانون يمنع إزدراء الأديان، فلا يحـق لأحـد الهجـوم علـى الحجـاب أو علـى النقـاب لأننـا لا نمنـع الراهبات في إرتداء ما يرغبن، فبأي حق نسمع أصواتا نصـرانية تنتقـد الحجـاب وتسـخر منـه، بـل وحـتى الأصوات المسلمة لا يحق لها ذلك.
- لابد من رفع الحصانة الغير مـبررة للكنيسـة المصـرية وأنها لم تعد دولة أقـوى مـن الدولـة، ونرفـض الدولـة الدينيـة الـتي تعنـي سـطوة الكنيسـة ورجـال الـدين، ونطالب بدولة ذات مرجعية إسلامية.
- لابـد أن تفتـح المسـاجد طـوال الـوقت وليسـت فـي أوقات الصلاة فقط، أسوة بالكنائس.
- لابد من تفتيش الكنـائس والأديـرة وخضـوعها للدولـة، كما يحدث مع المساجد، ولابد من إختيار شـيخ الأزهـر والمفتي من خلال العلماء.
- يجب محاكمـة المعتصـمين أمـام السـفارة الأمريكيـة، فمصر ليسـت محميـة أمريكيـة والمصـريين النصـارى أغلـى مـن أن يكونـوا رعايـا لدولـة أخـرى، كمـا يجـب محاكمة المتطاولين على المسلمين والمحرضين على الفتنة ومن يطالب بحماية دولية للنصارى.

الوحدة الوطنية إلزام وطني للمسلمين والنصارى بلا مـن أو تعـال، إذا كـانت المكاسـب تسـتند إلـي ضـغوط خارجية فسوف تكون قصـيرة العمـر وليسـت فـي صـالح النصارى علي المدي البعيد فالضمانة الحقيقيـة للعلاقـات الداخلية بين المصريين بعضهم البعض وبينهم وبين الدولة هي تماسك الجماعة الوطنية واللجوء إليهـا فـي الأزمـات

وتلك هي التوازنات الصحيحة التي يقوم عليها وطـن فـي حجم مصر.

شـعب مصـر يريـد دولـة ذات مرجعيـة إسـلامية وإذا اعترضت أمريكا فلسنا نطلب تحكيم الشـريعة الإسـلامية على الأمريكيين ولا على المسلمين المقيمين في أمريكا، بـل نطلبهـا للمصـريين المسـلمين فـي مصـر العروبـة والإسلام.

الفصل الرابع: ماذا أفعل لو كنت رئيسا لمصر؟

تميزت مصر بموقعها الجغرافي والتاريخي، ومن هذه النظرة يلقي المصريون إلى رئيسهم القادم المسئولية التاريخية المستقبلية لهذا البلد العظيم، أن نعيد لمصر تميزها وتاريخها الذي سلب منها، وتعود من جديد أم الدنيا.

على المستوى الدولي، يجب أن تعيد مصر علاقتها المتوازنة مع كل الدول والمنظمات الدولية، وهذا الخلل في التوازنات الدولية بين الغرب والعالم الإسلامي يجب أن يعالج من خلال مسئولية مصر بحكم موقعها وتاريخها. حق الفيتو ليس من القانون الدولي بل يخترق القانون الدولي ويجعل الدول القوية تبتلع أو تعتدي على الدول الضعيفة، أو من قامت بإضعافها بالسيطرة على قراراتها واقتصادها، كما رأينا في الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق. فإذا كانت أمريكا قوية فهي سارقة للأوطان، ولابد من التمسك بالحقوق والإصرار على إرجاعها، وهذه مسئولية مصر بالتعاون مع المجتمع الدولي.

على المستوى الإقليمي، يجب أن تعلم مصر رئيسا وشعبا أن مصر قلب الأمة العربية والإسلامية، وليست معاهدة مع عدو مغتصب يجعلها تنسى أمنها القومي وعمقها الإستراتيجي مع جيرانها من العرب والأفارقة، فالأمن القومي المصري يمتد من تركيا شرقا إلى وسط أفريقيا جنوبا، ومن الخليج العربي شرقا إلى جبل طارق غربا، وأي إخلال بالتوازن في هذه المنطقة فهو يؤثر تأثيرا مباشرا على الأمن القومي المصري، وما حدث من

محاولة تقسيم العـراق، وتقسـيم السـودان وغيـره ليـس ببعيد.

وهذا التوازن الإقليمي والدولي لـن يتـأتى إلا بتـوازن وتقوية الجبهة الداخلية لمصر، وشعب مصـر هـو الركيـزة الرئيسية التي تستند إليه الرئاسة لتحقيق هذا. ويتم تقوية الجبهــة الداخليــة بعــدة إصــلاحات تتــم علــى المســتوى السياسي والإقتصادي والإجتماعي.

على المستوى الداخلي

المرجعية لأحكام الإسلام

مـن أهـم مـا يميـز تلـك الثـورات العربيـة هـو ظهـور الحركات الإسلامية على الساحة، وقد غـاب الإسـلام عنـا كـثيرا وانتظرنـا عـودته كمـا لوكنـا مـن قبـل لـم نكـن مسلمين."قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمـن عليكـم أن هداكم للإيمان"

ما هذا التخوف من التيارات الإسلامية؟ هل نحن غيـر مسلمين أم أننا مسلمون لا نعـرف عـن الإسـلام شـيئا إلا أن فيه حـد قطـع اليـد للسـارق والسـارقة، والنـاظر فـي كتاب الله سبحانه وتعالى يجد أن آيات القرآن 6300 آية، وذكرت الحدود في حوالي عشرة آيات أو أكثر قليلا، فأين باقي آيات القرآن، هل حفظ الله سبحانه وتعـالى القـرآن ليضـمن تنفيـذ الحـدود أم أنـه جـاء لينظـم حيـاة الفـرد والمجتمع بـل ينظـم حيـاة العـالم بكـامله فـي ظـل الآيـة الكريمة "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

يقول الشيخ الغزالـي رحمـه اللـه: إن الحكومـة فـي الإسـلام ليسـت معنيـةً برفـع مسـتوى المعيشـة، وتـوفير السلع والخدمات والمرافق؛ لتكـون الحيـاة رطبـةً حسـنةً فحسب، وإنما يمتدُّ واجبها إلى أن ترقـى بالإنسـان روحًـا

وجسدًا، وتضمن له مستقبل الدنيا وسعادة الآخرة، ولا تجد ذلك إلا في الإسلام، وهذا شرف لم تنلْه سوى حكومات الدولة الإسلامية بمعناها الصحيح.

الأستاذ الدكتور وديع فرج أستاذ القانون المدني ووكيل كلية الحقوق بجامعة القاهرة في الخمسينيات من القرن الماضي، والمحامي أمام محكمة النقض، وأحد الأسماء اللامعة في القانون المصري، وهو من القلائل الذين تمكنوا من التعمق في دراسة الشريعة الإسلامية، جهر بحبه وإعجابه بالشريعة الإسلامية في كل مناسبة، وعرف عنه ذلك بين زملائه وتلامذته.

حضر اجتماعًا عامًّا نظمه طلبة الإخوان المسلمين ليحاضر فيه الإمام الشهيد حسن البنا، وعقب انتهاء المحاضرة وجه إلى الإمام البنا قوله: "لئن كنت فضيلتك تتعصب للإسلام تعصبًا دينيًّا فإني أتعصب للإسلام تعصبًا علميًّا".

وقال أيضًا مخاطبًا الحضور: خير لهذا الشباب الفتي المتوثب الذي يفيض قوة وحيوية أن يسارع بالإنضمام إلى هيئة الإخوان المسلمين من أن يفني وقته وشبابه في شوارع فؤاد وعماد الدين.

وحيا الدكتور وديع مندوب الإخوان بهتاف الإخوان الله أكبر ولله الحمد، مردفًا ذلك بقوله: لا تعجب لترديدي هذا الهتاف فإني أومن بأن هذا هتاف كل شخص يؤمن بدين سماوي، ولقد أجرت معه جريدة "الإخوان المسلمون" في عام 1954م في عددها الأول السنة الأولى حوارًا حول الشريعة الإسلامية جاء فيه الحديث التالي[1]:

---

[1] www.ikhwanonline.com

اشتهرتم بين تلامذتكم بإعجابكم بالشريعة الإسلامية وتقديركم لها، وظهر هذا واضحًا في محاضراتكم، فهل تستطيعون أن تعطونا صورة عن مميزات الشريعة الإسلامية التي كانت سببًا في إعجابكم بها؟

قبل أن أجيب على أي سؤال أحب أن أجيب بصراحة إني لا أجامل الإخوان المسلمين ولا أجامل المسلمين، وإنما أنا صادق في كل كلمة أقولها وأومن بكل لفظ أنطق به، بل إن كل منصف متعمق في دراسة الشريعة الإسلامية يشاركني في هذا.

لقد ألقيت محاضرة في الخرطوم عام 1945م عن فضل الشريعة الإسلامية وتفوقها على مختلف الشرائع الأخرى، وتناولت في هذه المحاضرة تحرر الشريعة الإسلامية من الشكليات التي تنوء بها الشرائع الأخرى وكيف أن الشريعة الإسلامية جعلت الصدق وحسن النية أساس المعاملات.

وكل من درس الشريعة الإسلامية وتعمق في دراستها لا بد أن يحترمها ويؤمن بصلاحياتها ومجاراتها لكل عصر، وأن أساس الفكرة الخاطئة عن الشريعة الإسلامية عند بعض الناس هو جهلهم بقدرها وأصولها، وأستطيع أن أجزم بأن السياسة الشرعية من أخصب المصادر التي تمدنا بالتشريعات، والقوانين اللازمة لنا.

ثم إن من يفسر أسس هذه الشريعة طبقًا لأصول الثقة لا يمكن أن تقف أمامه عقبة ما ولا يدخله أي شك في أن الشريعة الإسلامية أنفع وأجدى لنا من أي شريعة أخرى، وإذا كانت الشريعة الإسلامية- كما يقول المعارضون- قد حرمت بعض التصرفات، فإنها لم تحرم إلا ما يلحق بالناس الضرر.

والواقـع أن الواحـد منـا يشـعر بشـدة حـاجته إلـى دراسة شريعة بلاده عندما يكـون بالخـارج، ولقـد لمسـت هـذا الوضـع بنفسـي، ولأضـرب مثلاً صـادفني وأنـا فـي باريس، فقد جمعتنـي نـدوة مـع بعـض الأسـاتذة والطلبـة والطالبات مـن مختلـف الـدول، وكنـا نتكلـم عـن حقـوق المرأة المتزوجة، وتكلم كل مـن فـي النـدوة عـن حقـوق المرأة من وجهة نظر شـريعة بلاده، ولمـا كنـت الشـرقي الوحيد في هذه الندوة، فقد طلب مني الأستاذ المشـرف على هذه الندوة أن أدلي أنا الآخر بدلوي، فمـا إن نهضـت للكلام حتى ابتدرتني فتـاة دميمـة بقولهـا: يقينـي أن هـذا سيكون رأيه بشعًا، فشعرت أن صفعة قوية ومهانة بالغـة قد وجهت إلى الشريعة الإسلامية فـي شخصـي. ولكننـي تمـالكت نفسـي وأخـذت أتكلـم عـن فضـل الشـريعة الإسـلامية، وأسـهبت فـي سـبقها كـل الشـرائع فـي هـذا المضمار ومدى كفالتها خير كفالة للمرأة المتزوجـة، ومـا إن انتهيت من كلامي بين إعجاب الجميع ودهشتهم، فهـم يجهلون كل شيء عن شريعتنا الغراء حـتى وجـه الأسـتاذ قوله إلى هـذه الفتـاة قـائلاً: مـا عليـك إلا أن تـذهبي إلـى مصر إن أردت الحصول على مثل هذه الحقوق.

شـعرت بالفخـار والزهـو ولا عجـب فـي ذلـك؛ لأنـي كمصـري أعتـبر الشـريعة الإسـلامية شـريعة لـي، لأن المسلمين يمثلون أكثر من تسعين في المائة من مجموع المصريين فأي إهانة تلحق بالشريعة الإسلامية فإنما هـي إهانة موجهة إلي مباشرة.

وهكـذا يجـب أن يكـون كـل مصـري مهمـا اختلفـت ديانته على بينة من أمر هذه الشريعة وأحكامها.

لماذا يرد المسلمون فـي مصـر علـى اسـتحياء علـى من يريد تحويل مصر إلى دولة لا دينية، بحيث يشطب من الدستور أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، وأن مبادىء

الشريعة الإسلامية هـي المصـدر الرئيسـي للتشـريع إلـى درجة أن بعضهم استنكر أن يكون دين الدولة هو الإسـلام قائلا بغباء : كيف تكون وزارة الصحة إسلامية؟.

وعندما يطرح العلمانيون هذه الأفكار الرافضة للهوية الإسلامية يستشهدون بالغرب العلماني، العالم المتحضر، العالم الديموقراطي، العالم الأول بزعمهم، تعـالى ننظـر إلى أعلام الدول فـي العـالم كلـه، سـتجده رمـزاً يعكـس هوية الدولة، هناك أكثر من خمـس وعشـرين دولـة حـول العالم، كثير منها دول أوروبية رسمت الصليب في علمهـا ليدل على الهوية الدينية لهذا البلد، منهـا إنجلـترا، فنلنـدا، السويد، سويسرا، أيسلندا، اسـتراليا، الـدنمارك، وغيرهـا كثير من الدول رسم الصليب في علمها، للدلالة علـى أن دين هذه الدولـة هـو النصـرانية، حـتى الكيـان الصـهيوني الغاصب لأرض فلسطين، وهي الدولة الوحيدة التي تمثـل اليهود، رسموا في علمهم ما يعكس هويتهم الدينيـة، ولـم يستنكر العالم ذلك.

فإذا ما فكرنا في إقامة دولة الإسلام في مصر وهــي دولة مسلمة منذ أربعة عشر قرنا ورسمنا العلم المصري ليبين الهوية الإسلامية للدولة المصرية اعتبره العلمـانيون نوعا من التطرف والرجعية والطائفية، بينمـا يقبـل هـؤلاء العلمانيون أن يرسم الصليب فـي أعلام كـثير مـن الـدول التي يعتبرونها متقدمة.

لم يكتف الأوروبيون بإتخاذ الصليب شـعاراً لهـم فـي علـم دولتهـم الرسـمي بـل رسـموا الصـليب فـي شـعار وأعلام أنـديتهم الرياضـية، بـل لقـد ارتـدى لاعبـوا نـادي انترميلان الإيطالي ملابس المباراة وقد رسم عليها صليب عندما لعبوا أمام ناد تركـي قبـل أربـع سـنوات، وقـد قـام محام تركي برفع قضية على هذا النادي لأنه لبـس شـعارا يدل على (الحروب الصليبية) كما ورد في الأنباء.

لماذا يستنكر العلمانيون فـي مصـر أن نرفـع شـعار: دولـــــــــــة بمرجعيـــــــــــة إســـــــــــلامية، ويفتخرون أن الثورة لم يكن فيها شعار ديني، فضلا علــى اعتراضهم على المادة الثانية من الدستور المصري.

على الإسلاميين أن يبادروا إلى إلجام العلمـانيين بمـا يفعله الأوروبيون الـذين يعتـبرونهم قـدوة لهـم، فملاحـدة أوروبا، والشواذ فيها، يفتخرون بصلبانهم حتى في المجال الرياضي والفني والإقتصادي فضلا عن السياسي، فكيــف نخشى نحن من رفع راية التوحيد.

مصر مسلمة، مصر شامة في أرض الإسلام إن اعـتز أهلها بدينهم، قال عنها عمرو بن العاص رضـي اللـه عنـه: ولاية مصر تعدل الخلافة، وبإذن الله، صفحة مظلمـة مـن التاريخ ستطوى، وستفتح صفحة يشع منها النور.

الإصلاح السياسي

فصل السلطات: القضائية والتشريعية والتنفيذية

وزير العدل ليس من الهيئة القضائية فهـو مـن أفـراد السـلطة التنفيذيـة وهـو غيـر مسـتقل لخضـوعه لرئاسـة الوزراء ولمجلس الوزراء وهو يشغل وظيفة سياسية ممـا يمتنع على القضاة الاشتغال بها مهما بقوا قضـاة عـاملين وهو لا يتمتع بضمانة من ضمانات الاستقلال فـي قراراتـه وليس من حصانة له من عدم العزل حيث ينـص الدسـتور علــى أن القضــاة غيــر قــابلين للعــزل، وإفــراغ العمــل القضائي من محتواه هو مسـلك سياسـي ربمـا ينتفـع بـه على المدى القصير ولكنه يهدم الكـثير مـن نظـام الحكـم ذاته مشبها ذلـك بتـاجر يسـيء اسـتغلال الاسـم التجـاري بوضعه بضاعة فاسدة.

السلطة التنفيذية في مصر تنشيء حزبا تخوض به الانتخابات التي تشرف عليها وتسيرها السلطة التنفيذية بأدواتها الأمنية والإقتصادية والإعلامية ومن هنا تنشأ المؤسستان التشريعيتان وهما مجلسا الشعب والشورى "عن طريق حزب الحكومة بما يضمن سيطرتها عليهما."

قال البشري: إن المحكمة الدستورية حكمت بعدم شرعية المجالس النيابية في مصر لأربعة إنتخابات في أعوام 1984 و 1987 و 1990 و 1995 وترتب على ذلك بطلان تشكيل المجالس النيابية على مدى 16 عاما متصلة بين عامي 1984 و 2000 كانت مصر خلالها خارج إطار الشرعية الدستورية، كان نظام مبارك يتغنى بالشرعية الدستورية خلال أيام الثورة المصرية في 25 يناير 2011، متعللا أنه لا يمكن تعديل الدستور إلا بوجود مبارك في السلطة ولن يتم ذلك في وقت لا يقل عن ستة أشهر، وهي المدة الباقية له في فترته الرئاسية الأخيرة، وقد حكم مصر 16 عاماً متصلة خارج إطار الشرعية الدستورية.

تسعى السلطة التنفيذية ممثلة في وزارة العدل منذ الأربعينيات للإحاطة بالهيئات القضائية والهيمنة عليها وكان نادي القضاة هو المؤسسة التي تمثل قطبا يجذب أعضاءه استقلالا عن وزارة العدل والوزير الذي يشغل منصبا سياسيا حزبيا ويمثل السلطة التنفيذية، وقرارات نادي القضاة بوجوب الاشراف الكامل والحقيقي على الانتخابات لا يعتبر اشتغالا بالسياسة، واذا اعتبرت هذه المطالب اشتغالا بالسياسة فلابد من اعتبار عملية الإشراف على الإنتخابات التي أوجبتها عليهم المادة 88 من الدستور إشتغالا بالسياسة لأن هذا الإشراف هو أصل المطالبة.

ويرى القاضي المفكر طارق البشري صونا لإستقلال القضاء ألا يعين قاض بوظيفة أخرى إلا بعد تركـه القضـاء بثلاث سنوات وألا يتقرر لقاض معاش إستثنائي عند تركـه القضاء إلا بعـد عـرض الأمـر علـى جهـات القضـاء لوضـع الضوابط المناسبة، ويضيف أن نظم الحكم عنـدما تكـون قوية وتستند إلى شرعية فإنها تتعامل بثقة وشجاعة لكنها حين تفقد القوة "تكون على درجـة عظيمـة مـن الإحتيـاج لأن تستر سياساتها وممارساتها وأفعالها" ، وأشار إلى أن تمسـك القضـاة بإسـتقلالهم هـو رفـض لإسـتغلال ظـاهر حيادهم الوظيفي لتحقيق أهداف منحازة للقابضـين علـى نظام الحكم.

إنتخابات حرة نزيهة

كل مـن يمـارس سـلطة عامـة إنمـا يسـتمد شـرعية ممارسته لهـا مـن تفـويض لـه واختيـار لـه مـن الجماعـة السياسية، والوضعيون المحدثون يتكلمون عن النيابة عن الشعب حتى إن كانوا نازيين أو فاشيين، والفقه الإسلامي يصدر عن البيعة من الأمة والنيابة عنها في إطار الشريعة الإسلامية وبشرط حراسة الدين والدنيا [1]

وهذا التمثيل يجب أن يتحقـق بانتخـاب نزيـه واختيـار حر، وهو يفقد شرعيته إذا كان مزوراً أو كـان صـادرًا عـن إكراه، كما يفقد شرعيته إن تجـاوزت الممارسـة شـروط الولاية أو النيابة؛ لأنه ما من نيابة إلا وهي محدودة لا تقبل التجـاوز، ومقيـدة لا تقبـل الإطلاق، ومشـروطة لا تقبـل الانفلات مـن شـرطها، وإذا لـم تتحقـق إرادة التمثيـل أو النيابـة ينكسـر وعـاء الشـرعية فـي ممارسـة السـلطة

---

[1] المستشار: طارق البشرى، ورقة مقدمة إلى الدورة الخامسة لمؤتمر الحوار القومي الإسلامي الذي عقد في بيروت يومي 1 و 2 ديسمبر 2004(بتصرف)

العامة، وتصبح عـدوانًا بحتًـا مـن فـرد أو أفـراد أو جماعـة محددة بعينها.

وانفراد جهاز واحد بممارسة السـلطة يجعلـه مهيمنـاً عليها، ولذلك يجب أن يصدر القرار وتمارس السلطة عبر هيئات ومؤسسات يشارك بعضها ويراقب بعضـها ويكمـل بعضها بعضًا، بشرط أن تكون هنـاك اسـتقلالية بيـن هـذه الهيئات لتحقق التوازن المطلوب، ويجـب أيضـا أن يكـون هناك مبدأ جماعيـة القـرار، فلا يصـدر أي قـرار مـن فـرد واحد، أو أفراد محدودين إنما يصـدر مـن جماعـة متوازنـة بغير هيمنة فردية لأحدهم أو لبعضهم على الآخرين.

ومن المبادئ الهامة أيضا تحديـد فـترة زمنيـة لتـولي الوظائف والمناصب العامة، وتـداول هـذه الوظـائف مـن أفراد ومجموعات متعـددة ومتواليـة، وهـذا التـداول يميـز العمل العـام عـن القـائم بـه، ولكـي لا يتشخصـن العمـل العام ويفقد موضوعيته وعموميته.

ولـم يَعُـد أحـد يطـالب بالانتخابـات ولا بالبيعـة ولا بالاختيـار، إنمـا يطـالب فـي كـل ذلـك أن يكـون: نزيهًـا وتطوعيًّـا وحـرًّا وصـحيحًا، لنتمكـن مـن مواجهـة أخطـار الخارج التي لاتقتصر على مسائل الغـزو والاحتلال فقـط، إنما تشمل ضـغوط الخـارج الاقتصـادية والسياسـية الـتي تهدد الإرادة الوطنية لبلادنا، وكذلك ما تغلغلت به المصالح الأجنبية في النسيج السياسـي الاجتمـاعي المصـري، بمـا يعوق المصلحة الوطنية في إرادة سياسية واضحة ويعوق فاعلية العمل الوطني.

عنـدما نتكلـم عـن ثـوابت الـدين إنمـا نصـدر عـن المرجعيـة الدينيـة وأصـولها، والمرجعيـة الدينيـة تلـزم المتدين، واختياره لتدينه يلزمه إراديًّا بحراسـة ثـوابت مـا يتدين به، ولا تقوم لديه مشكلة في احتكامه إلى ثوابت ما يريد أن يحفظه، كما لا تقوم مشكلة لدى من يتحاور معـه

من المتدينين؛ وذلك لاستقرار توافقهما على الاحتكام إلى ما يتوافقون على حفظه من ثوابت وأصول ومرجعيات.

وتقوم المشكلة عندما لا يكون الطرف الآخر في الحوار متدينًا، ويكون صادرًا عن مرجعية وضعية يريد لها السيادة، هنا يدور الجدال على محورين متوازيين لا يلتقيان، ولا يستطيع المتدين أن يلزم غير المتدين بموجبات التدين، ولا يستطيع أن يلزمه بحاكمية لا يقبلها غير المتدينين ولا يقبلون حكمها، ولعل البعض منهم يجتهد في سعيه إلى تنحيتها.

وما دام الوضع الاجتماعي المشترك والعيش المشترك يفرض علينا أن نتحاور ونتجادل ونضم جهودنا إلى بعضها البعض لنواجه ما نواجه من مخاطر، فعلينا أن نسعى إلى استخراج معايير للاحتكام تمكن من المجادلة بالتي هي أحسن، وهناك ثلاثة ضوابط للمجادلة:

الأول: إن ثمة ما يميز الحق عن الحرية، والحرية هي بتعبيرات الفقه الإسلامي "رخصة" أي هي إتاحة وهي إمكانية، وإن مطالعة بيانات حقوق الإنسان العالمية توضح هذا الأمر؛ لأن الحق هو ما ثبت ووجب وصار معينًا ومحددًا أو قابلاً للتعيين أو التحديد، بينما الحرية هي إتاحة عامة وإباحة عامة، وهي مكفولة للشخص بنص مواثيق حقوق الإنسان، ولكنها في استخدام المرء لها إنما يتعين ألا يخل استخدامها "الحر"، "بحقوق" الآخرين، فحريتي تقف عند أعتاب حق غيري، وحريتي في الحركة والتنقل تقف عند حدود ملك غيري، أرضًا كان أو سكنًا؛ ولذلك كانت حرية التعبير وما يتعين أن يتمتع به الإنسان من حرية التعبير والتفكير والرأي، اعتناقًا وتلقيًا وإذاعة حسبما تنص المادة 18 من بيان حقوق الإنسان (10 ديسمبر 1948) هذه الحرية إنما يضبطها ويحدها ما

أوردتـه المعاهـدة الدوليـة للحقـوق المدنيـة والسياسـية الصادرة عن الأمم المتحدة في 1976، عندما نصت فـي المـادة 17 علـى عـدم جـواز التـدخل التعسـفي فـي خصوصيات أحـد أو المسـاس بشـرفه وسـمعته، وعنـدما نصت في المادة 20 على منع أية دعوة للكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية، ومن هنـا يظهـر الضـابط الـواجب الالتزام به في ممارسة حرية التعبير وهـو ألا يسـيء إلـى ذوي الأديان والعقائد.

الثاني: إن الحريات أمر مكفـول للشـخص أو للفـرد، وهذان اللفظان هما ما استخدم في كـل إعلانـات حقـوق الإنسـان والإتفاقيـات الدوليـة بشـأن الحقـوق المدنيـة والسياسـية، والمقـرر المعـترف بـه أنـه إذا تعـارض حـق الفرد مع حق الجماعة، وجب بذل الجهود للتوفيق بينهمـا، فإن لم يكن التوفيق، وفيما لم يمكن فيه التوفيـق، يجـب تقديم حق الجماعة، ويصير حق الجماعة أولى بالمراعـاة من حقوق الفرد، وهذا المعيار ثابت في الفقـه الإسـلامي الذي يجعل حق الجماعة مـن حقـوق اللـه سـبحانه، إعلاء لهـذا الحـق وتعظيمًـا (لأن اللـه مسـتغن عـن النـاس وجماعاتهم)، وحتى لا يصادر أحد من الطغاة حق الجماعة فيـدعي لنفسـه القوامـة عليهـا. وفـي الفكـر الوضـعي أخضعت الفقرة 3 من المادة 18 من المعاهـدة الدوليـة الحقوق المدنية والسياسية (1976) أخضعت حرية الفرد في التعبير عن ديانته ومعتقداته "للقيود المنصوص عليهـا في القانون والـتي تسـتوجبها السـلامة العامـة أو النظـام العـام أو الصـحة العامـة أو الأخلاق أو حقـوق الآخريـن وحريـاتهم الأساسـية"، وكـذلك ضـبطت المـادة 19 مـن المعاهـدة ذاتهـا حريـة التعـبير بـاحترام حقـوق الآخريـن وسمعتهم وحماية الأمن الوطني والنظـام العـام والصـحة العامة والأخلاق.

الثالث: حرية التعبير تتعلق بأمر بشري، وأمور البشر نسبية، وهي دائمًا محدودة بقيود تتعلق بحقوق الغير وحرياتهم، والأمور البشرية تحتمل الزيادة والنقصان وترد عليها احتمالات التجزؤ، ونحن إذا راجعنا أي دستور من الدساتير، نلاحظ أن الحقوق العامة والرخص يرد عليها الإقرار الدستوري لها مضبوطة بضوابط التنسيق والتنظيم، أما الثوابت الدينية فهي مطلقة سواء في الإسلام أو في المسيحية أو في غيرها، والمطلق لا يحتمل النقص ولا الزيادة، ولا ترد عليه تجزئة ولا تبعيض، وهو لو انجرح لا يبقى منه شيء؛ لذلك نهينا عن أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعضه، ولا يمكن أن يوجد معيار يمكن به استبعاد بعض آيات القرآن واستبقاء الباقي منها؛ ولذلك فإن حقوق البشر وحرياتهم -وهي نسبية- ينبغي أن تقف عند حدود المطلق من ثوابت الدين، والنسبي إذا نقص يستمر الباقي موجودًا بينما المطلق لو نقص لا يبقي منه باق.

الإصلاح الإقتصادي

وقف التطبيع مع الكيان الصهيوني

نشر الباحث الجزائريّ بشير المصيطفي، دراسةٌ في صحيفة "الشُّروق" الجزائريَّة رسمت بعضًا من معالم واقع التَّطبيع الاقتصاديّ والتجاريّ بين العالم العربيّ والإسلاميّ وبين إسرائيل، ففي العام 2008م، بلغ حجم التَّبادُل التِّجاريّ بين إسرائيل ومصر نحو 292 مليون دولار، بزيادةٍ قدرها 18% عن العام 2007م، بينما لم تتجاوز التِّجارة البينيَّة بين الجزائر وليبيا على سبيل المثال 40 مليون دولار العام 2009م. وبالمناسبة، لا تتعدَّي نسبة التَّبادُل التِّجاريّ بين الدِّول العربيَّة نسبة الثَّمانية بالمائة من إجمالي التِّجارة العربيَّة بحسب "التقرير الاقتصادي العربي الموحد 2008"، بينما يُشكِّل التَّبادُل

التِّجاريِّ 25% من تجارة إسرائيل الخارجيَّة، وهي نسبة تجعل العرب ثاني شريكٍ تجاريٍّ لإسرائيل بعد الولايات المتحدة

وهناك عجزٌ تجاريٌّ بين الجانبَيْن لصالح إسرائيل، بنحو 28 مليون دولار؛ حيث بلغ إجمالي الصَّادرات الإسرائيليَّة لمصر حوالي 160 مليون دولار في مقابل 132 مليونًا صادراتٍ مصريَّةٍ لإسرائيل، وتستورد مصر 200 مُنتجٍ من اسرائيل، بواسطة عدد من المصدِّرين الاسرائيليِّين، وعددهم 321 مُصدِّر يعملون في السوق المصريِّ. وتُساهم 575 شركة من الجانبَيْن، في دعم التِّجارة البينيَّة بين مصر وإسرائيل، من بينها 300 شركةٍ مصريَّةٍ، من بينها شركات تساهم في إمداد إسرائيل بحديد التَّسليح والأسمنت اللَّازمَيْن لبناء المستوطنات والجدار العنصريِّ في الضِّفَّة الغربيَّة، فيما تُصدِّر إسرائيل إلى مصر بعض المنتجات الزِّراعيَّة والأسمدة والمواد الطِّبِّيَّة والأجهزة الصِّناعيَّة، في مقابل النَّفط والغاز والسُّكَّر والمنسوجات. كما أنَّ هناك وجهًا آخر لدعم الشَّركات المصريَّة لإسرائيل، بعيدًا عن التَّطبيع؛ حيث تساهم بعض الشَّركات المصريَّة في عمليَّات بناء الجدار الفولاذيِّ على الحدود المصريَّة مع قطاع غزَّة، ومن بينها شركة "حديد عز" التي يملكها المهندس أحمد عز أمين التَّنظيم في الحزب الوطنيِّ الحاكم في مصر، وشركة "المقاولين العرب- عثمان أحمد عثمان وشركاه"، وشركة "أوراسكوم للمقاولات"، إحدى شركات "مجموعة شركات ساويرس مصر"، والتي تتبع رجلي الأعمال أنسي وناصف ساويرس. وكذلك هناك "الشَّركة العربيَّة السُّويسريَّة الهندسيَّة لتجارة الأسمنت"، وشركة "سيمكس- أسمنت أسيوط"، وشركة "العبور للصِّناعات المعدنيَّة"، والتي تورِّد الصَّاج المضلَّع والمجلفن على البارد و مواسير "بولي إثيلين" و"بي. في. سي"، لحساب

مشروع الجدار الفولاذيِّ، وهي ملك محمد ثابت شقيق حرم الرَّئيس المصريِّ، وهي تورد وتربطها شراكة مع بعض الشَّركات الإسرائيليَّة، من بينها شركة "كنعان". كما تقوم "شركة حاويات مصر" بتوريد البيوت الجاهزة للمهندسين والعمال للإقامة بها، و"شركة لمعي فهمي عبد الشَّهيد للتجارة والنقل" بشبرا، والتي تقوم بتأجير الأوناش الكبيرة الحجم الغير موجودة في القطاع العام، وتوريد الدربوكسات والسِّلك الواير وسيارات نقل الخرسانة وخلاطات الضَّغط إلى موقع المشروع. بالإضافة إلى ذلك، تقوم "شركة سيكا مصر للمواد العازلة" بتوريد ألواح العزل على البارد لعزل المياه الجوفيَّة عن الجدار، بينما تقوم "شركة الوفاء العالميَّة" للمواد العازلة، وهي المستورد الوحيد لمادة "Knight punt"، والتي تُخْلَطُ مع الأسمنت حتى يصبح كالفولاذ وغير قابل للتَّفجير أو الحفر فيه، فيما تقوم "شركة آكرو مصر للشدَّات والسَّقَّالات المعدنيَّة"، ومصنع "داي شين" للعوازل الفوم، بتوريد منتجاتهما لموقع بناء الجدار، الذي تشارك شركاتٌ أمريكيَّةٌ في دعمه، مثل "شركة ماكدونالدز مصر"، التي تقوم بتوريد الوجبات الجاهزة لمهندسي الموقع، وشركة مياه أكوافينا المعدنيَّة التَّابعة لشركة "بيبسي كولا" الأمريكيَّة. وفيما يخص الأردن، ثاني بلدٍ عربيٍّ يُقيم علاقاتٍ طبيعيَّةٍ مع إسرائيل، فبحسب بياناتٍ رسميَّةٍ صدرت عن دائرة الإحصاءات العامَّة الأردنيَّة، في أبريل 2010م، فقد بلغ حجم التَّبادُل التجاريِّ بين الطَّرفَين في العام الماضي نحو 231 مليون دولار، مسجلاً تراجعًا بمقدار حوالي 19,5% عن مستوياته التي تحققت في العام 2008م، بإجمالي 342 مليون دولار، وقالت الدَّائرة إنَّ قيمة الواردات الأردنيَّة من إسرائيل في العام 2009م، بلغت 131 مليون دولار، فيما بلغ حجم الصَّادرات الأردنيَّة لإسرائيل 100 مليون دولار، بفائض 31 مليون دولار لصالح إسرائيل

وبخلاف مصر والأردن، يحتل العـراق موقعًـا متقـدِّمًا في التِّجارة الخارجيَّة لإسرائيل بنسبة 43% من إجمـالي المبادلات الإسرائيليَّة- العربيَّة، ولكن ذلـك يتـم مـن خلال استبدال علامات بلد المنشأ علـى المنتجـات الإسـرائيليَّة؛ حيث يتـم تصـدير هـذه السِّـلع أولاً إلـى قـبرص أو وجهـةٍ أخرى مماثلةٍ؛ حيث يتم اسـتبدال علامـات المنشـأ عليهـا، ثُم يتمُّ إعادة تصديرها إلى العراق

وبحسب تقرير لمعهد التصدير الإسرائيليِّ، فإنَّ هــذه الطَّريقة تتبعها إسرائيل أيضًا لإدخال منتجاتها إلـى الـدِّول الثَّلاث الـتي لا تـزال تتبنَّـى سياسـة المقاطعـة الكاملـة لإسرائيل، وهي: إيران وسـوريا ولبنـان، حيـث تصـل هـذا البضائع بواسطة طرفٍ ثالثٍ وهي لا تحمـل هُويَّـة الصُّـنع الإسرائيليَّة أو عبارة "صُنِعَ في إسرائيل"

أمَّا بقيَّة الدِّول العربيَّة والإسلاميَّة فتُمارس الشَّــراكة التِّجاريَّة مع إسرائيل من بوابة الشَّركات الأجنبيَّة ومكاتب الاستثمار المنتشـرة فـي الـوطن العربـي أو عـن طريـق إعـادة التَّصـدير والاسـتيراد مـن دول أخـرى، أو بالتَّحايُـل على شهادات المنشـأ. وفـي هـذا الإطـار، أصْـدَرَتْ دائرة الإحصاء المركزيَّة الإسرائيليَّة إحصائيَّةً في العـام 2009م الماضــي، بعــض الإحصــائيَّات العامَّــة حــول العلاقــات الاقتصاديَّة والتِّجاريَّة بينها وبين الدول العربيَّـة والإسـلاميَّة في العـام 2008م، وللأشـهر العشـرة الأولـى مـن العـام 2009م، وكانت كالتَّالي:

- أولاً: تصّدر إسرائيل مُنتجاتهـا مباشـرةً إلـى 16 دولـةً عربيَّةً وإسلاميَّةً، بقيمة 2,1 مليار دولار، وهي: مصـر، الأردن، المغـرب، تـونس، موريتانيـا، الكـويت، لبنـان، سـوريا، العـراق، عمـان، السَّـعوديَّة، قطـر، البحريـن، تركيا، ماليزيا، إندونيسيا.

- ثانيًـا: تسـتورد إسـرائيل مُنتجـاتٍ مـن 9 دولٍ عربيَّـةٍ وإسلاميَّة، بقيمة 3,24 مليار دولار في العام 2008م، ولكنَّها تراجعت في الأشهر العشرة الأولـى مـن العـام 2009م، إلـى مسـتوى 1,18 مليـار دولار، بسـبب الحرب على غـزَّة، وهـذه الـدِّول هـي: مصـر، الأردن، المغرب، تركيا، ماليزيا، إندونيسيا، وفـي ذات الفـترة، الأشهر العشرة الأولى مـن العـام 2009م، بلـغ حجـم الـواردات الإسـرائيليَّة مـن الـدِّول السِّـتَّة نحـو 1,36 مليار دولار.
- ثالثًـا: الشَّـريك التِّجـاريِّ الأوَّل لإسـرائيل مـن الـدول العربيَّة والإسلاميَّة، هـو تركيـا؛ حيـث تـبيّن إحصـائيَّات الأشهر العشرة الأولى من العام 2009م، أنَّ صادرات تركيا إلى إسـرائيل بلغـت 1.14 مليـار دولار، وبلغـت وارداتها من إسرائيل 878,2 مليون دولار، وكان مـن بين أهم أوجُه التَّطـبيع التُّركـيِّ- الإسـرائيليِّ، التَّعـاون العسكريِّ وكذلك في المجال المائي؛ حيث انت تركيـا تُصدِّر مياه الفـرات إلـى إسـرائيل مـن خلال مشـروع سد الأناضول الكبير، إلا أنَّ هذَيْن الجانبَيْن تراجعـا بعـد تـولِّي حـزب العدالـة والتَّنميـة ذي التَّـوجُّه الإسـلاميِّ للحكم في تركيا.

بكـلِّ تأكيـدٍ، فـإنَّ الحكومـات العربيـة قبـل الثـورات انعدم الأمل فيها لوقف التطبيع، وبَقِيَ الأمـل فـي جهتَيْـن رسميَّتَيْن في العالم العربيِّ والإسلاميِّ :

الأولى: هي جامعة الدِّول العربيَّـة؛ حيـث يجـب علـى أمانة الجامعة تفعيل عمل مكتب المقاطعة، والإعلان عن الدِّول والشَّركات المُطبِّعة؛حيث لا يـزال خيـار المقاطعـة هو الخيار الرَّسميِّ للجامعة،

أمَّا الطَّرف الثَّاني فهو حكومة تركيا الإسلاميَّة؛ حيـث يجب عليها استكمال ما بـدأته فـي صـدد تحجيـم علاقـات

تركيا مع إسرائيل، على النَّحوِ الفجِّ الذي سارت عليه حكومات حزب الشَّعب الجمهوريِّ التُّركيِّ العلمانيِّ السَّابقة.

المُهمَّة الأكبر إذن على عاتق الشُّعوب.. على أئمة المساجد في التَّعريف بالمخالفة الشَّرعيَّة الواقعة في التَّطبيع مع إسرائيل.. على الصَّحفيِّين والإعلاميِّين في جمع أكبر قدرٍ ممكنٍ من المعلومات عن الحكومات والشَّركات التي تدعم إسرائيل وآلتها العسكريَّة المُجرمة.. على المُثقَّفين في تنوير النَّاس بأنَّ كلَّ دولارٍ يدفعونه لإسرائيل يخدم آلتها العسكريَّة ومشروعاتها الاستيطانيَّة ويدعم إجرامها ضد الفلسطينيِّين.. على مُؤسَّسات المجتمع المدني في فضح هذه الحكومات والشَّركات، وفي استمرار الدَّعوة إلى مقاطعة إسرائيل.. على الشُّعوب في التَّحرُّك للضغط على حكوماتها في الشَّارع وفي النَّقابات والأحزاب وغيرها من منافذ العمل الشَّعبيِّ العام، من أجل وقف التَّطبيع.

وبدون ذلك الجهد الشَّعبيِّ، وبدون مواجهة قطار التَّطبيع الجامح، وإتفاقيَّات التَّسوية الباطلة التي فكَّت زمامه، فإنَّنا سوف نفاجئ بعد أشهرٍ قليلةٍ أو سنواتٍ قادمةٍ، بأنَّ حديد العرب ودولارات العرب قد أصبحت عبارةً عن مكوِّناتٍ في دبابةٍ إسرائيليَّة وطائرةٍ إسرائيليَّة تقتل شعوبنا داخل حدودنا هذه المرَّة.

تنمية سيناء

شبه جزيرة سيناء مساحتها 6 % من مساحة مصر، ونحو 3 أمثال مساحة الدلتا، وسواحلها 30 % من سواحل مصر، و أقل عزلة من باقي صحارينا، احتضنت القبائل السيناوية أثناء الاعتداء، ودمجتهم في الكيان المصري ضد العدو، ومع ذلك لا يوجد تخطيط قومي واعٍ

في مصر يدمج أهل سيناء في الوطن، ويدخل سيناء كلها في دائرة الحيوية والبقاء، بل هناك عدم اكتراث وتراخٍ في تنمية سيناء، وكأن هناك خطوطًا حمراء تمنع تعميرها، على الرغم من أنها موقع أمن قومي مباشر، وتم عزل سيناء عن مصر مما جعلها أشد خطرًا على أمن مصر من ذي قبل.

وقد اهتمت الدولة بتنمية الساحل الشمالي والغربي الذي كلف الدولة مليارات الجنيهات في المرافق، دون جدوى اقتصادية فضلاً عن مشروعات أخرى كلفت الدولة الكثير دون فائدة نتيجة فشل التخطيط والدراسة، إن الدراسات موجودة لا تخفى على أحد، ولكن لدينا شعب لا يقرأ وحكومة لا تتحرك بطريقة علمية ومخلصة؛ لأنها لم تهتم بما كتبه العالم الكبير د. جمال حمدان في كتابه "شخصية مصر" في فصل سيناء، ونحن لدينا قوة عاملة نستطيع غرس نية خالصة فيها بتنفيذ إرادة الله في إعمار الأرض، ولدينا شعب لديه روح أكتوبر ومعنوياتها وسيتحرك إلى سيناء مادام وجد همة ودفعة إلى ذلك، ونحتاج إلي إرادة واعية مخلصة، ومدير جريء وحاسم ومؤتمن ويتق الله، والمال سيأتي ولو بالجهود الذاتية (ww.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=48095&SecID=270).

لابد من تعمير سيناء بأسرع ما يمكن؛ من أجل الدفاع عنها، والتعمير لا يتأتى إلا بامتلاك المواطنين للأرض واتباع الأسلوب الذي يتبعه الصهاينة في بناء مستوطناتهم؛ بمعنى مشاركة الدولة بالتخطيط، وترك المواطنين للبناء والتعمير والاستثمار، بعد أن يشعروا بأن هناك أمانًا مستقبليًّا لهم واستقرارًا جديدًا لهم في هذه المنطقة.

قرأت تحقيقا في جريدة الأهرام المصرية الصادرة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1432هـ - الموافق 25 أبريل

2011، قام بهذا التحقيق وجيه الصقار بعنوان قناة برية موازية لقناة السويس يقول فيه:

أعلنت إسرائيل من قبل اعتزامها إقامة مجري ملاحي مواز لقناة السويس يستوعب الحركة الملاحية القادمة من البحرين الأحمر والمتوسط، بإمكانات تتناسب وأحجام السفن العملاقة ليبدأ من خليج العقبة إلي البحر الميت ثم البحر المتوسط، وحصلت علي بعض التأييد العالمي، إلا أنه ثبت اقتصاديا استحالة تنفيذ هذا المشروع حاليا، وهذا ما يلفت الإنتباه إلي الأخطار التي تتعرض لها مصادر الموارد الإقتصادية المصرية والتي ظهرت أخيرا في اعتزام إثيوبيا بناء سد يستوعب نصيب مصر من المياه وحقوقها التاريخية والدولية في النهر، ويجعلنا نطرح فكرة راودت خبراء مصر لمدة طويلة في إمكانية إقامة قناة موازية مصرية برية في سيناء.

الدكتور مهندس رزق طه شبانة أستاذ الدراسات المعدنية بمعهد التبين القومي يري أن الظروف الحالية تستوجب التحرك لملء الفراغ الذي تركته قناة السويس نتيجة وجود حاويات عملاقة لا تتحملها القناة، وبالتالي تدور حول رأس الرجاء الصالح، في الوقت الذي يري فيه كثير من الخبراء أن هذه القناة غير مستغلة الاستغلال الأمثل، ولا تفيد من إمكانات موقعها الإستفادة الكاملة شأنها شأن الممرات البحرية والقنوات المائية الواصلة بين البحار في شرق وغرب الكرة الأرضية، هذا علاوة علي أنها لا تخدم سيناء أو تعميرها بدرجة كانت متوقعة، فلم تجتذب العمالة أو التكاثف السكاني لملء الفراغ بسيناء لإعطاء بعد أمني وإجتماعي وإقتصادي.

وقال إن تعمير سيناء لابد أن يكون له مرتكز أساسي بإنشاء مشروع قناة برية موازية لقناة السويس، لإقامة تعمير حقيقي بسيناء ويحمي القناة البحرية في الوقت

نفسه وخليج السويس، فضلا عن حماية الملاحة البحرية المارة بالقناة، ويصبح هذا المشروع البري مرتكزا لحركة المصريين إلي كل أنحاء سيناء لإستغلال ثرواتها الغالية والنفيسة والمهدرة حاليا بفعل فاعل، أو للإهمال ولدفع الشرور التي قد تأتينا من هذه الناحية والتي عانينا منها طوال التاريخ.

وأضاف أن مشروع قناة السويس البري بسيناء مشروع مواز، والذي يفترض أن يكون موازيا للقناة البحرية، ويجب أن يكون بادئا من ميناء رأس مسلة على خليج السويس في سيناء والذي يجب معه أن يتم تعميق الميناء وتجهيزه ليصبح ميناء عالميا يستقبل السفن العملاقة والتي لا تستطيع المرور في قناة السويس، وليمتد هذا الطريق البري حتي ميناء شرق التفريعة بشرق بورسعيد ويمتد بنحو 120ـــ 150كيلومترا بجوار الطريق المرصوف علي مسافة تبلغ نحو 30كيلومترا أو أكثر بشرق القناة، وأن يعتمد هذا الخط البري في نقل الحاويات والبضائع من الجنوب إلي الشمال بين الميناءين علي خليج السويس وشرق التفريعة ذهابا وعودة، مما يدفع السفن الضخمة التي لا تمر بالقناة لاستخدام هذا الخط، وهذا يسمح بإعادة ثلث التجارة العالمية التي كانت تمر بمصر من قبل باستخدام هذا الخط، وسوف تزداد مع مرور السنين دون أن تستوعبها قناة السويس، نتيجة اتجاه الدول لاستخدام أجيال السفن العملاقة، عالية الحمولة والغاطس، والتي تضطر لتكلفة مضاعفة باستخدام رأس الرجاء الصالح.

وقال: إن العامل الأكثر فعالية أيضا للقناة البرية يكون في إنشاء ومد خطوط أنابيب لنقل البترول من الخليج العربي عبر الميناء المزمع إقامته علي خليج السويس وحتي ميناء شرق التفريعة والمتجه إلي البحر المتوسط ومنه إلي أوروبا.. وهنا نجد أن مصر أصبحت

محورا للتجارة العالمية التي انسحبت منها لسنين طويلة، خاصة أن إسرائيل تدرس حاليا إنشاء خط بترولي من إيلات إلي أسدود علي البحر المتوسط لتسحب تجارة البترول العالمية من قناة السويس.

ويطالب الدكتور رزق شبانة بضرورة إدخال الميكنة الزراعية بالمنطقة لتوفير احتياجاتها من الغذاء بكل أنواعه وباستخدام الري بالتنقيط والرش، والتركيز علي نشر زراعات النخيل والزيتون والقنبيط ومختلف الخضراوات والفاكهة والمحاصيل المناسبة للمنطقة، مثل الشعير والذرة، بما يوفر احتياجات سكان مصر، والتركيز أيضا علي استغلال ثروات سيناء المعدنية من الأحجار الكريمة والرمال والفحم والمنجنيز وغيرها، ومما يزيد الدخل القومي لمصر ويربط سيناء بمصر بعيدا عن الأطماع.

أما الدكتور جمال زهران، أستاذ العلوم السياسية بجامعة قناة السويس، فيؤكد أن قناة السويس كانت هدفا لمدة طويلة أمام إسرائيل منذ حروب 1956 و 1967و 1973 التي انتهت بإعادة افتتاحها فيما بعد النصر، كما أنه كانت هناك خطتان لإقامة قناة بحرية من إيلات علي خليج العقبة إلي البحر الميت إلي البحر المتوسط متوازية مع قناة السويس، إلا أن الدراسات أكدت صعوبة التنفيذ وسط أرض صعبة.

والقناة الأخري تكون برية لخدمة السفن من ميناء إيلات علي خليج العقبة بنقل البضائع بالكونتيرات إلي البحر المتوسط, علي اعتبار أنها أقل تكلفة مما تحصله قناة السويس، وهذا يكشف عن أن مصر قصرت كثيرا في تنمية القناة، مع أن هناك مشروعا قوميا للنهوض بها وتطويرها حتي عام 2017، ولم يتم أي شيء من هذا التطوير، ومن ذلك دعم القناة من حيث الإمكانات

والغـاطس، بمـا يتيـح اسـتيعاب مسـتويات جديـدة مـن السـفن العالميـة، وهـذا مقـدر لـه أن يكـون عـائده ثلاثـة أضعاف الدخل الحالي والذي بلغ أربعة مليارات دولار، أي أن رعايــة القنــاة ومشــروعاته يمكــن أن تمثــل عــائدا مضاعفا، أو عن طريق المواجهة الحقيقية بمشروع بـديل تحقق مكاسب مـن تنميـة سـيناء اقتصـاديا وبشـريا، ممـا يستوجب دراسة إمكانات إقامـة مشـروعات موازيـة مـع قناة السويس، حيث إن التكلفة سـتكون زائدة فـي حـال إقامـة قنـاة سـويس بريـة.. وينعكـس ذلـك علـي إقبـال السفن العالمية علي مثـل هـذه الخدمـة، ويمكـن للبـديل الموازي جـذب مجتمعـات جديـدة وسـكان للمشـروعات الخدمية وتشغيل الشباب.

وأضاف أن مشروعات تنميـة سـيناء بأنواعهـا أفضـل كثيرا وأكثر ضـمانا مـن مشـروعات توشـكي الـتي تكلـف فيها الفدان الواحد مائة ألف جنيه لإصلاحه وزراعته، وهــو رقم خيالي بكل المقاييس، وبينما مشروع كوبري السـلام علـي القنـاة والـذي تكلـف نحـو مليـار جنيـه لـم يحقـق الاستفادة الحقيقية من إقامته.

لا للقروض

المال الغربي كله قائم علـى الربـا الـذي حرمـه اللـه سبحانه وتعالى تحريما قاطعا، والربا لا يقتصر على المال بل يمتد إلى ربا التجارة والصناعة، وقـد عـرف الربـا فـي مجتمعنا الإسلامي إلا أنه ظهر بوجهه القبيـح عنـد اتصـالنا بالغرب ووفود الغربيين إلى بلادنا أيام الحملـة الفرنسـية، ودائما يـدخل المرابـي فـي أعقـاب المحتـل، لأن الاحتلال في ذاته ربا فاحش.

والاســتدانة فــي صــميمها تســول لكنــه مشــروط بالإلتزام بالسداد بعد أجل معلوم، وفي كتاب جون مــارلو

"تاريخ النهب الإستعماري لمصر- 1798" والـذي ترجمـه الدكتور عبدالعظيم رمضان يقول فيه عـن الـوالي محمـد سـعيد باشـا (1854-1863): إن سـعيدا هـذا أحـاط بـه المرابون النصابون الأجانب وزينـوا لـه عقـد قـرض كـبير، يغطي منـه ديـونه الصـغيرة الكـثيرة ويتبقـى منـه فـائض يمكنه من تمويل مشروعات إصلاحية تعـود عليـه بـالخير، وسترى أن الباشا انخـدع بهـذا الكلام وعقـد القـرض دون أن تكون به حاجة حقيقية إليه، فإن إيـرادات مصـر كـانت بخيـر وكـانت كافيـة لـو دبـرت بعقـل وحكمـة، ولكـن الشياطين ما زالوا به حتى وقع في الحفـرة، ومـا دام قـد وقع فيها فإن الدائنين حرصوا بعد ذلك على ألا يخرج منها أبدا، والذي وقع فـي الحقيقـة لـم يكـن محمـد سـعيد بـل مصر كلها، وقعت في أيدي زبانية الربا الذين ساقوها إلى الإحتلال والـذل[1]، وقـد اقترضـنا المـال مـن المرابيـن لنعطيهم إياه ويبقى القرض في أعناقنا قيد ذل، وسـبحانه عز من قائل في سورة البقرة: "يمحق اللـه الربـا ويربـي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم، وهـذا هـو الربـا قـد انمحق محقا وبقي الذل والعار والدين.

البنوك تسيطر تماما على المال في أمريكـا، واليهـود يسيطرون على البنوك الأمريكية، واليهود يـرون أن دولـة فلسطين المحتلة هي رمـز قـوتهم وهـي دولتهـم الـتي لا يشـعرون أنهـم اغتصـبوها مـن أهلهـا، وفـي الحقيقـة أن القضية الفلسطينية لـن تحـل إلا إذا انهـار البنيـان المـالي والإجتماعي والسياسي للولايات المتحدة كلها، فما دامت هناك ولايات متحدة فهنـاك كيـان صـهيوني محتـل للأرض الفلسطينية.

وقد وجه اليهود أبنـاءهم لدراسـة القـانون والإقتصـاد لأن المرابي يعتمد على المحـامي، وأخـذ اليهـود أمـاكنهم

---

[1] د. حسين مؤنس: الربا وخراب الدنيا ص 38 (1406 هـ - 1986م)

فـي القضـاء وأنشـأوا المكـاتب القانونيـة ورأس المـال اليهودي وراء ذلك كله، وكاتب اليوميات الأمريكي الشهير دولـتر ليبمـان قـدم نصـيحة لقـرائه خلاصـتها أن رئيـس الولايات المتحدة نفسه لو دخـل فـي نـزاع قـانوني حـول ألف دولار مع مكتب محاماة يهودي لخسر الرئاسة[1].

إذا اسـتطعنا أن نسـتخدم ثروتنـا اسـتخداما عربيـا لتخلصـنا مـن الإحتلال، فنحـن نملـك البـترول فـي دول الخليـج والمـوارد البشـرية فـي مصـر والأرض الزراعيـة الشاسـعة فـي السـودان، ونسـتطيع أن نقيـم صـناعات وزراعـات عربيـة قويـة تسـتطيع المنافسـة فـي السـوق العالمية وبذلك نتخلـص مـن التهديـد الرأسـمالي الغربـي الربوي، لكننـا صـدرنا البـترول والقطـن والغـاز الطـبيعي وغيـره لأمريكـا والكيـان الصـهيوني وحصـلنا منهـم علـى دولارات أودعناهـا فـي مصـارفهم الـتي يسـيطر عليهـا اليهود.

لقد فقدنا توازننا في هذا العالم الربوي ولـم يعـد لنـا نجاة إلا إذا تخلصنا منه ودخلنا في نظام تعاملي غير ربوي لكي ننقذ أموالنا ونستعيد توازننا، وخاصة أننا رأينا الأزمـة المالية التي يمر بها العالم نتيجة تعامله الربوي مما جعلـه يوقن أن النظام الإسلامي الـذي يحـرم الربـا هـو النظـام الأمثل لحل الأزمة المالية العالمية.

اليوم وبعد الثورة المصرية التي حررت المصري مـن الطغاة والفاسدين ورجال أمـن دولـة إسـرائيل، علينـا أن نحرر اقتصادنا المصري من التعاملات الربوية التي توشك أن تعيد إلينا الخراب بنص الآيـة الكريمـة: "يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّـؤْمِنِينَ(278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُـمْ فَلَكُـمْ رُؤُوسُ أَمْـوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُـونَ وَلاَ تُظْلَمُـونَ"(

[1] د. حسين مؤنس: الربا وخراب الدنيا ص 65 (1406هـ - 1986م)

279):البقرة، علينا أن نثق في رحمة الله أولا وأخيرا فهو سبحانه وتعالى القائل: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ(96):الأعراف، ثم بجهودنا الذاتية واستشعار كل مصري أن مصر عادت إليه ويجب أن يشارك في نهضتها وتنميتها بالمساهمة بماله ووقته وجهده يمكننا أن نصنع الكثير خاصة أن إمكانياتنا متوفرة والحمد لله وتحتاج فقط أن نعمل عقولنا نحن المصريين لا أن نستورد عقولا لا تهمها مصر من قريب أوبعيد، كما أننا لسنا في حاجة إلى قروض تزيد مآسينا لأجيال قادمة لما لها من فوائد وشروط تكبل إرادتنا السياسية والإقتصادية والإجتماعية أيضا وتفقدنا حريتنا وحرية قراراتنا المصيرية.

كما أننا لسنا في حاجة إلى مساعدات خارجية تشترط علينا شروطا توقعنا في الاحتلال عن بعد من تلك الدول المانحة خاصة أنها توجه سياستنا الإقتصادية فيما لا يفيد إلا قلة قليلة تعمل حسب أجندتها الخاصة بها كما رأينا من فرنسا التي اشترطت أن يكون التمويل والمساعدات المالية في مقابل العمل ضد التيار الإسلامي في مصر وضد حركة المقاومة في فلسطين، والعمل لصالح الكيان الصهيوني.

الإصلاح الإجتماعي

محاربة الجهل

لماذا ينتشر الجهل بين الناس؟ وبالأخص في عالمنا العربي والإسلامي؟ الإجابة في مقولة عظيمة يستخدمها الطغاة والأعداء ويعرفونها ويتدربون على استخدامها تقول: (إذا أردتم استعباد قوم فاستجهلوهم)، فعلى سبيل المثال لو فحصت الأميين في العالم فستجد أعلى نسبة

في العالم توجد في المنطقة العربية والإسلامية (ثلث سكان دولة كبيرة كمصر على سبيل المثال أميًّا) مع أن أول ما نزل من القرآن هي كلمة: اقرأ، والقراءة هنا في صورة الأمر وليس للهواية، وعلى الرغم من ذلك فإن المسلمين لا يقرءون ولا يلتزمون بتعليمات دينهم الحنيف.

ولا شك أن الدول المتقدمة في عالمنا أدركت قيمه العلم والتعلم وأنه الطريق الوحيد في سبيل النهضة فهذه أمريكا على سبيل المثال أعطت في التسعينات 12 مليون مهاجر تأشيرة هجرة إليها بالإضافة إلى الإغراءات المادية والجنسية الأمريكية في سبيل استقطاب عقول العالم إليها..

للجهل ضريبة فادحة يؤديها الأفراد وتؤديها الجماعات وتؤديها الشعوب، الرئيس التونسي المخلوع قال لشعبه بعد 23 عامًا من الحكم إني فهمتكم، وقال: كانت تأتي إليَّ تقارير خاطئة، فكان عاقبة جهله بأمور وشئون شعبه أن أصبح بعد الملك طريدًا وحيدًا، وحسني مبارك ليس ببعيد عن هذا المثال الواضح في الجهل السياسي بأمور واحتياجات شعبه، فلقي مصيرًا أسوأ بكثير من الرئيس التونسي..

أما على مستوى الشعوب: الفراعنة المصريون لم يكونوا جهلاء بل صنعوا حضارة علمت العالم بأسره، ومازالت آثارهم باقية إلى الآن تشهد على ذلك، لكنهم في نفس الوقت رضوا بالاستخفاف من قبل حكامهم، قال الله سبحانه وتعالى:فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِين(الزخرف: 54-65)، فعلى الرغم من أنهم أهل حضارة إلا أنهم لم يعرفوا لماذا خلقوا؟ والمسلمون لما

انشـغلوا بأنفسـهم ونسـوا أهـدافهم ضـاعت حضـارتهم وأصـبحوا علـى مـوائد اللئام، وليـس أدل علـى ذلـك مـن الوضع الذي نحن فيه الآن من التخلف والاستعباد والقهر.

والشـعوب العربيـة لمـا عاشـت عقـودًا طويلـة مـن الاستبداد والطغيان من قبل حكامها، فلما قامت بثوراتهـا مستعينة بربها أدركت مدى جهلها بقدراتها، ومدى الضعف الذي عليه حكامها.

إن ضريبة الجهل التي ندفعها أفدح بكـثير فـي ثمنهـا من ضريبة العلم والتعلم والمعرفـة وحمـل الرسـالة فـي الحياة، فالأمة التي تأبى أن تدفع الثمن في سبيل نهضـتها وعزتها والتماس طريقها تدفع أضعاف هـذا الثمـن مـرات عديدة كضريبة لجهلها وتخلفها عن ركب الحضارة.

فالجهل في أي مجال من مجالات الحياة يـدفع ثمنًـا له المجتمع بأسره، فكيف لنا أن نحلم بنهضة بلادنا ونحـن على هذه الحالة؟ كذلك الجهل بالمخاطر والآثـار الصـحية لمختلف الأمراض يجعـل المجتمـع يـدفع ثمنًـا باهظًـا مـن دخله على العلاج، يضاف إلى ذلك ما تحدثه تلك الأمراض من تعاسة لأصحابها، فمصر يوجد بها أعلـى نسـبة إصـابة بأمراض الكبد في العالم.

أما الجهـل السياسـي فهـو يـؤدي إلـى هلاك الأمـم، فعندما يتم انتخاب الأفراد على أساس قرابـة أو قبيلـة أو ديانة أو مقابل حفنـة قليلـة مـن الأمـوال أو علـى أسـاس بعـض الشـعارات الزائفـة دون برامـج أو خطـط واضـحة بالتأكيد سوف تنتج حكومة فاشلة متخبطـة فـي قراراتهـا وتصرفاتها وتنتج نوابًا من أمثال نواب الدم الفاسد ونواب القمار ونواب العلاج علـى نفقـة الدولـة ونـواب الأراضـي ونواب يحلفون بالطلاق في المجلس، فكيف لنا أن نحلـم بنهضة هذا البلد.

يجب أن نبدأ بخطوات طموحة ووثابة في سبيل التخلص من الجهل ولنبدأ بمحو الأمية في بلادنا كأبسط أنواع الجهل مع نشر ثقافة العلم بين الناس وإبراز قيمته ونشر ثقافة الحقوق التي للأفراد والواجبات التي عليهم حتى نقول إننا بدأنا أن نمشي على الطريق الصحيح.

فالثمن الذي سوف يدفعه المجتمع في سبيل نشر العلم والمعرفة بين أبنائه لا يقارن بالثمن الذي يدفعه عندما يعيش في تخلف وتنتشر فيه الخرافات، فدول ككوبا وكولومبيا وحتى فلسطين تجاوزت أبسط أنواع الجهل وهو الأمية ووصلت نسبه المتعلمين بها فوق 97% والمسئولية هنا لا تقع على عاتق الحكومات وحدها، لكن مسئولية الأفراد والجماعات والجمعيات والأحزاب وكافة مؤسسات المجتمع التي يجب أن تعمل بجد في سبيل رفعة أوطانها دون شعارات زائفة أو ادعاء لوطنية وقومية غير فاعلة.

رفض الإتفاقيات الدولية المخالفة للشريعة الإسلامية

في 18 ديسمبر 1979 اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة إتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو).Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination AgainstWomen تتألف من ثلاثين مادة تتعلق بالمساواة في الحقوق بين المرأة والرجل، في جميع الميادين المدنية والسياسية والثقافية، وهي بمثابة قانون دولي.. فالدول المصدِّقة على الإتفاقية ملزمة قانونيًّا بتنفيذ بنودها.. و مُلزَمة بتعديل قوانينها وتشريعاتها على كافة المستويات للتوافق مع إتفاقية سيداو.

وقَّع على هذه الإتفاقية إلى الآن 170 دولة..رفضت أميركا وسويسرا التوقيع على هذه الإتفاقية لأنها تتعارض

مـع الدسـتور ولا تتناسـب مـع مجتمعـاتهم، فـإذا كـانت الإتفاقية لا تتناسب مع مجتمعات هذه الدول المنحلة فهل تناسب مجتمعاتنا الإسلامية.

صدَّق لبنان على الإتفاقية في 26/7/1996 وتحفّـظ على بعض البنود التي تشكّل اعتـداء علـى سـيادة الدولـة وتتعارض مع قيم المجتمع، والمواد المتحفظ عليها هــي (2) و (9) و (15) و (16) و (29)

كما تحفظت مصر أيضـا حيـن وقّعـت علـى الإتفاقيـة عام 1980 علـى أربعـة مـواد، المـادة (2) والمـادة (9) فقرة 2 والمادة (16) والمادة (29) فقرة 2..

تتعلـق المـادة (16) مـن الإتفاقيـة بقـوانين الـزواج والأسرة، هذه المادة الخاصة بالأسرة تُعَدّ من أخطر مواد الإتفاقية على الإطلاق؛ حيث تضمّ كـل مـا يمـس الأسـرة كمؤسسة، ونظام قِيَم، ونمط حيـاة، وتعمـل علـى فـرض نمط الحياة الغربي، وتتجاهـل معتقـدات شـعوب العـالم، وقيمهـم الإيمانيـة والأخلاقيـة، وتطـالب المـادة بتحقيـق التساوي التام بيـن الرجـل والمـرأة فـي كـل مـن الأدوار والتشريعات داخل الأسرة، من خلال ما تنص عليه بنودها.

إتفاقية سيداو تـؤثر بالسـلب علـي اسـتقرار الأسـرة المسـلمة، خاصـة فيمـا يخـص قـانون الرؤيـة والوصـاية التعليميـة والعقـاب البـدني للطفـل ورفـع سـن الـزواج، وأحقية المرأة فـي نسـب طفلهـا مجهـول النسـب إليهـا، الأمر الذي يؤثر على المجتمع الإسلامي.

مــواد هــذه الإتفاقيــة ليســت نابعــة مــن الشــريعة الإسلامية وإنما مرجعيتهـا الإتفاقيـات والقـوانين الدوليـة، على سـبيل المثـال جعـل الولايـة التعليميـة للمـرأة، هـذا الأمر يخالف الشريعة التي تؤكد على أن القوامـة للرجـل وليس المرأة كما ينص القانون.

أيضا تجريم العقاب البدني للأطفال، فالإسلام يحث على التقويم بهدف الإصلاح لقوله صلي الله عليه وسلم "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر"، لذا فيجوز للأبوين تأديب أولادهما بشرط أن لا يصل الأمر لإلحاق عاهة بالطفل أو ضربه ضربا مبرحا.

كذلك قانون رفع سن الزواج من 16 إلى 18 سنة، ذلك يتعارض مع الشريعة التي تؤيد التبكير بالزواج لمنع الانحرافات، كما أن امتداد سن الطفولة إلى ثمانية عشر عاما يتعارض مع القاعدة الشرعية بأن البلوغ هو سن التكليف.

كما لا يجوز تحت أي ظرف من الظروف نسب الطفل لأمه لقوله تعالى "ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ"(5): الأحزاب، كما لا يجوز تجريم أو تحريم أمر أصله مباح شرعًا، حيث أجمعت الأدلة الفقهية والطبية على حتمية ختان الذكور فقط بينما اختلف الفقهاء في ختان الإناث ولم يجمعوا على استحبابه ولكنهم اختلفوا بين كونه واجبا أو مستحبا أو مكرمة.

يريدون تحطيم البنيان الأساسي للمجتمع لفرض النموذج الإجتماعي الغربي على العالم، ويستهدفون المرأة بالذات لأنها عماد الأسرة، فإن استطاعوا إغواءها بهذه الدساتير الباطلة وجعلها في مواجهة دائمة مع زوجها كأنها في حرب وليست في أسرة دعائمها المودة والرحمة والسكينة، فحينها ينجحون في تحقيق مخططاتهم والتي من أبرزها تحديد النسل..حيث تربط إتفاقية التمييز ربطاً كاملاً بين زيادة السكان وبين الفقر واستحالة التنمية، وبين أيديهم أبواق تردد أفكارهم، منظماتٌ في المجتمع المدني خاوية الفكر مبهورة بالغرب وكل ما فيه من مضار ومساوئ، وجنّدوا لذلك: المال والسلطة والإعلام.

إذا كان الغرب يتميّز بمواثيقه الأسرية هذه فلِماذا نجد أسرهم مفككة؟ وعلاقاتهم الأسرية معدومة؟ ونسب الطلاق والعنف عندهم عالية، وكيف نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، هل نترك شرع ربنا لنحتكم إلى شرع الأمم المتحدة؟، لا نريد شرعا يخالف شرع الله الحكيم العليم بما يصلحنا ويصلح أسرنا ومجتمعاتنا، وإذا كانت هناك بعض الممارسات الخاطئة من البعض فليصلح نفسه بدلا من إصلاح القوانين الإلهية والتي نزلت من فوق سبع سموات من لدن حكيم خبير.

على المستوى الإقليمي

عندما تحدث جيمي كارتر في الكنيست الإسرائيلي في مارس 1979 أعلن قائلا: إسرائيل والولايات المتحدة تكونتا بالرواد الأوائل، بلادي أيضا وطن من المهاجرين واللاجئين الذين تكونوا من شعوب من العديد من الدول، إننا نتقاسم إرث الإنجيل، ثم قال: إقامة دولة إسرائيل هي تحقيق للنبوءة الدينية، وإسرائيل بما تفعله تذكر أمريكا بشبابها القديم.

كل العالم تحرك سياساته العقيدة الدينية، إلا العالم الإسلامي يريدون له أن يتحرك تبعا لعقيدتهم الإستعمارية، بحجة أنه لن يصل إلى التقدم والرقي إلا باتباعنا لأخلاقهم، وسرنا على الطريق وكانت النتيجة ما نراه من فقر ومرض وبطالة وسيطرة على الإرادة السياسية والشعبية لبلادنا.

كتب مارتن لوثر في عام 1544م يقول: من ذلك الذي يمنع اليهود من العودة إلى أرض جوديا (فلسطين)، لا أحد، إننا سنوفر لهم كل ما يحتاجون إليه في سفرهم وذلك ببساطة لكي نتخلص منهم، فهم بالنسبة لنا حمل

ثقيل، هم كارثة وجودنا، ولـوثر هـذا هـو أصـل الصـهيونية المسيحية.

أمريكا واللوبي الصهيوني اجتمعا على وحدة الهـدف: الصراع ضـد الإسـلام الـذي يعـد العقبـة الكـبرى لتحقيـق الهيمنـة العالميـة الصـهيوأمريكية، يقـول تيـودور هرتـزل مؤسس الصهيونية: لقد أنشأنا في فلسطين حصـنا حـديثا للحضارة الغربية ضـد همجيـة الشـرق، وسـتكون الحـرب القادمة بين الحضارة اليهودية-المسيحية والإسلام[1].

وذكرت الصحفية بار يوسف فـي صـحيفة معـاريف 2 سبتمبر 1994م: قال أحد الخامات اليهود: لأول مرة فـي تاريخ الولايات المتحدة لا نشعر أننـا نعيـش فـي الشـتات فلم يعد فـي الولايـات المتحـدة حكومـة مـن غيـر اليهـود (الجـويم)، ولكنهـا إدارة يشـارك فيهـا اليهـود فـي عمليـة إتخـاذ القـرارات فيهـا علـى جميـع المسـتويات، مـن بيـن أعضاء مجلس الأمـن القـومي الاثنـى عشـر يوجـد سـبعة يهود أعطاهم كلينتون مسئوليات خاصـة: أحـدهم مسـئولا عن ملفات الشرق الأوسـط، وآخـر مسـئول عـن ملفـات أفريقيا[2] – ما رأيناه في أفريقيا من النزاعات القائمة بين المسـلمين والنصـارى فـي نيجيريـا وغيرهـا مـن الـدول الأفريقية بالإضافة إلـى الأزمـة الكـبرى الـتي حـدثت فـي السودان بتقسيمها، وما يحدث في منطقتنا العربيـة الـتي سـلمت قيادهـا للولايـات المتحـدة نـرى كيـف تغلغلـت الصهيونية في تلك المناطق التي تمثـل عمقـا اسـتراتيجيا لمصـر الـتي يجـب أن تنتبـه حكومـة وشـعبا فـي الفـترة القادمـة وتحـاول السـيطرة علـى تلـك الأوضـاع الـتي أوشـكت أن تطالهـا بمـا يحـاوله اللـوبي المسـيحي فـي

---

[1] كيف صنعنا القرن العشرين: روجيه جارودي – ترجمة ليلى حافظ- ص 20 (1420هـ - 2000م)

[2] كيف صنعنا القرن العشرين: روجيه جارودي – ترجمة ليلى حافظ-ص 28 (1420هـ - 2000م)

أمريكا (أقباط المهجر) والذي يود أن يرى سـودانا أخـرى في مصر وليبيا واليمن ونيجيريا وغيرها.

كل الدساتير العربية تبين أن أي دولة عربية جزء من الأمة العربية، وهذا لا يؤكـد هويـة شـعبها فقـط بـل يؤكـد التزامها بالدفاع عما تنتمي إليه بنـص دسـتورها، وليسـت الحدود الإقليمية هي آخر واجبات الحراسة الملقـاة علـى عاتق الدولة.

الأمن القومي العربي

إذا كان عالمنا العربى قبل ثـورات الشـعوب العربيـة يؤثر الأمن الوطنى على الأمن القومى العربـى حيـث لـم يتم تفعيل معاهدة الدفاع العربـى المشـترك وبعـد الغـزو العراقى للكويت فشلت الجامعة العربية فـى حـل الأزمـة ولجـأت لهيئات دوليـة أخـرى وبـرز الخلـل فـى النظـام الإقليمى العربى، الأمر الذى أثار الوسـاوس حـول انهيـار النظام الإقليمى العربى وانهيـار الأمـن القـومى العربـى، فبرز الأمن الوطنى والذى يعنى أن لكل دولة خصوصياتها الوطنية وحساباتها الداخلية وأيضاً الخارجية فـى علاقاتهـا الدوليـة والثنائيـة ولـذا تـبرر الكـويت أن أمنهـا الـوطنى استدعى تدخل قـوات الحلفـاء بقيـادة الولايـات المتحـدة سواء لتحريرها أو كمبرر لمساندة الغزو الأمريكى للعراق باعتبار أن العراق أصبح يمثل المصدر الأول للتهديد لدول الخليـج الأخـرى، وأعطـى الفرصـة للولايـات المتحـدة الحليف الإستراتيجى للكيان الصهيوني بأن تكـون اللاعـب الأوحد فى المنطقة ووقعت الكارثة وكان الغزو الأمريكى للعراق وسقوط بغداد فى مارس 2003 وأصبحت وبحق (فلسطين ثانية).

ومن أبرز نتائج الإحتلال الأمريكى للعراق أنـه أحـدث فراغاً استراتيجياً وأصبح الأمن القومى العربى عارياً فـى

الجناح الشرقى (أمن الخليج) وهذا يمثل بالفعل انتصاراً استراتيجياً لإسرائيل المصدر الرئيسى الأول لتهديد الأمن القومى العربى سواء فى تحطيم القوة العسكرية الثانية فى النظام الإقليمى العربى أو بتواجد القواعد العسكرية الأمريكية بمنطقة الخليج بالإضافة الى دور الموساد الإسرائيلى وأساليبه فى تنفيذ المخططات الإسرائيلية وفى تحقيق الحلم الصهيونى.

الشرق الأوسط ليس مصطلحا جغرافيا بل مصطلحا سياسيا يشمل دولا غير عربية ويستبعد بلدانا عربية أخرى، وهذا المصطلح يجزئ الوطن العربي ولا يعامله كوحدة واحدة متميزة متجانسة في الدين واللغة والثقافة، بل يضم دولا أخرى مثل تركيا وقبرص وأثيوبيا وإيران وأفغانستان وباكستان ويستبعد بلدانا عربية مثل المغرب والجزائر وتونس وليبيا والسودان مما يعطي انطباعا أن هذه المنطقة غير متجانسة، وقد أطلق هذا المصطلح لرفض حركة الوحدة العربية وتبرير وجود عقبات لتحقيقها.

يقع الوطن العربي في أجزاء من أفريقيا وآسيا: في الشرق الأوسط- البحر الأحمر- الخليج العربي- المحيط الهندي، وهي تشمل مناطق تقوم فيها أقطار الجامعة العربية، هكذا يحتل الوطن العربي المنطقة من المحيط الأطلسي غربا إلى الخليج العربي شرقا ومن سوريا والعراق شمالا إلى الصومال وجيبوتي واليمن وعمان في الجنوب، والتعبير الإقليمي الشرق الأوسط الذي يشمل بلدانا عربية وغير عربية ويستبعد بعض البلدان العربية ليس تعبيرا ملائما عن منطقة الوطن العربي، إننا مع استبعاد الدول غير العربية نستطيع أن ندخل الشرق الأوسط داخل المنطقة العربية[1].

---

[1] د. عبدالله عبدالمحسن السلطان:البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي –الطبعة الثالثة ص: 303 (1988)

البحر الأحمر والملاحة الإسرائيلية

في مشروع تقسيم فلسطين لم يعط الكيان الصهيوني منفذا على البحر الأحمر في الخريطة التي صدر بها قرار الأمم المتحدة، وظلت الأردن هي الدولة الوحيدة التي تطل على البحر الأحمر من العقبة التي انتزعها الإنجليز من السعودية عام 1925 وضموها إلى الأردن وميناء صغير اسمه أم الرشراش، وقد تصدت بريطانيا لأية محاولة إسرائيلية للإقتراب من العقبة التي كانت مع عدن مفاتيح السيطرة البريطانية على البحر الأحمر، ولكن تحت الضغوط الصهيوأمريكية احتل الكيان الصهيوني أم الرشراش في 10 مارس 1949.

أصبح الكيان الصهيوني بعد مصر الدولة الثانية التي تطل على البحرين الأحمر والمتوسط، وكانت الخطوة التالية هي بناء ميناء وخط أنابيب ينقل النفط من إيلات على البحر الأحمر إلى أسدود على البحر المتوسط منافسا لقناة السويس وخط التابلاين الذي ينقل النفط السعودي، وخط الأي بي سي الذي ينقل النفط العراقي، كما يربط الميناء الجديد أفريقيا بآسيا، وكانت مصر قد منعت الملاحة الإسرائيلية في قناة السويس منذ لحظة تقسيم فلسطين في 15 مايو 1948.

أما خليج العقبة الذي تقع إيلات على رأسه فإن طوله مائة ميل وأوسع مناطقه 17 ميلا ومدخله تسعة أميال تسده جزيرتان تيران وصنافير وهما سعوديتان، جزيرة تيران تقسمه إلى فتحة سعودية مليئة بالصخور وفتحة مصرية عرضها أربعة أميال بها ممران، والممر الوحيد الصالح للملاحة هو الممر المصري القريب من شرم الشيخ ورأس نصراني.

ولما كان الممر في المياه الإقليمية المصرية فكان من الطبيعي أن تفكر الحكومة المصرية في إغلاق فتحة الخليج من الجنوب مما يفقد إيلات مبررات وجودها فلا يستفيد الكيان الصهيوني من موقعه على البحرين، وفي 21 ديسمبر 1950 أغلقت الحكومة المصرية المضيق في وجه الملاحة الإسرائيلية[1].

في أول مايو 1951 أطلقت البحرية المصرية النار على سفينة بريطانية حاولت اختراق الحصار واعتقلتها 24 ساعة واستمر الحال على ذلك في حكومة الثورة، وفي سبتمبر 1951 حاول الصهاينة تحدي الحصار فأرسلت السفينة بات جليم فصادرتها السلطات المصرية واعتقل بحارتها، وفي سبتمبر 1955 منعت مصر الطيران فوق الخليج وتوقفت رحلات شركات العال.

يقول عبدالعظيم رمضان عن موشي ديان قوله: كانت هذه المضايق هي الهدف الرئيسي للمعركة، ولو توقفت المعارك وفي يدنا شبه جزيرة سيناء دون شرم الشيخ إذن لظل الحصار قائما على الملاحة الإسرائيلية وذلك يعني أننا خسرنا المعركة.

ويقول عبدالعظيم رمضان أيضا عن تطورات فتح الخليج: احتل الكيان الصهيوني شرم الشيخ يوم 5 نوفمبر 1956، وبعد الإتفاق المصري- الأمريكي وانسحاب الكيان الصهيوني من شرم الشيخ في مارس 1957 أرسلت أمريكا في 6 أبريل 1957 سفينة أمريكية تحمل نفطا إيرانيا للكيان ومرت في خليج العقبة واكتفت مصر بالاحتجاج، وكان ذلك أول اقتحام للخليج منذ أغلقته الحكومة المصرية عام 1950.

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:585 (1408هـ- 1988م)

الحكومة المصرية قبل الثورة أغلقت الخليج في وجه الملاحة الإسرائيلية، وحكومة بعد الثورة فتحتـه، لـم نكـن نسمح بمرور السفن الإسرائيلية من قناة السـويس أثنـاء وجود االقاعـدة البريطانيـة علـى الأرض المصـرية، يقـول عبـدالعظيم رمضـان[1]: مـرور الملاحـة الإسـرائيلية فـي مضيق تيران يعد أضخم مكسب حصل عليه الصهاينة منـذ احتلال أم الرشـراش فـي مـارس 1949، وهـو أخطـر تطـورات الصـراع العربـي الصـهيوني وترتـب علـى ذلـك النتائج التالية:

- تحول ميناء إيلات إلى ميناء عـالمي وأصـبح بـديلا عـن قناة السويس
- أنشأ الكيـان الصـهيوني مطـارا عسـكريا شـمال إيلات يصلح لهبوط الطائرات النفاثة، كما أنشـأ طريقـا بريـا بين حيفا وإيلات يبلغ طوله 467 كيلومتر أطلق عليـه الصهاينة قناة السويس البرية.
- تم استقطاب حركة الملاحة من مينـاء العقبـة الأردنـي وبلغ حجم السـفن الـتي تصـل إلـى مينـاء إيلات سـبع سفن مقابل سفينة واحدة إلى ميناء العقبة.
- تسرب النفوذ الصهيوني إلى أفريقيا وتنوع نشاطه في الميـادين الإقتصـادية والثقافيـة والعسـكرية فنافسـت الصناعة العربية.
- نزع سلاح غـزة ومنـع الجيـش المصـري مـن دخولهـا، قـالت جولـدا مـائير: زال رعـب الفـدائيين، تقـررت الملاحة في مضيق تيران، قوات الطوارئ تحركت إلى قطاع غزة وشرم الشيخ وكسبنا نصرا عسـكريا جعـل

[1] عبدالعظيم رمضان: المواجهة المصرية-الإسرائيلية في البحر الأحمر (1982)

التاريخ العسكري يثبت مرة أخرى قـدرتنا علـى حمـل السلاح للدفاع عن أنفسنا[1].

هكذا فهم الكيان الصهيوني قيمة البحـر الأحمـر منـذ قـرار التقسـيم وذلـك للسـيطرة علـى الملاحـة وضـرب اقتصاد الدول العربية في مقتل بعمل طريـق مـواز لقنـاة السـويس، وضـرب مينـاء العقبـة الأردنـي والتوغـل فـي سواحل أفريقيا، وغيره من الضـرر المباشـر علـى الأمـن القومي العربي.

البحر الأحمر والأمن القومي المصري

يمثل البحر الأحمر قناة الوصل بين البحـار المفتوحـة فى المحيطين الهندي والأطلنطـى عـبر البحـر المتوسـط وقناة السويس، فضلاً عـن تحكمـه فـى مخـارج ومـداخل كل من البحر المتوسط والمحيط العربى فأى تحرك عـبر أى منهما يجب أن يمر بالبحر الأحمر وتتضح هـذه الأهميـة فيما يتعلق بنقل البترول بأنابيب من وإلى الخليج العربـى فإذا كان حل أزمة الطاقة من ناحية كمية الإنتـاج مفتـاحه فى الخليج العربى فإن حلها من ناحية النقـل يعتمـد علـى البحر الأحمر.

البحر الأحمر هو مفتاح الأمن العربي ولابد من وجـود إرادة عربيـة اسـتراتيجية موحـدة لتـأمين سـيطرة استراتيجية قوية عليه[2]، وعندما قصف الكيان الصـهيوني المنشآت البحرية لمصر فـي سـفاجة والغردقـة وغيرهمـا من الأهداف فيما وراء الأقصـر علـى البحـر الأحمـر خلال حرب الاستنزاف(1968-1969)، نقلت مصر جـزءا مـن قوتهـا الجويـة إلـى وادي سـيدنا شـمال الخرطـوم وإلـى قواعد جوية سـودانية أخـرى، كمـا نقلـت وحـدات بحريـة

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:589 (1408هـ- 1988م)

[2] محمود عزمي: السيطرة على البحر الأحمر ضرورة استراتيجية،شئون فلسطينية العدد 66:ص 109 (1977)

مؤقتا إلى موانئ السودان واليمن، كذلك خلال حرب 1973 أظهرت البحرية العربية مدى الأهمية الإستراتيجية الكبيرة للبحر الأحمر بالنسبة للأمن العربي، وخصوصا في الصراع العربي الصهيوني.

ولكي يتوفر الأمن في البحر الأحمر لابد من إتخاذ عدة خطوات ضرورية من قبل الدول العربية منها: مقاومة التدخل الأحنبي في المنطقة، التعاون والتنسيق في السياسات بين الدول العربية ذاتها وبينها وبين الدول غير العربية، والتعاون الإقليمي هو الطريق الوحيد لإبعاد التدخل الأجنبي والتنافس على البحر الأحمر[1].

ويظهر التاريخ أن الإعتماد على دول أجنبية كان نذيرا بإنهيار العرب، كما أنه لا يستطيع بلد عربي أن يحقق الأمن الإستراتيجي للبحر الأحمر بمفرده كما يقول الأستاذ أمين هويدي الخبير في الأمن القومي العربي، ويقول محمد عبدالغني الجمصي وزير الحربية المصري الأسبق مؤكدا أن إحراز أمن البحر الأحمر هدف لا يمكن فصله عن هدف تحقيق الأمن القومي للأمة العربية[2]

الأمن لا يعني المعدات العسكرية فقط، ولا القوة العسكرية وحدها توفر الأمن، فالأمن هو التنمية والتعاون بين الدول الإقليمية لتحقيق هذه التنمية، سواء على مستوى الدول الإقليمية المطلة على البحر الأحمر أو البحر المتوسط، فبدون التنمية والتعاون بين تلك الدول لن يتحقق الأمن.

يبلغ عدد سكان الدول العربية المطلة على البحر الأحمر 100 مليون نسمة كما أن الساحل الغربى له والبالغ طوله 2200 كم يوجد منها 400 فقط لدول غير

---

[1] د. عبدالله عبدالمحسن السلطان:البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي –الطبعة الثالثة ص: 295 (1988)

[2] أمن البحر الأحمر قضية كل العرب- ص 2 (1978)

عربية أما باقى السواحل فهي عربية، فضلاً عن الساحل الشرقى كله، كما أن أغلب الحمولات البحرية التى تمر فى البحر الأحمر حمولات عربية وهذا يضفى أهمية خاصة على أمن هذه الدول العربية المطلة عليه.

يطل على كل من شاطىء البحر الأحمر دولتان من أكبر الدول العربية هما السعودية فى الشاطىء الشرقى ومصر فى الشاطىء الغربى وهى مركز الثقل الأول فى الوطن العربى وطول سواحل كل من الدولتين المطلة على البحر الأحمر يجعل منه منطقة حساسة لأمن كليهما خاصة فيما يتعلق بإمكانية السيطرة على منابع النيل من خلال التوغل غرباً على شاطىء البحر وبالتالى يهدد الأمن المصرى فى الصميم.

نشطت الدبلوماسية الإسرائيلية حرباً وسلماً بالصراع والتعاون لتؤكد الأهمية الكبرى التي يحتلها البحر الأحمر بالنسبة لها وتحتل اسرائيل مركزاً رئيسياً فى الصراع فى البحر الأحمر وفى ضوء ذلك لابد من تزايد وعى دول المنطقة بأهداف الكيان الصيوني وإحداث سيادة عربية أفريقية مشتركة على البحر الأحمر والالتزام بسياسة حسن الجوار العربى الأفريقى.

وقد أشار بعض العسكريين والمفكرين السياسيين إلى ضرورة إنشاء قيادة عسكرية بحرية موحدة ممثلة فيها دول البحر الأحمر تشمل أسطولاً كبيراً به عدد من القطع البحرية تمكنها من السيطرة على مياه البحر الأحمر وبما يمنع اختراق الكيان الصهيوني للجسد العربى ولو من الجانب الإفريقى.

وإذا كانت المعركة الحالية هى معركة البترول فإن الحرب القادمة هى حرب المياه، ولذا سعى الكيان الصهيوني إلى إقامة علاقات خاصة مع دول الجوار الجغرافى العربى المركزية والتى تؤثر بصفة رئيسية

على الأمن المائى العربى من خلال إثارة الوقيعة بينها وبين الدول العربية بحجة عدم العدالة فى توزيع المياه بين الجانبين العربى وهذه الدول، بالإضافة إلى المحاولات الإسرائيلية فى الحصول على المياه من دول الجوار غير العربية فكان التحالف الإستراتيجى التركى الإسرائيلى 1996 والذى لايزال يثير تساؤلات عديدة، وهناك خلافات تركية مع بعض الدول العربية المحددة ومنها مشاكل نهرى دجلة والفرات مع سوريا والعراق، وأياً كان الأمر لنفى تركيا لهذا التحالف واعتباره نوعاً من التعاون، إلا أنه يعتبر تهديداً للأمن الإقليمى باعتبار أن إسرائيل هى المصدر الرئيسى للتهديد للأمن القومى العربى والحليف الأول للولايات المتحدة.

ويستغل الكيان الصهيوني نتائج عدم الاستقرار السياسى والمصالح المتضاربة فى حوض النيل وإثارة أثيوبيا ودق إسفين معها ومع الدول العربية فى حوض النيل ولاسيما مصر بإثارة إنشاء مشروعات على النيل وبحجة ضعف حصة أثيوبيا مع أنها نافورة المياه فى أفريقيا بدون نهر النيل، ولكنها تسعى لتوسيع مفهوم الأمن القومى الأثيوبى بورقة نهر النيل ولذا يشهد التعاون العسكرى الإسرائيلى الأثيوبى ذروته من خلال إسناد أثيوبيا للكيان وبصفة عامة مهمة تدريب وتطوير القوات المسلحة الأثيوبية منذ عام 1996.

ويعد الوجود العسكرى الإسرائيلى فى أثيوبيا تهديداً مباشراً للأمن القومى العربى ولصالح الأمن الإسرائيلى إلا أن مصر والسودان تحتفظان حالياً بعلاقات قوية مع دول حوض النيل وأياً كان الأمر فإن اسرائيل فى هذه المنطقة الحساسة خطر حاضر ومؤثر على الأمن القومى العربى، والنيل بالنسبة لمصر شريان الحياة وأى مساس أو تلاعب فى مياه النيل يعنى الحرب مباشرة

بإعتبار أن ذلـك ضـرب للأمـن القـومى المصـرى وتهديـد مباشر من أى مصدر خارجى.

وإذا كان مفهوم الأمن الجماعى العربى قـد ولـد فـى ظروف عصيبة وضاغطة نشأت إثر الهزيمـة فـى الحـرب العربية الإسرائيلية عام 1948 فإن الأمة العربية تمر الآن بظروف أصعب وأقسى بعد احتلال العراق وما يحدث فى فلسطين بالإضافة إلـى انفصـال الجنـوب فـي السـودان، فمـن الضـرورى سـرعة العمـل علـى رد الاعتبـار للأمـن القــومى العربــى مــن الناحيــة السياســية والثقافيــة والاجتماعية والاقتصادية وأيضاً العسكرية.

هناك من يدعو إلى ضرورة إجراء استفتاء شعبي من أجـل وحـدة بيـن مصـر وشـمال السـودان، بحيـث تكـون البداية عبارة عن اتحاد كونفيدرالي كخطوة مرحليَّـة نحـو الوحدة الشاملة، محذِّرين من خطورة الإنتظار حتى يصل الخطر إلي مصـر عـبر المطالبـات بإقامـة دولـة للنـوبيين وأخرى للأقباط، وهو ما يتمُّ التخطيط له حاليًا. فهل تشهد الأيـام المقبلـة خطـوات فـي اتجـاه الوحـدة بيـن شـمال السـودان ومصـر حـتى ولـو علـي مسـتوى المواقـف السياسيَّة والتحركات الدبلوماسيَّة، أم يقف كلا الطرفيـن منفـردًا فـي مواجهـة المخططـات الصـهيوأمريكيَّة الـتي تهدف إلى النَّيْل من مصـر والسـودان وتتخـذ مـن الدولـة الوليدة في الجنوب السوداني مقرًّا له.

إن العلاقة بين الأمن المصرى والأمن العربـى علاقـة تفاعل وتنسـيق مشـترك ولـم يحـدث تصـادم بيـن الأمـن القــومى المصــرى والأمــن القــومى العربــى، والأمــن المصــرى وحمــايته أو حمايــة مصــالح الأمــن القــومى المصـرى ولـو بإسـتخدام القـوة المسـلحة هـو العنصـر الرئيسى الأول والذي يعد له ألـف حسـاب لحمايـة الأمـن القومى العربى من أى تهديد من مصادر خارجية.

يجب على صانع القـرار تقويـة الصـلات والإرتباطـات الدولية مع دول ومنظمات ترتبط أهدافها ومصالحها وقوة تأثيرها مع مصر وتطوير قواتها المسـلحة بأحـدث وسـائل التكنولوجيا العسكرية، باعتبارها ركيزة إستراتيجية للـردع وأداة مواجهــة أخطــر التهديــدات الإســتراتيجية لمصــر وأصـعبها ، وهـى معادلـة القـدرة النوويـة الإسـرائيلية أو تحييــدها – وأن تــأثيرات تطــوير القــدرات الصــاروخية والفضائية لإسرائيل على الأمن القـومى العربـى واضـحة تماماً، وتتطلـب أن تُبنـى سياسـة مصـر العسـكرية علـى قدرات الردع مع بداية القرن الحادى والعشرين فـالقوات المسلحة هى صمام أمان الأمـن القـومى وحشـد الجهـود العربية العسكرية المنسقة فى مواجهة الخطر الصهيونى والـذى سيسـتمر دومـاً المصـدر الرئيسـى الأول لتهديـد الأمن القومى العربى.

فإذا كانت اسرائيل تريـد السـلام مـع العـرب فلمـاذا الإتفاقيات العسكرية مع تركيا؟ بـل وصـل الأمـر بهـا إلـى التعاون العسكرى مع الصين والهند، مع تطوير إمكانياتهــا العســكرية وتطويــق الــدول العربيــة، وهيكلــة الجيــوش الأفريقية بتسليح إسرائيلى حتى يتسنى لها التدخل، ولمــا كانت اسرائيل تتبنى دائماً استراتيجية هجومية لما يسمى بحمايــة مصــالحها الحيويــة ولــذا فــإن الصــراع العربــى الإسرائيلى صراع وجود وليـس صـراع حـدود، ولـذا تـولى مصر أهميـة قصـوى للحفـاظ علـى الحـد الأدنـى لحمايـة الأمن القومى العربى وتسعى جاهـدة إلـى وجـود أرضـية مشتركة لتفعيل مؤسسات جامعة الدول العربية، ودورهـا باعتبار أن مصر هى الدولـة القـائد فـى المنطقـة العربيـة وتسعى إلى توثيـق علاقاتهـا مـع الـدول العربيـة ولاسـيما الـدول الـتى تمثـل العمـق الإسـتراتيجى للأمـن القـومى المصرى كالسودان، وتسعى إلى إحياء التكامل المصــرى السودانى ليعود إلى الحياة من جديد وحفاظـاً علـى ميـاه

النيل الذى يمثل شريان الحياة بالنسبة لمصر تربة وماء وأى مساس به يمثل تهديداً مباشراً للأمن القومى المصرى.

إن التحالف الإستراتيجى الأمريكى الصهيوني وتطابق مصالحهما فى أفريقيا هو أحد المصادر الرئيسية لتهديد الأمن القومى العربى ويقوم هذا التحالف على أسس متينة ويعيش الكيان الصهيوني وسط بيئة لازالت تقاوم وجوده فهو محاط بحصار عربى سياسى واقتصادى وبجانب هذه العزلة يشعر الكيان الصهيوني أن الدول النامية لم تقبله كدولة آسيوية أو أفريقية لتزايد عدوانه على الشعب الفلسطينى ومعاداته للشرعية الدولية.

إن أهمية القارة الأفريقية أمنياً وسياسياً واقتصادياً بدأت بالنسبة للكيان الصهيوني من منطلق البحث عن المكاسب السياسية أمام ظروفه وعزلته ولضمان توكيد الأمن والوجود الإسرائيلى كان لابد له من سياسة خاصة تجاه أفريقيا وفق مخطط بارع مستفيد من أوضاع وظروف القارة، وإذا كان الأمن الإسرائيلى هو المحور الرئيسى لسياستها الخارجية فإن الهدف الإقتصادى لا يقل أهمية.

هناك أوراق يمكن أن تستخدم في الضغط على النظام الإثيوبي، لا تشمل شن حملة عسكرية على إثيوبيا، وتتمثل في مد النفوذ المصري حول وداخل إثيوبيا ذاتها عن طريق الصومال، العدو التقليدي لإثيوبيا، وهي الدولة التي تعتبر إثيوبيا استقرارها يعني إحياء قضية الأوجادين، وهو الإقليم الصومالي الكبير الذي تحتله إثيوبيا، ويضم أهم ثرواتها النفطية والحيوانية والزراعية، هذا البلد العربي تعني عودة الأمل إليه تراجعاً استراتيجياً كبيراً في الدور الوظيفي لإثيوبيا في القرن الإفريقي،

وانحساراً للكيان الصهيوني على البحر الأحمر وأعالي النيل.

ستقع إثيوبيا تحت ضغط هائل إذا ما نجحت مصر في العمل على إستقرار الصومال، وستندفع باتجاه ترضية القاهرة في حال زادت تطلعات الصوماليين في عودة هذا الإقليم العربي المحتل إلى السيادة الصومالية، وسيتسلل إليها الخوف سريعاً إذا ما استشعرت أن استقرارها الداخلي هش، مبني على تسلط قبيلة التيجراي (نحو 2 مليون نسمة) على حكم الشعب الإثيوبي (60% مسلمون، والباقي ما بين مسيحيين ووثنيين) والبالغ تعدادها نحو 80 مليون نسمة، وقد تكون الثورات العربية ملهمة للأكثرية المقهورة في إثيوبيا لطلب الحرية والمساواة بقبيلة التيجراي التي تتركز في يديها السلطة والمال حالياً.

إن التحرك المصري في الصومال لابد أن يأخذ بإعتباره ضرورة تفعيل دور الشخصيات القادرة على إقناع الفرقاء في الصومال، ومعظمهم من ذوي الخلفيات الدينية، من خلال مبادرة شعبية، ووفود مدعومة بقرار مصري واضح يضع أمنها القومي فوق كل اعتبار.

يذكر الصوماليون جيداً أن الرئيس المصري جمال عبد الناصر عندما تباطأت إيطاليا عن استيراد الموز الصومالي للضغط على مقديشو، سرعان ما أعلن أن مصر ستستورد المحصول كله؛ فتراجعت إيطاليا، أما الإثيوبيون فيتذكرون جيداً يوم دعا الرئيس الراحل السادات خبراءه العسكريين لوضع خطة طوارئ عام 1979م عندما أعلنت إثيوبيا عن نواياها بإقامة سد لري 90 ألف فدان في حوض النيل الأزرق، وهدد بتدمير هذا السد، ضمانا لأمن مصر القومي في العمق الأفريقي.

وفي ظل الكيانـات الكـبيرة والقويـة الموجـودة فـي العالم، والتي تسعى للسـيطرة علـى الكيانـات الصـغيرة، لابد للدول العربية أن تتكامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسـكريا، لأن الحـدود والتجـزئة الـتي خلفتهـا الحقبـة الإستعمارية لابد أن تزول لكي يحل محلهـا تكامـل عربـي يؤدي إلى تحقيق الأمن والنهوض بالأمة.

الأمان في العمق الفلسطيني

كانت فلسـطين ولا تـزال بـؤرة الصـراع بيـن الـدول العربية والإسلامية من جهة وبين الغرب من جهـة أخـرى، وذلك منذ عام 1948 وإلى يومنا هذا شئنا أم أبينـا، ولـن يجـدي أيـة دولـة عربيـة أن تظـن نفسـها بعيـدا عـن هـذا الصراع، كما لا يجدي معها أن تركن إلى معاهـدة صـلح أو إتفاقية أبرمت، فما زال الكيان الصهيوني يحتـل الجـولان في سوريا ومزارع شبعا فـي لبنـان والضـفة الغربيـة مـن الأردن، وفلسـطين بكاملهـا، ومصـر ورغـم إتفاقيـة عـام 1979 لا تسـتطيع أن تمـد حمايتهـا العسـكرية بـإرادة مطلقة في سيناء وهـذا وجـه احتلال لا زال قائمـا، ونحـن نحترم الإتفاقية وندور في فلكها وكأنها صنم يعبد ونخشى غضبه.

ومما يروج له أن مصر لا تسـتطيع أن تقطـع علاقتهـا بإسرائيل لأن ذلك يعني إلغاء معاهدة السلام ووضع مصر في حالة حرب، والناس من خـوف الحـرب فـي حـرب[1]، تستطيع مصر أن تقطع علاقتها بأية دولـة وتغلـق سـفارة أية دولة وتقطع علاقتهـا الدبلوماسـية بأيـة دولـة إلا دولـة إسرائيل: أليس هذا قيدا علـى اسـتقلال مصـر واسـتقلال إرادتها السياسية؟.

---

[1] المستشار طارق البشري: العرب في مواجهة العدوان– ص 57 (1423هـ - 2002م)

إننا مسئولون أخلاقيا عما يحدث في فلسطين لأننا من هُزمنا في حرب 1967 وقد احتل الصهاينة الضفة وغزة في 1967، وقد عادت إلينا سيناء منزوعة السلاح بموجب إتفاقية السلام ولا نستطيع أن نطرد السفير الإسرائيلي مهما فعلت حكومته في فلسطين، ويقولون لنا عليكم باحترام الشرعية الدولية التي تمثلها أمريكا، فكيف نستخدم الخصم كحكم؟.

عندما تعصف الريح ويثور الموج فالأمان في العمق، ومنذ أحداث سبتمبر 2001 بدأت الرعود الأمريكية:

- في 7 أكتوبر عام 2001 بدأ ضرب أفغانستان
- في 28 مارس عام 2002 تصاعد الإجتياح الصهيوني الأمريكي لمدن فلسطين بالضفة الغربية، واشتد الموج
- وابتلع العراق في عام 2003

ومع هذا الموج الهادر إتجه العرب إلى الشاطئ هربا من الموج فتكسرت ضلوعهم على الشاطئ، ومن يقف أولا في هذه اللحظات من الصراع يكون هو الهالك والمهزوم، وحين نبادر بقبول إلقاء السلاح في الصراع العربي/ الصهيوأمريكي تدور علينا الدوائر، والقائل إن السلام هو الإختيار الإستراتيجي لا يدعو إلا إلى الاستسلام.

كان التباين الكبير بين الحكومة والشعب في عهد النظام السابق قبل ثورة 25 يناير 2011 يهدد أمن الدولة، أما الآن وبعد الثورة يجب أن يختفي هذا التباين حتى نستطيع أن نحافظ على الأمن الداخلي والخارجي للدولة، فكفالة الأمن القومي أهم من الخبز والماء، وخاصة أن هذا الأمن مهدد بكيان صهيوني مغتصب للأرض الفلسطينية ومهددا لكل دول الجوار.

عندما تركـزت القـوات الإنجليزيـة فـي منطقـة قنـاة السويس عام 1947 لم يشعر مصري واحد أن اسـتقلالا تحقـق، وفـي عـام 1951 ألغـت حكومـة الوفـد معاهـدة الدفاع المشـترك بيـن مصـر وبريطانيـا، صـارت القاعـدة العسـكرية البريطانيـة فـي مصـر والقـوات المسـلحة البريطانية في وضع غير مشـروع، وصـارت مكافحـة هـذا الوجود العسـكري الأجنـبي مكافحـة مشـروعة، وتكـونت فـرق الفـدائيين للكفـاح المسـلح داخـل حـرم جامعـة القـاهرة، وكـانت المظـاهرات تملأ مدينـة القـاهرة والإسكندرية والأقاليم يوميا، إن الشرعية هي إبنة الإقـرار والتقبل الشعبي[1].

حطمـت إسـرائيل المفاعـل النـووي العراقـي لأنـه يهددها، وتنظر بريبـة إلـى المفاعـل الباكسـتاني وتسـليح إيران، وفلسـطين محتلـة، والجـولان فـي سـوريا محتلـة، ومصر عادت لها سيناء منزوعة السلاح وبها قـوات دوليـة لا تستطيع القوات المسلحة أن تحميها إلا من غـرب قنـاة السويس.

ومن يذهب من المصريين إلى سيناء لعمل أو سياحة لا يتمتع بحماية القوات المسلحة، ولا يطمئن علـى نفسـه من عدوان إسرائيلي عسكري يأتيه فـي طابـا أو نويبـع أو شرم الشيخ من على بعد خطـوات مـن الميـاه الإقليميـة المصرية في خليج العقبة، ويمكن اختطـاف أو اغتيـال أي شخص في سواحل خليج العقبة بأسـهل ممـا يحـدث فـي لبنان وتونس، وجيش الكيان الصهيوني المحتل علـى بعـد بضعة عشر كيلو مترا، وجيش مصر علـى بعـد مـائة كيلـو مترا، والجزيرة العربية ومنطقة الخليج بهـا دولنـا العربيـة التي تعتمد فـي كـل دخلهـا علـى البـترول ووسـط آبارهـا

---

[1] المستشار طارق البشري: العرب في مواجهة العدوان (1423هـ - 2002م)

وحوافها وفي المياه القريبة قواعد عسكرية أمريكية برية وبحرية.

نسمع عن يدعو لفتح الحدود مع فلسطين المحتلة لوصول الفدائيين العرب وكأن الحدود عليها أسوار تفتح بقرار سياسي، ونسمع من يدعو لفتح باب الجهاد، وكأن الجهاد يحتاج إلى إذن من الدولة، وهذان الأمران إذا إستجابت لهما الحكومات العربية فهذا يعني حرب نظامية مع الكيان الصهيوني، وهذا غير مفيد لأن من يريد الجهاد لا يحتاج إلى إذن ومن يريد أن ينضم إلى الفدائيين مضحيا بنفسه لا يخشى إعتقال الشرطة له، والاحتلال الصهيوأمريكي هو الذي أسقط مفهوم الشرعية الدولية فلم يعد هناك بد من مواجهته بصدور عارية وبروح الشهادة، وصارت الدنيا تواجه بالآخرة[1].

فتحت مصر معبر رفح، وعندما اعترض الكيان الصهيوني ردت بأن معبر رفح شأن مصري فلسطيني، هذه هي الديمقراطية حيث يفرض الشعب إرادته، بقدر ما يشكل فتح معبر رفح قراراً مهماً للغاية لانهاء الحصار المفروض على غزة منذ مجيء حماس إلى السلطة عام 2007، فإنه يمثل تغيراً استراتيجياً في قوة مصر وسيادتها.

أعلن الكيان الصهيوني أنه سيطلق حملة في الولايات المتحدة وأوروبا لممارسة الضغط على مصر، لكنه يتصرف بالطريقة الخطأ في الوقت الخطأ، فلا تملك حكومة مصر في عصر الديمقراطية أن تسلك مساراً مخالفاً للإرادة الشعبية.

مصر بعد ثورة 25 يناير تفتح كتاباً جديدا للعلاقات الدولية يعيد لها هيبتها العربية والأفريقية والدولية، لا نريد

[1] - المستشار طارق البشري: العرب في مواجهة العدوان (1423هـ - 2002م)

حرباً وسنلتزم بإتفاقياتنا الدولية بعد إعادة النظر فيها وتعديلها بما يناسب المجتمع المصري المسلم، وسنتحول من الدولة التابعة إلى الدولة المستقلة صاحبة السيادة التي لا تقبل أي تدخل خارجي في شئونها، فلا أمريكا ولا أوروبا يستطيعان أن يغيرا بعد الآن من سياسة مصر التي ترسمها الضغوط الشعبية.

الجامعة العربية

في تقرير صادر عن مؤتمر رؤساء البعثات الدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط المنعقد في اسطنبول في الفترة من 14 إلى 21 فبراير عام 1952 (قبل انقلاب يوليو) جاء الآتي[1]:

- الجامعة العربية ليست أكثر من أداة تستخدمها مصر وشتى الدول العربية لأهدافهم
- مصر تريد فرض هيمنتها على العالم العربي وكسب التأييد لسياستها أمام السياسة الأمريكية.

وأصبح أمام أمريكا الخيارات الآتية للتعامل مع الجامعة العربية:

- التعامل مع الجامعة العربية ببرود على الصعيد الرسمي وغير الرسمي وتشجيع الدول الأخرى على التعامل بنفس الأسلوب.
- إقناع مصر بأن الجامعة العربية ليست لها أهمية بالنسبة لها لأنها قوة دولية أساسية وتعزيز هذا المسعى بعرض مساعدات إقتصادية وعسكرية بخلاف دول المنطقة، التأكيد على أن مصر دولة متقدمة عن البلاد العربية الأخرى وهذا يؤدي إلى النزاع داخل المنظمة.

---

[1] محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية ص:51 (1408هـ- 1988م)

- تشجيع الجامعة العربية على التركيز على النشاط العلمي والثقافي والفني

لقد أنشئت الجامعة العربية لمواجهة الخطر الصهيوني، فهل كان المطلوب من الجامعة العربية أن تنفذ سياسة وأهداف أمريكا والصهاينة في المنطقة العربية خاصة أن صوت عبدالرحمن عزام كان الصوت المدوي ضد الإحتلال وكان هو أبو العروبة والوحيد الذي كان الملوك العرب يرفضون الجلوس قبل أن يجلس، وكانت إزاحته مطلبا أمريكيا لأنه هو الذي نظم وقاد دخول الجامعة حرب فلسطين، ورفض الصلح أو الإعتراف بالكيان الصهيوني، واعتبر الأمريكان وجوده عقبة في طريق مخططهم لإنهاء الحرب بين العرب والصهاينة.

أصبح من الضروري بعد الثورات العربية أن يعاد النظر في مهام الجامعة العربية وتكون بحق منظمة ذات تأثير فعال في كل القضايا التي تخص العالم العربي سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وأن يتم تفعيل اتفاقية الدفاع المشترك لحماية أية دولة عربية من أي اعتداء خارجي، وأن يكون لها دور فعال في تحرير فلسطين والعراق وسلامة أراضي السودان بعد الإنفصال، وعدم السماح لأية قوة دولية بتقسيم أي دولة إلى دويلات كما حدث في السودان ويحاولونه في اليمن والعراق والصومال، كما يجب أن يكون هناك تكاملا اقتصاديا وسوقا عربية مشتركة تحقق التبادل التجاري بين الدول العربية حتى لا تصاب الصناعات العربية بالركود نتيجة الاتفاقيات الدولية.

على المستوى الدولي

لم تكن هناك علاقة بين مصر وأمريكا قبل الحرب العالمية الثانية إلا من بعض الأنشطة التبشيرية في منتصف القرن التاسع عشر وتوج بإنشاء الجامعة الأمريكية بالقاهرة، كانت خصومتنا التاريخية مع الإنجليز، وبعد الحرب العالمية الثانية أخذت أمريكا تبحث لها عن دور لها في المنطقة العربية لتستبدل الهيمنة الإبريطانية بالهيمنة الأمريكية، فقامت أمريكا بالآتي:

- أيدت هجرة اليهود إلى فلسطين عان 1946م.
- دعمت وقامت بتمويل تلك الهجرات من خلال قرارات الأمم المتحدة (التي أصدرت ميثاق حقوق الإنسان في عام 1948م الذي ينص على حق الشعوب في الحرية وتقرير المصير، وبعدها تم احتلال فلسطين- هذه هي قرارات الأمم المتحدة التي تخدر الشعوب التي لديها قابلية للإستعمار كما قال المفكر الجزائري مالك بن نبي)
- أيدت مشروع تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب عام 1947م
- إعترفت بإسرائيل في 15 مايو 1948

وكلما أبدينا الرضا والرغبة في السلام كلما زادت سطوة العدو وزدنا هوانا عليه، فكانت حرب الخليج هي البروفة الأولى التي تعلن خطر الحرب بين دول العالم، أمريكا تدعي أنها تحمي القانون الدولي، ولم يعد من الممكن إقناع أحد غير السذج الذين خدعتهم وسائل الإعلام بأن تلك الحرب لم تكن للبترول الذي يمثل كل تنمية في الغرب، وتم الإعتراف بالهدف الحقيقي وهو تدمير قوة العراق، الدولة الوحيدة في دول العالم الثالث التي قد تملك الوسيلة لمنع الغرب وإسرائيل من تحقيق

الهيمنة على المنطقة العربية، لقد كانت حرب استعمارية حقيقية [1].

كتب الزعيم البرازيلي لولا قائلا: الحرب العالمية الثالثة بدأت بالفعل، إنها حرب صامتة ولكنها ليست أقل رعبا، فبدلا من موت الجنود يموت الأطفال جوعا، وبدلا من ملايين المصابين هناك ملايين العاطلين، وبدلا من تدمير الجسور تغلق المدارس والمستشفيات والمصانع، إنها الحرب التي أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد دول القارة الجنوبية ودول العالم الثالث.

تكشف إحصاءات الشرطة الأمريكية في نيويورك أن كل ثلاث ساعات هناك سيدة تغتصب، وكل ساعتين رجل يقتل، وكل ثلاثين ثانية هجوم ينفذ، ونسبة انتحار وإدمان المراهقين في أمريكا أكبر نسبة في العالم [2]، هذه الثقافة الغير إنسانية تصدر إلى العالم كله من خلال الأفلام الأمريكية، والقوانين الأمريكية التي تصنع في منظمة الأمم المتحدة، ليتم تصديرها إلى العالم الإسلامي بصفة خاصة، بحجة الحرية والديمقراطية، والسياسة الإستعمارية هي أن تفعل ما يفعله الآخرون.

وجاء حادث 11 سبتمبر عام 2001 ليمثل صفعة على وجه أمريكا التي ظلت تنقل معاركها خارج الأرض الأمريكية، ولكن هذا الحدث الذي لا يعرف مرتكبيه حتى الآن، أتى بأمريكا إلى الأرض بعد أن ظنت أنها تعيش في السماء وأصبح داخل أمريكا أرضا للمعركة، وقبل التحقيق في سبب الحادث ومعرفة مرتكبيه، نسبت السياسة الأمريكية المتغطرسة مرتكبي الحادث إلى كل المسلمين، بل نسب إلى الإسلام نفسه وهو منه براء.

---

[1] روجيه جارودي: كيف صنعنا القرن العشرين – ترجمة ليلى حافظ-ص 28 (1420هـ - 2000م)

[2] روجيه جارودي: كيف صنعنا القرن العشرين – ترجمة ليلى حافظ-ص 28 (1420هـ - 2000م)

وبعد الحادث بأيام قليلة، قامت أمريكا في السابع من أكتوبر عام 2001 باحتلال أفغانستان بلا أي مبرر للعدوان إلا للدفاع عن الأمن الداخلي لأمريكا بإعتبار أنها سيدة العالم، وعن طريق إعلامهم الخبيث أقنعت العالم أن الأمن الداخلي لأمريكا تجري صيانته في أفغانستان عبر المحيطات والصحاري والجبال، وصارت الكرة الأرضية كلها ضامنة للأمن الداخلي الأمريكي[1].

والأهداف التي تطمح لها الولايات المتحدة وضعت قبل أحداث 11 سبتمبر، أن تنشئ لها قواعد في وسط آسيا في أفغانستان جنوب روسيا وغرب الصين وفي وسط المنطقة الملاصقة للهند وباكستان وإيران وجمهوريات آسيا الإسلامية، كما أنشأت لها من قبل موطئ قدم في البلقان في أحداث الصرب، وكما رسخت وجودها في الخليج العربي بعد حرب العراق عام 1991م.

إننا أصبحنا نسير وفق الشرعية الأمريكية، وسقف مطالبنا يهبط ويهبط حتى أصبح الخطر الأكبر على وعينا وإدراكنا، لا يمكن أن نطالب بحقوقنا في إطار الشرعية التي يروجها المعتدون-كما فعل مبارك ونظامه أثناء الثورة المصرية حين ادعوا أن الدستور لا يمكن تعديله إلا بوجود الرئيس نفسه على رأس الدولة، ونسي أن هذا الدستور يعطي الشرعية للشعب الذي يستمد الرئيس ونظامه شرعيته منه – وأهم الواجبات في المرحلة القادمة هي تحرير وعينا وإدراكنا مما يسمى بالشرعية الأمريكية.

إننا نعاني من الضغوط الإقتصادية والسياسية والتغلغل البشري الأجنبي من رجال الأعمال ومنظمات

---

[1] المستشار طارق البشري: العرب في مواجهة العدوان – ص 57 (1423هـ - 2002م)

حقوق الإنسان بحجة حماية الأقليات المسيحية التي لم تنعم بالحرية إلا في ظل الإسلام، وإذا أعطوا لأنفسهم الحق بالتدخل في شئوننا الداخلية فلنا نفس الحق بفرض إرادتنا عليهم لحماية الأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا وغيرها، وإلا فالأقليات المسيحية في بلادنا شأن داخلي لا يجب أن يخضع لأي إبتزاز.

أصبحنا تبعا للتاريخ الأمريكي، أما الآن وبعد الثورة المصرية في 25 يناير عام 2011م يجب أن نتمسك باستقلال إدراكنا التاريخي وحقنا في أن يكون لنا تاريخنا وأحداثنا، لابد لمصر أن تضع تاريخا جديدا فهي صانعة التاريخ كما قال رئيس وزراء إيطاليا بعد الثورة المصرية، هذا التاريخ يجب أن يعيد التوازنات بين العالم العربي والغرب، يجب أن تعرف أمريكا والكيان الصهيوني أن مصر شعبا وحكومة لن تسمح بتهديد أمنها القومي ولن نسمح بسياسة الخنوع والتبعية التي اتبعها النظام السابق، وسنحترم تعهداتنا الدولية بما يكفل لنا الأمن الداخلي والخارجي لكل منطقتنا العربية.

إن الشريعة الإسلامية أسست العلاقات الدولية على مبادئ من أهمها[1]:

- كل الناس سواسية في الحقوق الإنسانية بصرف النظر عن الدين وألغت نظرية شعب الله المختار.
- العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها تقوم على مبدأ العدالة، ففي السلم تحترم كل الحقوق، وفي الحرب لا يجوز التمثيل بالأعداء أو تعذيب أسرى الحرب، ولا يجوز قطع الأشجار أو قتل الحيوان إلا لضرورة، ولا يجوز التعرض لغير المقاتلين من رهبان ونساء وأطفال ومرضى.

[1] عبدالخالق النواوي: العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية (1394هـ - 1974م)

- المعاهدات بين الدولة الإسلامية وغيرها هي عقود ملزمة يجب الوفاء بها.
- لا يجوز إعلان الحرب فجأة قبل توجيه إنذار للعدو.
- لا يجوز أن تنشئ الدولة الإسلامية على أرضها تكتلات عسكرية ضد دولة أخرى.
- إذا استمر الأعداء في تقدمهم ضد الدولة الإسلامية بأفراد من المسلمين فللقائد المسلم أن يطلق النار على الأعداء بما فيهم المسلمين لأن ضرر قتل قلة من المسلمين أهون من هزيمة عامة محتملة.
- السلام هو الأصل في العلاقة بين الدول الإسلامية وغيرها والحرب هي حالة طارئة اقتضتها الضرورة.
- المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وعلى ذلك يمكن لأي مسلم أن يمنح واحدا أو جماعة من الأعداء الأمان ويكون على سائر الجماعة احترام هذا الحق، وعلى الإمام أن يقر ذلك إلا إذا رأى في ذلك ضررا أو خديعة.

ومفتاح السياسة الخارجية للدولة الإسلامية هو التمكين للدعوة من الإنتشار، وهذا يقتضي أمرين: الأول وجود جيش إسلامي قوي منظم في وقت السلم والحرب على السواء، وأن يكون هدف المسلمين في كل وقت هو حماية الدعوة والوقوف في وجه من يتعرض لها، والثاني صد أي عدوان خارجي على حدود الدولة الإسلامية، وقد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حارب الروم حين استعدوا بجيوشهم للإعتداء على الدولة الإسلامية فخرج إلى تبوك لحربهم.

فإذا كان هناك حرب بين دولة إسلامية وأخرى غير إسلامية فلا معنى للحياد على الإطلاق، يكفي الإعتداء على دولة إسلامية لتتضافر كل القوى الإسلامية لدفعه،

لكـن الـدول الإسـلامية قـد تخلـت عـن مسـئولياتها تجـاه احتلال أمريكا للعراق وأفغانستان وكان يجب عليها نصرة الدولتين المسلمتين.

أما إذا كانت الحرب بين دولتين مسـلمتين فالحيـاد لا يجوز أيضا بل يجب التدخل العسكري ولكن بعـد اسـتنفاد جميع الوسـائل الممكنـة لفـض النـزاع بـالطرق السـلمية كالوساطة والتحكيم والقضاء ونحوها (وقـد أخطـأ العـرب عندما اسـتعانوا بعـدوهم فـي حالـة اعتـداء العـراق علـى الكويت عام 1990، والنتيجة تحررت الكويت من العراق مع بقاء القواعد العسكرية الأمريكية فـي الخليـج العربـي حتى الآن، وبعدها تم احتلال العراق في عام 2003).

والآن وبعد الثورات العربية الدائرة على الأرض يجب أن يعيد العالم العربي والإسلامي أولويـاته، فلابـد أن يتـم تحريـر كـل الأرض المسـلمة المغتصـبة بـدءا مـن تحريـر فلســطين ثــم العــراق وأفغانســتان وغيرهــا مــن بلاد المسلمين بوحدة عربية إسلامية.

وما نراه من تحد صارخ مـن قبـل الولايـات المتحـدة الأمريكيــة للمواثيــق الدوليــة دليــل علــى ضـعف العـالم الإسلامي رغم أن الحق معه ولابد له من الدفاع عـن هـذا الحق طبقا للإتفاقيات الدولية الموقع عليهـا، ومثـال لهـذا التحدي هو اغتيـال أسـامة بـن لادن علـى أرض باكسـتان المسلمة دون الرجوع إلى الدولة وهذا اعتداء واضح على سيادة دولة عضو بالأمم المتحدة.

أمريكا طوال السنوات الماضية جعلت من أسامة بن لادن أسـطورة العـدو الـذي احتفظـت بـه لحشـد التأييـد الدولي للتصرفات الإجرامية التي ترتكبها فـي أفغانسـتان والعـراق ولـذلك يجـب أن تحـاكم عليهـا أمـام المحكمـة الجنائية الدولية لأن القـانون الـدولي لا يسـمح بإغتيـال أو قتــل أي شــخص، كمــا يجــب أن تلجــأ باكســتان للأمــم

المتحدة وللمحكمة الجنائية الدولية لمحاسبة أمريكا على جريمة انتهاك سيادة هذه الدولة.

تساءل ناعوم تشومسكي البروفيسور الأمريكي وأستاذ اللغويات بعد حادث اغتيال أسامة بن لادن قائلا: ماذا ستكون ردّة فعلنا نحن الأمريكان إذا ما قامت بعض قوات الكوماندوز العراقية بالإغارة على منزل جورج دبليو بوش واغتياله وألقوا بجثته في المحيط الأطلنطي، وأشار إلى أنه: لا يختلف أحد أن جرائم بوش قد تتجاوز ما قام به ابن لادن، بالإضافة إلى أن بوش ليس مشتبهًا به، بل إنّه صاحب القرار بارتكاب أفظع الجرائم الدوليّة سواء في أفغانستان أو العراق التي تختلف عن بقية الجرائم في كونها تحتوي على مجموع الشرّ المتراكم، مئات الآلاف من القتلى، ملايين اللاجئين، تدمير البلاد، والصراع الطائفي المُرّ الذي انتشر الآن في بقيّة منطقة الشرق الأوسط.

هذه شهادة واحد من اليهود الأمريكان، فهل يقولها استخفافا بالمسلمين وأنهم لا يستطيعون اتخاذ رد فعل تجاه هذا العدوان أم أنه يحرض مسلمي باكستان والعراق على بعض العمليات الإرهابية ضد المصالح الأمريكية في العالم، أظن أن العالم الإسلامي لديه الكثير من ردود الأفعال الموضوعية تجاه تلك الممارسات الأمريكية، وأهمها عدم السماح بالتدخل في الشئون الداخلية للبلاد بحجة الديمقراطية وحقوق الإنسان التي انتهكتها أمريكا في وضح النهار على مرأى ومسمع من العالم أجمع، وهناك سلاح المقاطعة للبضائع الأمريكية التي يمكن الإستغناء عنها إما بتوفير بديل وإن كان أكثر تكلفة أو أقل جودة أو تصنيع هذا المنتج محليا، وغير ذلك كثير.

إذا كـانت أمريكـا تضـرب عـرض الحـائط بـالقوانين الدولية مع أنها تلزم الجميع بإحترام القانون الدولي فعلى الـدول العربيـة والإسـلامية المشـتركة فـي المنظمـات الدوليـة إمـا أن تنسـحب مـن تلـك المنظمـات وتنشـئ المنظمات الخاصة بها والـتي تكـون بمثابـة قـانون دولـي إسلامي يحكم الدول الأعضاء ومن أراد أن ينضم إلى هذه المنظمـات مـن غيـر الـدول الإسـلامية فلا مـانع بشـرط الإلتزام بقوانينها المستقاة من الشـريعة الإسـلامية الـتي من أهدافها إقامة العدل مع المسلمين وغيـر المسـلمين، قال تعالى: "لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى".

وإما أن تقوم شعوب الدول العربية والإسلامية بثورة سلمية لإسـقاط المنظمـات الدوليـة الـتي لا تحـترم فيهـا أمريكا والغرب تعهداتها وقوانينهـا المنظمـة للعلاقـة بيـن تلك الدول كما حدث في العـراق وأفغانسـتان وباكسـتان وغيرهـا، علـى المجتمـع الـدولي الآن أن يعـترف بحـق الشعوب في الحرية والعدل وحقوق الإنسان.

الفصل الخامس: مصر التي أتمناها

رجال أحــرار

صلاح الدين الأيوبي

رجل من هؤلاء الأحرار، استطاع بفضل الله أن يصنع من ضعف المسلمين قوة ومن انقسامهم وحدة حتى واجه بهم أوروبا كلها، تمسك بالدين وأقام دولته على أساس من الإسلام متين، صحح عقيدته وقرب منه أهل العلم والدين، كان يحرص على صلاة الجماعة ويكثر من سماع القرآن يبكي من خشية الله، لم يترك صلاة الليل إلا نادرا، كان يقيم الحق لايبالي[1].

بعد وفاة نور الدين محمود، عمل صلاح الدين على تحقيق الوحدة بين مصر والشام؛ لكي يستطيع الانتصار على الصليبيين، وأعلن صلاح الدين الأيوبي نفسه ملكًا على مصر والشام بمباركة الخليفة العباسي سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م.

وقد اهتم صلاح الدين بالإصلاحات في مصر، فنشطت الحركة العلمية في عصره، وأخرج المخطوطات من الخزائن، وأقام سوقًا في القصر لبيع الكتب، وأنشأ المستشفيات، وبنى القلعة فوق جبل المقطم لتكون حصنًا لمصر، وقضى صلاح الدين في مصر حوالي ست سنوات من (٥٧٢- ٥٧٧هـ/ ١١٧٦-١١٨١م) لترتيب الأوضاع الداخلية في مصر والشام استعدادًا للمواجهة مع الصليبيين.

في تلك الأثناء قام الصليبيون بعدة غارات عبر شبه جزيرة سيناء، بل إن قواتهم وصلت حتى بحيرات منطقة

[1] علي الطنطاوي: رجال من التاريخ ص:191-195 (1411هـ - 1990م)

السويس (البردويل حاليًا)، كما شنوا غـارات أخـرى علـى تيماء شـبه الجزيـرة العربيـة. وحـاول رينالـد دي شـاتيون أمير الكرك (أرناط) أن يقتحم البحر الأحمر، ويغـزو مكـة والمدينة، وأن يتحكم فـي حركـة التجـارة الدوليـة المـارة بهذا البحـر، وهـاجم بعـض مـوانئ مصـر والحجـاز، ولكـن الأسطول المصري سحق أسطوله تمامًا.

وتمكَّن صلاح الدين بجيوشه من إنزال هزيمة ساحقة بقوات الصـليبيين فـي معركـة حطيـن يـوم ٢٤ مـن ربيـع الثاني 583هـ/٤ مـن يوليـو ١١٨٧م، وفـي هـذه المعركـة فقدت مملكة بيت المقدس قواتها العسكرية الرئيسية.

ولم تكن حطين مجرد هزيمة عسـكرية ثقيلـة كـالتي حدثت قبـل ذلـك للصـليبيين، وقُتِـل فيهـا بعـض أمرائهـم، ووقع بعضهم في الأسر، ولكن ما حدث فـي حطيـن كـان أخطر من ذلك بكثير، فقد تـمَّ تـدمير أكـبر جيـش صـليبي أمكن جمعه منذ قيام الكيان الصليبي، كما وقع ملك بيــت المقدس جاي لوزينان في الأسر.

وبعد حطين تمكنت جيوش صلاح الدين من اســترداد عكا، ويافا، وبيـروت، وجُبَيْـل، ثـم عسـقلان، وغَـزَّة. وفـي أواخر جُمادى الآخرة سـنة ٥٨٣هــ/ سـبتمبر ١١٨٧م اتجـه صلاح الدين صوب القدس.

وبعد حصار قصير دخل صـلاح الـدين وقـواته المدينـة المقدسة في ٢٧ من رجب ٥٨٣هــ/ ٢ مـن أكتـوبر ١١٨٧م بصورة إنسانية تناقض وحشية الصليبيين حين غزوها قبـل بضع وثمانين سنة، وأقيمـت خطبـة الجمعـة فـي المدينـة المحرَّرة بعد أن ظلت ممنوعة طويلاً.

لـم يصـدق الصـليبيون أنفسـهم وهـم يـرون سـماحة القائد صلاح الدين والمسلمين معـه؛ ذلـك أنـه أبـى إلا أن يُكرِم أسرى الصليبيين في كل بلد اسـتولى عليـه، فحـرَّم

على جنوده الاعتداء عليهم وعلى ممتلكاتهم، وسمح لهم بالخروج آمنين سالمين إلى حيث شاءوا من المدن الصليبية الأخرى القريبة. فإذا فرض أموالاً على الأسرى مقابل إطلاق سراحهم، فإنه كان يحرص على إعفاء فقراء الصليبيين من ذلك المال؛ وبذلك استطاع صلاح الدين أن يلقِّن البرابرة الغربيين درسًا في الأخلاق كانوا في أشد الحاجة إليه.

وقد كان صلاح الدين في قمة التسامح مع الأسرى وغيرهم، وكان يعطي الأمان لمن يريده، ويسيِّر رجاله من الشرطة في الشوارع لمنع أي اعتداء على النصارى، وكان من رحمته بأعدائه أن أمر رجاله بالبحث عن ابن امرأة صليبية زعمت أن الجنود خطفوه فأحضروه لها.

توفِّي السلطان صلاح الدين الأيوبي في (27 من صفر 589هـ/ 4 من مارس 1193م) بقلعة دمشق بعد أن أصيب بحمَّى؛ وتنفّس الصليبيون الصعداء، وعوَّلوا على قلة خبرة أبنائه من بعده، وانشغل ورثة صلاح الدين بالصراعات الداخلية على الولايات والمدن، وقضوا تسع سنوات في مؤامرات داخلية، حتى وصل الأمر إلى انفصال الشام عن مصر مرةً أخرى في ضربة قاصمة للوَحْدة الإسلامية.

الملك الصالح نجم الدين أيوب

أدرك البابا والغرب الأوربي والصليبيون في الشرق أن الاستيلاء على مصر هو الخطوة المنطقية والضرورية لتأمين وجودهم في بلاد الشام، وبات غزو مصر حتميًّا لضمان استرداد ما حرَّره صلاح الدين من أراضي مملكة بيت المقدس، بل وبيت المقدس ذاته.

تنازل الملك الخانع الكامل الأيوبي عن بيت المقدس للصليبيين دون أية مقاومة، وكلن ذلك صدمة مزلزلة

للمسلمين، الذين ترحَّموا على صلاح الدين وجنوده المجاهدين الذين بذلوا أرواحهم من أجل تحريره، حتى قيَّض الله سبحانه وتعالى للأمة السلطان المجاهد نجم الدين أيوب الملقَّب بالملك الصالح، الذي عمل على تحرير المقدسات؛ حتى استطاع بفضل الله أن يحرِّر المسجد الأقصى بمعاونة جنوده في 3 من صفر 642هـ/ 11 من يوليو 1244م؛ ليتحرر المسجد الأقصى نهائيًّا من أيدي الصليبيين، ولم يجرؤ جيش صليبي أن يدخلها مدة سبعة قرون، حتى دخلها الإنجليز خلال الحرب العالمية الأولى عام 1914م.

وقد كان الملك الصالح نجم الدين حاكمًا صالحًا، ومجاهدًا في سبيل الله، يحب العلم، ويقدّر العلماء، وهو مَن استضاف سلطان العلماء العز بن عبد السلام -رحمه الله- بعد أن ضيَّق عليه الخائن الصالح إسماعيل سلطان دمشق، وكان نجم الدين يلتزم برأي العز، ولا يخالفه؛ لذا لمَّا أعلمه بوجود حانات للخمور أسرع بإغلاقها، وكان نجم الدين أيوب أفضل حاكم أيوبي بعد صلاح الدين.

بدأت الدول الأوربية في التجهيز لحملة صليبية جديدة، وكانت الاستعدادات تجري لهذه الحملة بالتنسيق بين البابا إنوسنت الرابع ولويس التاسع ملك فرنسا منذ سنة ١٢٤٥م نتيجة سقوط بيت المقدس في أيدي الخوارزمية وخضوعها للصالح أيوب، ولم يكن هدف هذه الحملة استرداد بيت المقدس فقط، وإنما سعت إلى تكوين حِلف مغولي- مسيحي بهدف تطويق العالم الإسلامي والقضاء عليه. والواقع أن فكرة الحملة الصليبية بقيادة لويس التاسع جاءت مواكبة لفكرة إقامة حِلف مغولي- صليبي ضد المسلمين، ولكن المشروع فشل؛ لأن المغول كانت لهم أحلامهم الخاصة بالسيادة على العالم، على الرغم من كثرة السفارات المتبادلة بين الجانبين.

وفي مايو سنة ١٢٤٩م أقلعت السفن تجاه الشواطئ المصرية. وفي العشرين من شهر صفر سنة ٦٤٧هـ/ ٤ يونيو ١٢٤٩م نزل الصليبيون قُبالة دمياط، وأمامهم لويس التاسع يخوض المياه الضحلة، وهو يرفع سيفه ودرعه فوق رأسه. وانسحب الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ قائد المدافعين عن المدينة بسرعة بعد أن ظن أن سلطانه المريض قد مات، وفي أعقابه فرَّ الجنود، وفي أعقاب الجنود والفرسان فرَّ السكان المذعورون، وهكذا سقطت دمياط دون قتال، إلا أن الملك الصالح نجم الدين أيوب نقل معسكره إلى مدينة المنصورة التي كانت قد خرجت إلى الوجود قبل ثلاثين سنة فقط، ومن هناك بدأت حرب عصابات شارك فيها المصريون جميعًا، وكثرت أعداد الأسرى الصليبيين الذين تخطَّفتهم أيادي المجاهدين، وتعددت مواكب الأسرى في شوارع القاهرة، كما أن البحرية المصرية قامت بدورها، ثم جاءت قوات إسلامية أخرى من بلاد الشام لمساندة المصريين.

توفِّي السلطان الصالح نجم الدين أيوب في يوم الاثنين ١٤ من شعبان سنة ٦٤٧هـ/ ٢٠ من نوفمبر ١٢٤٩م، وأخفت زوجته شجرة الدر نبأ وفاته؛ لكي لا تتأثر معنويات الجيش، وأرسلت في استدعاء ابنه توران شاه من إمارته على حدود العراق، واشتدت المقاومة المصرية ضد القوات الصليبية. وبعد عِدَّة تطورات كانت القوات الصليبية تتقدم نحو مدينة المنصورة في سرعة، ولكن الأمير بيبرس البندقداري كان قد نظَّم الدفاع عن المدينة بشكل جيد، وانقشع غبار المعركة عن عدد كبير من قتلى الصليبيين بينهم عدد كبير من النبلاء، ولم ينجح في الهرب سوى عدد قليل من الفرسان هربوا على أقدامهم تجاه النيل ليلقوا حتفهم غرقًا في مياهه، أمّا الجيش الصليبي الرئيسي بقيادة لويس التاسع فكان لا يزال في الطريق دون أن يعلم بما جرى على الطليعة

الصليبية التي اقتحمت المنصورة في ٤ من ذي القعدة ٦٤٧هـ/ 8 من فبراير ١٢٥٠م.

وفي المحرم من سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م دارت معركة رهيبة قرب فارسكور قضت على الجيش الصليبي، وتم أسر لويس التاسع نفسه في قرية مُنْيَة عبد الله شمالي المنصورة، ثم نُقل إلى دار ابن لقمان القاضي بالمنصورة؛ حيث بقي سجينًا فترة من الزمان حتى أُفرِجَ عنه لقاء فدية كبيرة، ومقابل الجلاء عن دمياط.

القائد المظفَّر سيف الدين قُطُز

بعد معركة فارسكور قُتِل الملك توران شاه على أيدي المماليك، وبموته انتهت دولة الأيوبيين في مصر، وتولت شجرة الدر الحكم مؤقتًا، ثم تزوجت عز الدين أيبك أحد قادة مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب، وبدا بذلك عصر دولة جديدة في مصر، هي دولة المماليك.

لم تستقر الأوضاع في دولة المماليك إلا بعد تولِّي الملك المظفر قطز الحكم، وقد جاء توليه في فترة عصيبة، وفاصلة للعالم الإسلامي كله؛ إذ انطلق التتار في هذا الوقت يجتاحون بلدان العالم الإسلامي؛ فأسقطوا الخلافة الإسلامية في بغداد، وانطلقوا يجتاحون الشام، وهناك بدأ التعاون بينهم وبين الصليبيين الذين كانوا يهاجمون العالم الإسلامي منذ عشرات السنين من خلال الحروب الصليبية.

قام قطز بتعبئة الشعب المصري على خير وجه؛ فأثار فيهم روح الجهاد، وعمل على تجميع صفوف المماليك، وتوحيد قوتهم؛ لملاقاة العدو الرهيب، وكانت النتيجة نصرًا عزيزًا من عند الله سبحانه وتعالى في عين جالوت.

الملك الظاهر بيبرس البندقداري

ولي الملك والبلاد مضطربة والأعداء في الداخل والخارج، في الداخل أمراء يتربصون به ويعدون العدة للإنقضاض عليه، وفي الخارج أقوي أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ كله: التتار والصليبيون.

بدأ بيبرس بهؤلاء الطامعين بالملك، ومد لهم الحبل حتى استضعفوه وطمعوا فيه وأعلنوا الثورة عليه، فضبطهم متلبسين بالجرم وقتل ثورتهم في مهدها، ثم عمل على الإصلاح فقد أبطل المكوس ورفع المظالم وأصلح أسلوب القضاء، وأعاد افتتاح الأزهر وعمل على نشر التعليم، وأحصى الفقراء وضمن لهم ما يعيشون منه، وأصلح الطرق والجسور[1].

ثم التفت إلى الجيش فأعاد تنظيمه وحرم على الجند النهب وإتلاف المزروعات وأخذهم بالطاعة والتدريب وترك الخمر والفحش، ثم وجه نظره إلى السياسة الخارجية فعقد التحالفات مع الدول المجاورة خشية اتفاقها عليه وتأييد أعداءه، ثم بدأ معاركه لتحرير البلاد العربية من التتار والصليبيين.

أخذ الوجود الصليبي يتلاشى رويدًا رويدًا؛ ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨- ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠- ١٢٧٧م) تم توحيد مصر والشام، وقد اتسمت سياسة هذا السلطان القوي بالشدة والصرامة إزاء الصليبيين.

كان بيبرس مملوكًا للملك الصالح نجم الدين أيوب، ومن قوّاده البارزين، كما كان له فضل كبير في الانتصار في معركة المنصورة؛ إذ كان يتصف بالشجاعة والقوة والإقدام، وكان قد ترك مصر بعد مقتل فارس الدين

---

[1] علي الطنطاوي: رجال من التاريخ ص:200-201 (1411هـ - 1990م)

أقطاي، ولكنه عاد بعد تولِّي قطز كرسي السلطنة، وعينه قطز قائدًا للجيش في عين جالوت؛ فأبلى أحسن البلاء.

بدأت جهود بيبرس العسكرية ضد الصليبيين منذ سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، إذ كان يُغير بقواته عليهم كل عام، ثم دخل في عمليات حربية واسعة ضد إمارات الساحل الصليبية في مطلع سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م فاستولى على مدينة قَيْسَارِيَة، ثم مدينة أَرْسُوف إلى الجنوب منها. وكان يقود جيوشه بنفسه في هذه المعارك.

كانت سياسة بيبرس تقوم على الإفادة من منازعات الصليبيين الداخلية، وبعد مناورة كبيرة قامت بها جيوش هذا السلطان الداهية فوجئ الصليبيون بالقوات المصرية والشامية تحاصر أنطاكية، ثم تستولي عليها سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م. واستولى بيبرس على المدينة التي ظلت رهينة الأسر الصليبي على مدى أكثر من مائة وخمسين عامًا. وكان ذلك أكبر انتصار حققه المسلمون على الصليبيين منذ أيام حطين واسترداد بيت المقدس. وكان فرح المسلمين بهذا الفتح عظيمًا.

السلطان المنصور قلاوون

جاءت أنباء سقوط أنطاكية على الصليبيين بمنزلة الكارثة، وانتابهم خوف شديد فسارعوا إلى تقديم فروض الطاعة والولاء للسلطان، وعندما طلب ملك عكا الصليبي معاهدة هدنة مع بيبرس، لقاء التنازل عن نصف أملاك التاج الصليبي في عكا، وافق السلطان على أساس أن هذه الهدنة تطلق يده في مواجهة القوى الصليبية الأخرى في الشام. وفي سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م عقد بيبرس هدنة مع بوهيموند السادس أمير طرابلس بسبب قدوم حملة صليبية جديدة إلى عكا تحت قيادة

الأمير إدوارد الإنجليزي، وكانت تلك آخر جهود بيبرس الكبرى ضد الصليبيين.

وتولى الحكم سلطان مملوكي قوي آخر هو السلطان المنصور قلاوون الذي اعتلى عرش السلطنة في مصر سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، وبعد أن وطّد دعائم حكمه بدأ في مواصلة جهود بيبرس ضد الصليبيين. وكانت بقايا الوجود الصليبي تتمثل في إمارة طرابلس، وبقايا مملكة بيت المقدس اللاتينيّة التي اتخذت من عكا عاصمة لها.

وفي سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م شنَّ الجيش المصري هجومًا ناجحًا على حصن المرقب، وانتزعه من فرسان الإسبتارية. وكانت كل الشواهد تدل على أن نهاية الوجود الصليبي في العالم الإسلامي قد اقتربت. وفي سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م أرسل السلطان المنصور قلاوون جيشًا استولى على اللاَّذِقِيَّة، آخر ما تبقى من إمارة أنطاكية الصليبية التي حرَّرها بيبرس.

وبعد ذلك بسنتين خرج السلطان بنفسه على رأس جيش ضخم فرض حصارًا على طرابلس مدة شهرين، واستولى عليها في ربيع الأول 688هـ/ إبريل سنة ١٢٨٩م، ثم تلتها بيروت وجبلة، وانحصر الصليبيون في عكا وصيدا وعثليث.

صلاح الدين بن قلاوون

كان لا بد من تصفية الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي بعد أن استمرَّ ما يقرب من مائتي عامٍ، وبعد أن وهنت قوته بفعل المقاومة الإسلامية، وجهودِ الحكام المسلمين المجاهدين، وبالفعل تم تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام في عهد الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون (689- 693هـ/ 1290- 1293م)، حيث كان بعض أملاك للصليبيين في الشام لا تزال قائمةً؛ منها

على سبيل المثال: عكا التي اتجه إليها المنصور بن قلاوون وضرب عليها الحصار، واستطاع فتحها في السابع عشر من جُمادَى الأولى عام 690هـ/ شهر مايو عام 1291م، وكان هذا بمنزلة الضربة القاضية التي نزلت بالصليبيين في بلاد الشام، إذ لم تقم لهم بعد ذلك قائمة.

أرسل السلطان جيشًا إلى (صُور) بقيادة الأمير سنجر، الذي استطاع أن يدخلها في شهر رجب من سنة دخول (عكا)، ثم ظهر جيش مملوكي بقيادة الأمير الشجاعي أمام (صيدا) الذي استطاع أن يدخلها في 15 من رجب، ثم بعد ذلك فتح (بيروت)، وما لبث السلطان أن فتح (حيفا)، ولم يبقَ إلا موضعان: أنطروس وعثليث، ولكن حامية كلٍّ منهما لم تكن قادرة على الصمود، فجاءت حامية أنطروس في (5 من شعبان/ 3 من أغسطس)، ومن عثليث في (16 من شعبان/ 14 من أغسطس)، ولم يعُدْ بحوزة الداوية سوى الحصن الواقع في جزيرة أرواد، فظلُّوا محافظين على موقعهم هذا طيلة اثني عشر عامًا، ولم يغادروا الجزيرة إلا في عام (703هـ/ 1303م).

وظلَّت الجيوش المملوكية بعد طرد الصليبيين، تجوب الساحل من أقصاه إلى أقصاه بضعة أشهر في خطوة وقائية، تدمر فيها كلَّ ما تعتبره صالحًا لنزول الصليبيين إلى البَرِّ مرة أخرى، والتحصُّن فيه من جديد[1].

رغم ما حدث في هذه الحروب من مآسٍ داميةٍ وتخريب للبلاد الإسلامية، وفي نفس الوقت خسائر جسيمة للصليبيين إلا أنَّ الصليبيين استطاعوا الإفادة من هذه الحملات، فالمعروف أن الحروب الصليبية أحدثت هزَّة عنيفة في الغرب الأوربي ظهرت آثارها بوضوح في النواحي الاجتماعية والسياسية، فأدَّت هذه الحروب إلى

---

[1] قصة الحروب الصليبية www.islamstory.com

إضعاف النظام الإقطاعي وهو النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي أعطى المجتمع الأوربي الغربي طابعه في ذلك العصر، ويبدو أثر الحروب الصليبية واضحًا كذلك في الميدان الاقتصادي؛ إذ ساعدت تلك الحروب على إحداث تطور ملموس في النظم المالية في غرب أوربا، هذا إضافةً إلى أن ازدياد النشاط التجاري بين الشرق والغرب على عصر الحروب الصليبية أدَّى إلى نتائج خطيرة في غرب أوربا؛ منها ازدياد نفوذ المدن وقوتها، واتساع نطاق النشاط المصرفي، وتحسين طرق التجارة، وإنشاء طرق جديدة، ونشاط الطرق البحرية.

التأثُّر الحضاري

على أن أهم ما تأثر به الغرب الأوربي في عصر الحروب الصليبية كان ميدان الحضارة نتيجةً للاتصال بالحضارة الإسلامية؛ ذلك أن الحروب الصليبية أتاحت فرصة طيبة للاتصال الحضاري بين الغرب الأوربي والشرق الإسلامي في الوقت الذي كان غرب أوربا ما زال تائهًا في ظلمة العصور الوسطى؛ مما ساعد على انتقال كثير من مظاهر الحضارة الإسلامية إلى غرب أوربا عن طريق الصليبيين.

والملاحظ أن الصليبيين أقبلوا على الحضارة الإسلامية يرتشفون من مَعِينها الفيّاض، فنقلوا إلى بلادهم كثيرًا من مظاهر هذه الحضارة. حقيقةً إنَّ إقامة الصليبيين بالشام كانت قلقة ومهددة دائمًا، مما لم يسمح لهم بدراسة تراث الحضارة الإسلامية في كثير من العلوم، ولكن ذلك لم يحُلْ دون رؤية الصليبيين أشياء جديدة عملوا على محاكاتها ونقلها إلى بلادهم؛ من ذلك أن الغربيين نقلوا صناعة البارود إلى أوربا عن المسلمين،

كما عرفوا أشكالاً بدائية من الصواريخ، نقلوها وطوّروها في أوربا بعد ذلك.

في مجال الصناعة والزراعة

وفي مجال الزراعة والصناعة، شاهد الصليبيون نبات قصب السكر لأول مرة في الشرق، فنقلوه إلى غرب أوربا. كما حرصوا على تصدير السكر نفسه إلى غرب أوربا ليحل محل عسل النحل الذي لم تعرف أوربا وسيلة غيره لتحلية الطعام وعمل الحلوى. ومثل ذلك يقال عن كثير من أنواع النبات والثمار والفواكه التي عرفها الأوربيون عن المسلمين على عصر الحروب الصليبية ونقلوها إلى بلادهم في الغرب؛ مثل السمسم والأرز والليمون والبطيخ والثوم.

كذلك عرف الأوربيون كثيرًا من المصنوعات الإسلامية، وأعجبوا بها ونقلوها إلى بلادهم، وحرصوا على استيرادها بانتظام من المصانع الإسلامية في الشرق، سواء المصنوعات الزجاجية أو الخزفية أو المنسوجات أو الجلود أو الأواني المدنية وغيرها.

الصليبيون الجدد

انتهت الحملات الصليبية على العالم الإسلامي في عام 1303م بعد ما يقرب من مائتي عام قُتِل فيها عشرات الآلاف من المسلمين، واستُنزفت قدرات البلاد الإسلامية، ولفتت أنظار الصليبيين إلى أنَّهم لابد أن يغيروا أسلوبهم في حرب المسلمين، وأن يستبدلوا بالحرب المسلحة الحربَ الفكرية؛ حرب العقول والأفهام، وذلك ما كان بعد ذلك عن طريق الاستشراق والتبشير والمذاهب الفكرية المنحرفة التي زرعوها بين المسلمين.

كما أثبتت الحروب الصليبية -في ذات الوقت- أن رُوح الجهاد ما زالت متقدةً في صدور المسلمين تنتظر من يوجِّهها إلى وجهتها الصحيحة، وقبل ذلك تحتاج من ينفض عنها الرَّماد لتتحول من جمرةٍ خابية إلى شعلةٍ دائمة للعِزَّة والنصر.

ونجح الصليبيون الجدد منذ الحملة الفرنسية على مصر في عام 1798 وحتى الآن إلى السيطرة على مصر والعالم العربي والإسلامي ليس بالسلاح ولكن باختراق العقول بأفكارهم المنحرفة والتشكيك في دينهم ونشر الشبهات عن هذا الدين الذي أرسله الله إلى النبي الأمين رحمة للعالمين.

نجح الصليبيون الجدد في تجنيد جيوش من أتباعهم، لكنهم لم يحملوا الصليب شعارا لهم بل حملوا أفكارهم وشبهاتهم وانتماءهم الشديد للغرب وثقافته وحضارته التي أنبهروا بها وظنوا أن التبعية الكاملة له هو الطريق للتقدم والإزدهار.

كان محمد علي وعائلته من هؤلاء الأتباع، وكان ما كان من تبعية واستدانة وترك مصدر قوة العالم الإسلامي وهو الإسلام نفسه، أدى ذلك إلى احتلال مصر من جديد على يد الإنجليز ولمدة سبعين عاما، فماذا أفادت التبعية للغرب؟

جاء أحد الأتباع الآخرين بانقلاب يوليو 1952، لتستبدل مصر الاحتلال الإنجليزي باحتلال صهيوني أمريكي، ليس فقط احتلال فكري بل احتلال الأرض العربية والقرار السياسي العربي والمياه العربية، فهل تقدمت مصر خطوة إلى الأمام بتبعية عبدالناصر الكاملة لأمريكا والصهاينة؟

وجاء السادات من بعده، لكنه علم في بداية الأمر أن تثبيت ملكه لن يكون إلا بمساندة شعبية، فكانت حرب رمضان المجيدة عام 1393هـ-أكتوبر 1973م بمساندة الجيش والشعب للقرار السياسي، وبفضل الله أولا وأخيرا انتصر المصريون وبمساندة عربية على العدو المشترك، لكنه ظن أنه هو صاحب هذا النصر ونسي الجيش والشعب والعرب ومن سانده في الحرب، وتذكر فقط قوة الأمريكان وأنه يجب أن يكون تابعا أمينا حتى لا يسقط عن عرشه، فأخذ قرارا منفردا بتوقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية الأمريكية رغم اعتراض الشعب المصري ومعه الشعوب العربية، فهل حافظ السادات على سلطانه بتبعيته للصليبيين الجدد؟ هل حافظ على النصر الذي تحقق للعرب والمسلمين حين ساندوه؟ هل تقدمت مصر خطوة إلى الأمام في تحرير سيناء تحريرا كاملا وأن تكون السيادة الكاملة على أرضها للمصريين؟

وأخيرا جاء التابع الأكبر مبارك لتصل مصر إلى ما وصلت إليه من تبعية كاملة للكيان الصهيوني والأمريكان، وكانت نتيجة تلك التبعية زيادة نسبة الفقر والجهل والمرض والبطالة، بيعت المصانع العملاقة وشركات القطاع العام بأبخس الأثمان، بيعت الأرض المصرية للأجانب، وتم تقسيم السودان، احتلت العراق وحوصرت غزة بحجة مقاومة الإرهاب، وامتلأت السجون المصرية بالمعتقلين السياسيين المعارضين للتبعية، بل كان رمز الأمن في مصر هو رمز للقهر والخوف والطغيان، فهل تقدمت مصر خطوة إلى الأمام بتبعيتها للصهاينة والأمريكان؟ هل شعر المصريون بالعدل والحرية والأمان؟ ظهرت شعارات براقة لمجالس حقوق الإنسان، فضاعت الحقوق وضاع الإنسان.

وكما استطعنا بفضل الله أن ننتصر على الصليبيين القدامى في الحرب المسلحة سننتصر على الصليبيين الجدد بإذن الله في الحرب الفكرية لأننا نملك كتاب الله وسنة نبيه ومن تمسك بهما لن يضل أبدا. "ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين"، كانت حطين وعين جالوت معارك كبرى في تاريخ الحروب العالمية، فتحت أبواب العالم لنور الإسلام، ومعركة أخرى ستأتي، معركة القدس، وسيقرأ عنها أبناؤنا في كتب التاريخ حين يدرسون قصة طرد اليهود من فلسطين، وإن الشعب الذي أطاح بالصليبيين لن يعجزه أن يأتي بمثل صلاح الدين ويطيح برأس صهيون[1].

مصر البطل – من رحم ثورة 25 يناير 2011

أحلم أن أرى مصر أعظم بلاد العالم ولن أتنازل عن هذا الحلم، ولكي يتحقق الحلم فيجب أن يكون رئيس مصر القادم شخصية قوية الايمان بالله ذات بناء محكم متين يصعب اختراقه وتملك قدرة خارقة على اقتحام القلوب والعقول. يجب أن يملك رئيس مصر القادم رقة في شدة، ورأفة في قوة، ورحمة في عز، وتواضع في شموخ، ولطف في متانة، وعقل في قلب، وقلب في عقل.

ما بين ثورة يوليو 1952 وثورة 25 يناير 2011 وقعت أخطاء كثيرة ممن باعوا الوطن ليبنوا مجدا زائفا على أطلاله، ومصر البطل مطالبا بتصحيح هذه الأخطاء،

[1] علي الطنطاوي: رجال من التاريخ ص:60- الطبعة الثامنة (1411هـ - 1990م)

أخطاء ستون عاما مضت هل يصلحها أربعة أعوام آتية هي فترة الرئاسة لرئيس مصر القادم؟

لا أحلم حين أقول نعم يمكن علاج تلك الأخطاء في هذه الفترة، لأن الأخطاء وقعت من أفراد مستبدين ظنوا أن عقولهم وحدهم هي من تستطيع أن تحكم مصر، أقصد عقولهم وعقول أصدقائهم من أعداء الأمة، أما رئيس مصر القادم فلن يكون طاغية أو مستبدا أو ديكتاتورا، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة التي ستساعده في علاج الأخطاء السابقة والنهوض بالأمة لتحقق الهدف المنشود، عقل واحد مستبد يمكن أن يتسبب في أخطاء كثيرة على مدى أعوام كثيرة، أما العقل الذي يمارس الشورى الملزمة مع شعبه المحب لبلده يستطيع بعقله وعقولهم معه أن يصحح تلك الأخطاء في أعوام قليلة بإذن الله، الآن يمكن أن يطير حاكم بثورة شعبية، وسنبني في كل مدينة ميدان تحرير.

رأينا مصر قبل الثورة وكيف كان الاستبداد هو الحاكم لمصر وشعبها، منذ محمد علي وأبنائه، مرورا بعبدالناصر والسادات، وصولا إلى الطاغية الذي أبى إلا أن يسلم مصر جثة هامدة، لا تعلو لها هامة، وأبى الله إلا أن تظل مصر قلب العروبة والإسلام، فإذا انفصل القلب عن الجسد، لا يستطيع القلب أن يحيا وحده، ولا يستطيع الجسد أن يحيا بلا قلب إلا إذا كان هناك قلبا صناعيا يضخ دما فاسدا للجسد المريض، يؤدي به في النهاية إلى الموت، ومصر العزة باقية ما بقي الزمان بإذن الله.

فإلى أين تتجه مصر الآن بعد الثورة المباركة ثورة 25 يناير 2011، هل تتجه إلى الشرق أم إلى الغرب، إلى العلمانية أم الديمقراطية، أم تتجه إلى المستقبل بقلوب عامرة بالإيمان بربها، ودراسة لتاريخها لتتعلم منه كيف

كانت مصر درة الزمان والمكان، مصر صانعة التاريخ بل حضارتها تسبق التاريخ، مصر الشعب الذي بات يؤثر الحرية على الحياة ولن يعيش مستعبداً أبدا، مصر الشعب الذي يعمل في جماعة حتى تتحول قوة الجماعة إلى أضعاف أضعاف مجموع أفرادها، قوة مقيدة بالحق، وحق مزود بالقوة والذي تقوم عليه المجتمعات المتحضرة.

رسائل

رسالة إلى المجلس العسكري

إلى القادة الأفاضل أعضاء المجلس العسكري الذي يحكم مصر الآن، وفي تلك الفترة العصيبة التي تمر بها مصر، أوصيكم بمصر خيرا يا خير أجناد الأرض، مصر المسلمة حصن الإسلام والمسلمين، مصر قطز وصلاح الدين، تحققت أمنياتنا بغضبة للشعب من الظلم الذي وقع فيه لعقود كثيرة منذ ثورة يوليو، ونتمنى أن لا نسمح لأحد أن يظلمنا بعد الآن، سواء داخل مصر أو خارجها، مصر كبيرة بشبابها وشيبها، برجالها ونسائها، مصر الهرم والنيل، هي أمانة في أعناقكم الآن، فأدوا الأمانة واحفظوا لمصر أمنها لتظل قبلة للآمنين: "ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين".

رسالة إلى الشعب المصري

أيها الشعب الأصيل، تحملت الكثير صابرا علك تجد ما يسر قلبك، وصبرت أملا أن يشعر بألمك المسئول عن تخفيف هذا الألم، وحين لم تجد إلا آذانا لا تسمع وقلوبا لا تبصر، قررت الغضب وأسمعت الأصم صوتك، وأبصر الأعمى غضبك ولكن بعد فوات الأوان، وها هي اليوم أمامك فرصة الإختيار، فاختر لنا رئيسا يحفظ لمصر

إسلامها وعروبتها وأمنها وقيادتها التي سلبت منها، لا تبخل أيها الشعب الأصيل على مصر بصوت الحق في الإنتخابات القادمة، أيها الشعب العظيم، لست إمعة ولن تكون بعد اليوم تابعا لمن يشتري صوتك بالمال، ثم يبيعك أنت وبلدك بالرخيص لأعدائك، عادت إليك مصر فلا تفرط فيها بعد اليوم وشارك في نهضتها وبنائها من جديد.

أيها الشعب الكريم، أعداء أمتك كثر فلا تخش إلا الله وقل لهؤلاء كما قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم لصاحبه أبي بكر في الغار: لا تحزن إن الله معنا، لا تغتر بمالهم الذي يحاولون شراءك به، فقد رأيت ما فعل المال بأصحابه، تركوا المال لأعداء الأمة وهم في انتظار المحاكمة، لا يغرنك ما يعرض عليك من مناصب وقد رأيت ما فعلت المناصب بأصحابها ولو بعد حين، ها هم علية القوم يقبعون داخل السجون.

أيها الشعب المصري المسلم، دافع عن دينك وهويتك الإسلامية وقد رأيت ما فعل الإسلام بأصحابه، أعزهم بعد ذل وقد قبع من أذلهم وظلمهم مكانهم خلف الأسوار، هذا هو ما يفعله الإسلام بأصحابه، عز بعد ذل ونصر بعد ظلم، نسأل الله العزة للإسلام والمسلمين.

رسالة إلى رئيس مصر القادم

حين ولي الصديق الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أيها الناس إني وليت عيكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقال المسلمون لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولي الخلافة: لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بحد السيف، فرد الفاروق عمر: الحمد لله أن وجد في الرعية من يقومني

بحد السيف، وحين خطب في الناس وقال: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا، فخرج سلمان الفارسي وقال لعمر: لا سمع ولا طاعة حتى نعرف من أين لك بهذا الثوب الطويل وأنت رجل ضخم الجسم، فقال عبدالله بن عمر: هذا نصيبي من بيت المال أعطيته لأبي ليكمل ثوبه، فقال سلمان رضي الله عنه: الآن يا عمر نسمع ونطيع.

وأنت يا رئيس مصر القادم لست أفضل من الصديق والفاروق ولن تكون يوما أفضل منهما ولكن لك علينا حق الطاعة ما أطعت الله، فإن عصيته فلا طاعة لك، ولك علينا أن نسألك من أين لك هذا، وأن تجيب حتى يكون علينا السمع والطاعة، والآن اختر لنفسك أيها الرئيس القادم، أن تسير على نهج الصديق والفاروق في العدل والرفق، فتكتب سيرتك بحروف من نور ويخلد ذكرك في التاريخ أنك مجدد العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفق بالرعية، وإما أن تسير على نهج النظام السابق الذي يحاكم الآن على جرائمه في حق مصر وشعبها، وغدا يحاكم أمام رب العالمين: ماذا فعلت بالرعية وقد إئتمنك الله عليها؟.

يا رئيس مصر القادم أمامك فترة تاريخية سيقف عندها التاريخ كثيرا، فلتسطر لنفسك ولمصر تاريخا مشرفا تعيد به أمجاد المسلمين، إنها أعظم أيام العرب، ما أجمل أن تكون عربيا هذه الأيام، عاد العرب للتاريخ، شكرا يا ثوار تونس ومصر، ومرحبا بك يا رئيس مصر القادم.

المراجـــع

1- أمـن البحـر الأحمـر قضـية كـل العـرب- ص 2 (1978)

2- د. حسين مؤنس: الربـا وخـراب الـدنيا ص 38 (1406 هـ - 1986م)

3- د. حسين مؤنس: باشوات وسـوبر باشـوات ص: 179 (1405هـ - 1985)

4- د. راغب السرجاني: الفتنة الطائفيـة فـي مصـر www.islamstory.com

5- د. عبدالله عبدالمحسن السـلطان:البحـر الأحمـر والصـراع العربـي الإسـرائيلي –الطبعـة الثالثـة ص: 303 (1988)

6- د. علي الصلابي: محمـد علـي باشـا والماسـونية www.islamstory.com

7- روجيه جارودي: كيـف صـنعنا القـرن العشـرين – ترجمة ليلى حافظ-ص 28 (1420هـ - 2000م)

8- سحر زكي: حقوق الإنسان بين الإسـلام والغـرب ص:109-115(1431هـ-2010م)

9- عبـدالخالق النـواوي: العلاقـات الدوليـة والنظـم القضـائية فـي الشـريعة الإسـلامية (1394هـ - 1974م)

10- عبـدالعظيم رمضـان: المواجهـة المصـرية-الإسرائيلية في البحر الأحمر (1982)

11- علي الطنطـاوي: رجـال مـن التاريـخ ص:191-195 (1411هـ - 1990م)

12- قصة الحروب الصليبية www.islamstory.com

13- محسن محمد: سنة من عمر مصر-تاريخ مصـر بالوثائق السرية البريطانيـة والأمريكيـة ص: 299 (1982)

14- محمد إبراهيم كامل (السلام الضائع في كـامب ديفيد – ص:607 – 1987م)

15- محمد جلال كشـك: ثـورة يوليـو الأمريكيـة ص: 383 (1408هـ- 1988م)

16- محمود عزمـي: السـيطرة علـى البحـر الأحمـر ضرورة استراتيجية،شـئون فلسـطينية العـدد 66:ص 109 (1977)

17- المستشار طارق البشري (التعديلات الدستورية ومؤسسة الرئاسة ومجلس الوزراء)

18- المستشار طارق البشـري (حـرب العـرب فـي لبنان سنة 2006)

19- المستشار طارق البشري: العرب في مواجهـة العدوان (1423هـ - 2002م)

20- المستشار طـارق البشـري: هـذه إمـارة شـرم الشيخ فأين دولة مصر(23-1-2009)

21- المستشار طارق البشـرى: ورقـة مقدمـة إلـى الدورة الخامسة لمـؤتمر الحـوار القـومي الإسـلامي الذي عقد في بيروت يومي 1 و 2 ديسمبر 2004

للإتصال بالمؤلف: zayedtech@gmail.com

رقم الإيداع: 11263/2011